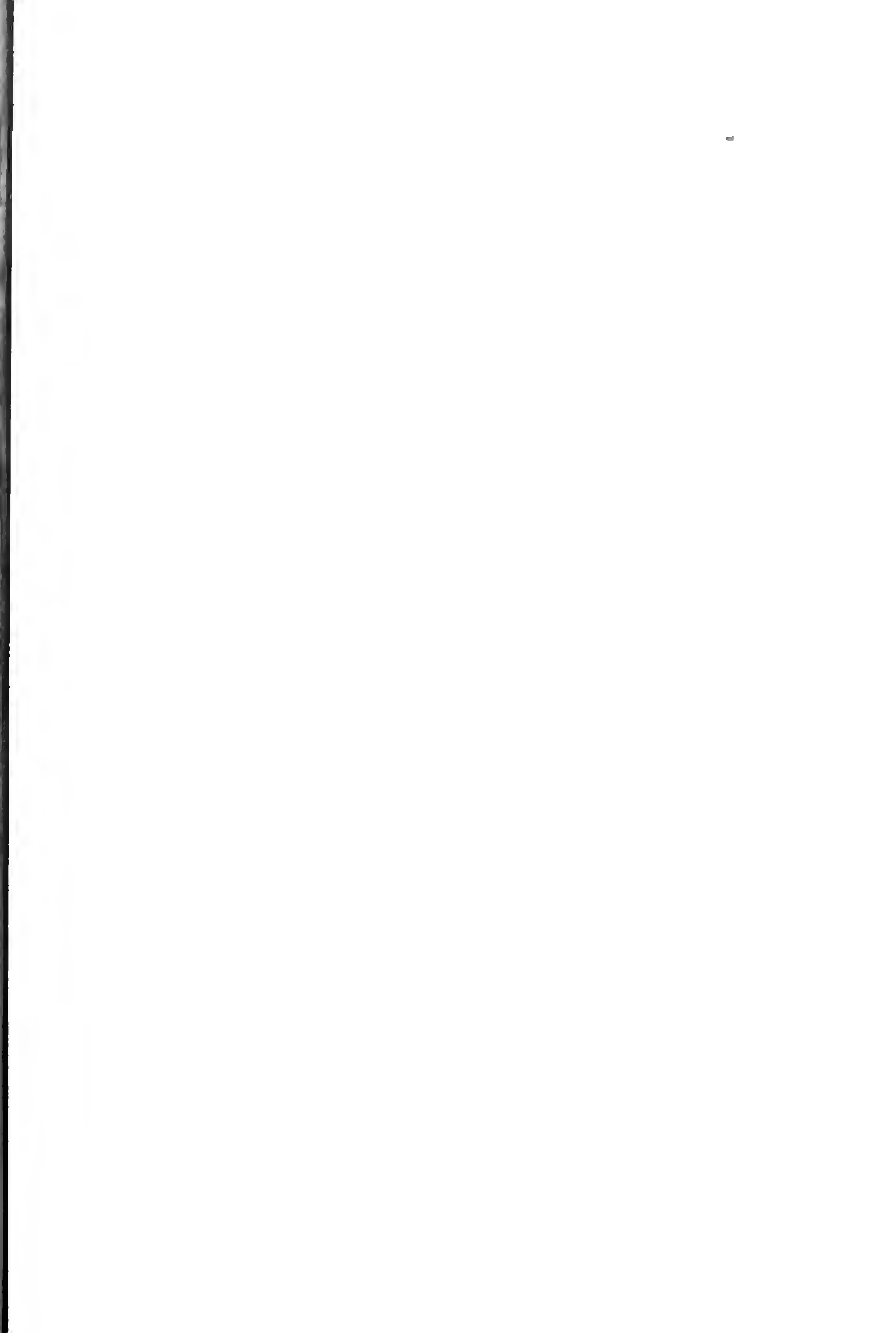


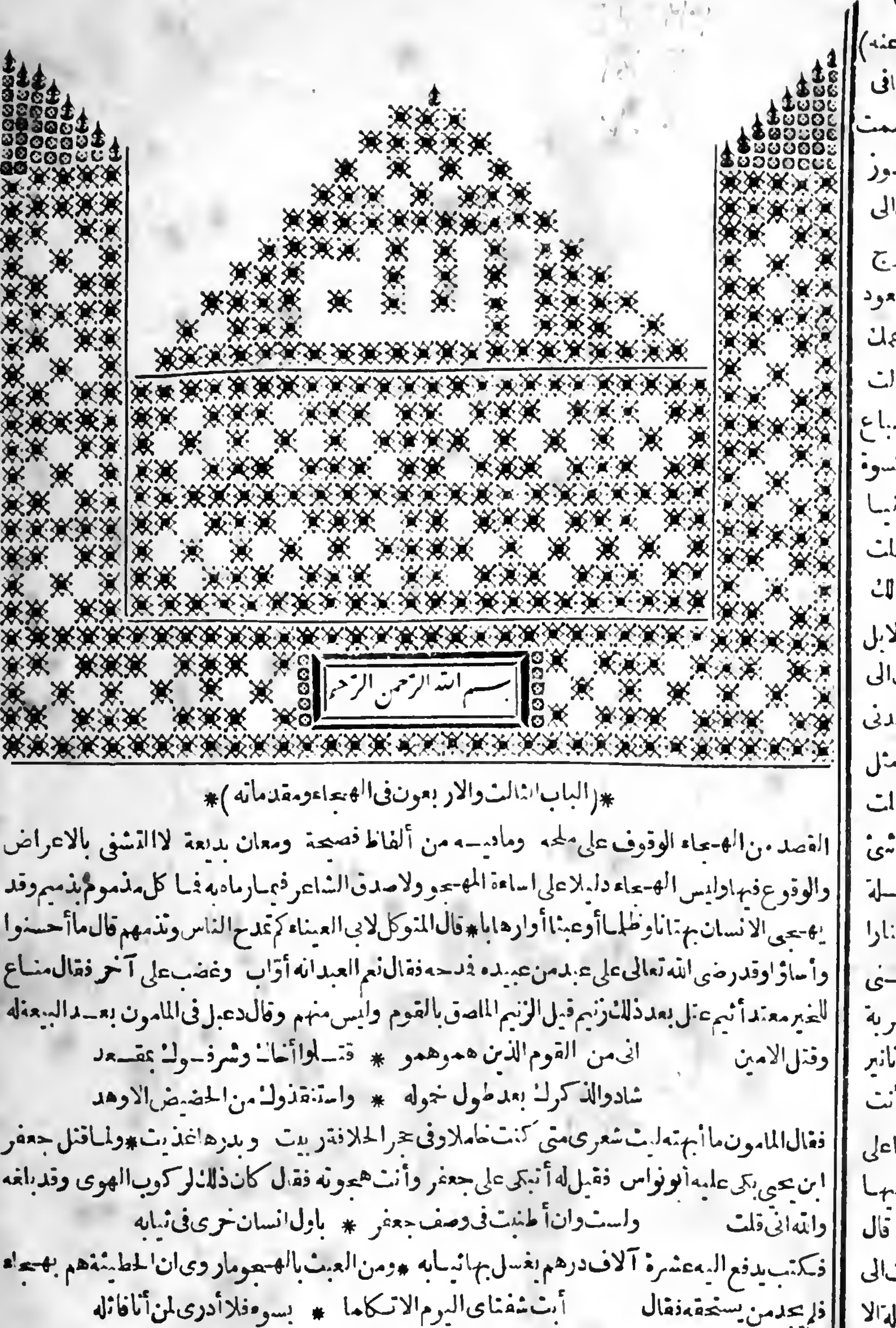


الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف

تأليف الامام الاوحد العالم العلامة اللوذعى الفهامة الشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهى

تغمده الله بالرحمة والرضوان آمين

وبهامشه بقية كتاب ثمرات الاوراق فى المحاضرات لحجة العرب وترجمان الادب الامام تقى الدين بن أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ثم يتبعه الذيل الاول لثمرات الاوراق وهو كتاب صفا سلسبيل منهل الاوراق وهو ناسج برده الموشح بطراز الادب العلامة تقى الدين بن حجة الآخذ من العلوم بأقوى سبب ويتلوه الذيل الثانى للثمرات أيضا وهو كتاب تبتهج بتلاوته نفوس الالباب وتطرب للعلامة الاديب والفهامة الاريب الهمام الكامل واللوذعى الفاضل الشيخ ابراهيم بن الاحدب بلغه الله فى آخرته كل مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الاولين والآخرين



(الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته)

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا * قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المامون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو همو * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المامون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها اغذيت * ولما قتل جعفر ابن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * باول انسان خرى فى ثيابه

فكتب بدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو مارُوى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل

لآخر

(قال الشافعى رضى الله عنه) وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز الى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس فقيرا وتعود اليها مترفا تفخر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت ناد بالابطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الى يستحثنى على الفعل ويعدنى انه يحمل الى فى كل عام مثل ما صار الى منه وما دخلت الى مكة وأنا أقدر على شئ مما جاء معى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولتنى اياها أمة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت اليها ودخلت الى مكة فبات تلك الليلة الا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل الى فى كل عام مثل ما كان دفع الى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبد

لاخوان هجوتني أتموت ابنتي قال لا قال أفتخر بضيعتي قال لا قال فرجلي مع سـ ق الى حاقي في حرامك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع * وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوي عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا في وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش أنت له وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

(وله هجاء في خالد)

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

(وقال) المبرد في حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له * ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضا)

يا أبا الفضل لاتنم * وقع الذئب في الغنم
ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد (وقال) رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال أقول

بني أميـة هبـوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فاخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب به سبعين سوطا حتى أتلفه ساوألقي في سفينة فقال عين الشمقمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينه

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله الماء فاخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سـنة وافيه
فما أدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضا * فلست أخافك يا عافيه

فقال عافية لاشكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك

الله بن عبد الحكم فقام بالكافة فهذا جميع ما لقيته في سفري فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألني المزني املاء ذلك بحضرته فما وجدنا للنعاس فرغة فما وقع كتاب السفر الى أحد غيري (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبي في كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبي طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد ان يصلي فلما دخل في الصلاة قال ابو جهل لعنه الله من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وسلم فانفتل النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى الى أبي طالب عمه وقال يا عم ألا ترى ما فعل بي فقال له أبو طالب من فعل بك هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله بن الزبعرى فاخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساءهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تؤمن بي فقال أبو طالب والله ان يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا فامض لامرك قد عمتك ناصحى * فلقد صدقت وكنت قبل أمينا وعرضت دينا قد عرفت بانه * من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك يقينا

لاتعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله لئن لم تهج واحدا من فى هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من ان أهجو نفسى فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه * جمعت دمامة وجمعت لؤما

كذاك اللؤم تتبعه الدمامه * اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الاعرابى ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب فى محمد بن هاشم لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر و يوجب أجرة المنزل و يشحب الالوان و يقرض الكتاب و يفضل السارى و يعين السارق و يفضح العاشق * ولابن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره

أنظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار

ماأوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

(وكان) للوجيه ابن صورة المصرى دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم

فماهو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى فى ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات فى جنباتها * الخير عنها نازح متباعد

والشر دان من جميع جهاتها * من بعض مافيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها

وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها * رقص بتنقيط ولكن قافه

قد قدمت فيه على اخواتها * وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ماطربى سوى غناتها

أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها * وبها من الخطاف ماهو معجز

أبصارنا عن وصف كيفياتها * وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها

وبها من الجرذان ماقد قصرت * عنه العتاق الجرد فى حملاتها * وبها خنافس كالطنافس أفرشت

فى أرضها وعلت على جنباتها * لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها

وبنات وردان واشكالاتها * مما يفوت العين كنه ذواتها * أبدا تمص دماءنا فكأنها

حجامة ابدت على كاساتها * وبها من النمل السليمانى ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها

ماراعنى شئ سوى وزغاتها * فنعوذ بالله من لدغاتها * سجعت على أوكارها فظننتها

ورق الحمام سجعن فى شجراتها * وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها

وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها * كيف السبيل الى النجاة ولانجا

ولاحياة لمن رأى حياتها * منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها

فضجيجها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها * والبوم عاكفة على أرجائها

والدود يبحث فى ثرى عرصاتها * والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها

والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها * شاهدت مكتوبا على أرجائها

ورأيت مسطورا على جنباتها * لاتقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها

أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها * قالوا اذا ندب الغراب منازلا

يتفرق السكان من ساحاتها * وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فان صدق رواتها

صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها * دار تبيت الجن تحرس نفسها

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل تنفع نصرة أبي طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهى أهون أهل النار عذابا وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعايرونى بها يعنى قريشا يقولون انما حمله الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (وأما) عبدالله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات منها فى حكاية حاله

انى لمعتذر اليك من الذى * أسديت اذ أنا فى الضلال مقيم

فاغفر فدى لك والدى كلاهما * واحرم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب مانقله القرطبى فى الاعلام) ان الانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا باسرها وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجهم لينظر فى ملكه فكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم فيها

تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عمار بافقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابوني ولم يخشوا عسكري فقال

فيها وتندب باختلاف لغاتها * كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يا رب السموات العلا * يا رازق الوحش في فلواتها * أسكنتني بجهنم الدنيا ففي
أخراي هب لي الخلد في جناتها * واجمع بين أهواء شملي عاجلا * يا جامع الارواح بعد شتاتها

(ولبعضهم في بلان) أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهري فادماني
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوي في بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهي * به حد الشفار المرهفات * هرى جسمي فالبسه جميعا
على حامل السنور السابلات * ورام يلين أعضائي برفق * فأيبسها وكسر فوقعاتي
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات * وأعمى مقلتي بصنان ابط
يفوح به على كل الجهات * فلا تجعل الهي مثل هذا * يغسلني اذا حانت وفاتي

(ولبعضهم في حمام) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

ولشريف أبي يعلى الهاشمي البغدادي في نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يا نظام الملك أني * أعاود من ذرالك كما قدمت * وأصدر عن حياضك وهي نهب
بافواه السقاة وما وردت * يدل على فعالك سوء حالي * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

(وممن) عرض بالهجو في شعره الخوارزمي قال في أبي جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفي * فان أنت أنجزت لي ما وعدت
والا شعبت وأدخلت في * وقد علم الناس ما بعد في * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده ويقول

أعد مدحي علي وخذ سواه * فقد أتعبتني يا مستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لي هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكني سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيئا)

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود أراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

(وقال آخر) اذا رمت هجوا في فلان تصدني * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * باقبح ما يهجى به المرء يمدح

(وهجا بعضهم امرأة فقال)

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها * اذا ضحكت في أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسي ويصبح

(ولبعضهم في عظيم انف) لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

انهم عرب لا يعرفون شيئا ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبي النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفيه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم في أمري فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الارض وهذا شئ من السماء لا نستطيع له رده ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له ان بيني وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقني في حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ما شئت فقال أريد الخلوة فاخلى له المكان فلما دخل مجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبي نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هي التي أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر وأخرج من قلبك ما هممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برأ من علته وعافاه الله

(وفيه أيضا)

رأيته اللزكى جدار انف * يضاهى فى تشامخه الجبالا

تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

(ولبعضهم فى أبخر مخنث)

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكرى فى مساويه

يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالايريد فع ما فيه الى فيه

(ولصفى الدين الحلى)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمال

(وله أيضا)

اهنيك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام

فهذا سابق من غير سين * وهذا عاقل من غير لام

(وله فى طبيب يدعى اسحق)

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل

معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

(وله فى أحمق طويل اللسان)

لو أن قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا

أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا

(وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال)

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت أن المدح فيك يضيع

لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

(وقيل) لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما (وقيل) لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتقض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

استبر جلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الاعرفته (وقال) أبو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء ما بقى أحد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم (وقال) عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره

تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج الى يثرب وهى يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عماريا الذى يرى الملك برأيه ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير ما شأنهم يمتنعون عن الخروج معى وأنا محتاج اليهم وأى حكمة اقتضت نزولهم فى هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحى فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير ان ذلك البيت وهذه البقعة التى نحن فيها يشرفان برجل يبعث فى آخر الزمان يقال له محمد ووصفوه له ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء ان ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرحلوا فقالوا لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فأخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فأقام وأمر الناس ان يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها من رجل منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم ان يقيموا فى ذلك المكان الى أن يجىء زمان النبى صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره أن يدفع الكتاب الى محمد صلى

ولين كلامه وصدق حديثه *وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الا به *وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه *وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع باعز له من الصدق وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعي *ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض *وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق *ويقال الصدق بالحر أحرى *وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى *وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب *وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الحد الحق عز *وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فامر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشي غير يدك الا واحدا فقال أهو المنصور فقال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ما قبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضرك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الا جاء على ظنه وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فاغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوها فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

*(الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وما جاء فيه) * قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به *ويقال راوي الكذب أحد الكذابين *ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان *وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي لكل واصف كذبا الى يوم القيامة *قال الاصمعي قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا اني أخاف أصدق في هذا لقلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبي الجنود)

لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

(ويقال) فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز *وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي واني والله لاجد به مع ما يلحقني من عاره من المسرة ما لا أجده بالصدق مع ما ينالني من نفعه *وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
فمتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

الله عليه وسلم ان أدركه والا فيوصي به أولاده مثل ما أوصاهم به وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الكتاب *أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميري ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذي أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تبعا برأيه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف في ايصال الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فاشار عبد الرحمن أن يدفعوه الى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فاخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد

وأضاف صيرفي قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن عبد الله بن السدي قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شيء حتى أنينه في سقمه وحتى ان الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الادب

لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء في جد وفي لعب

(ولما) نصب معاوية رضي الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر اني لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوي بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاء نا يكذب وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معديكرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب منذ أسلم رضي الله تعالى عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول)

(الفصل الاول في بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الي المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علي رضي الله تعالى عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين *(وحكى)* أبو سهل عن أبي صالح عن أبي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يا رب أوصني قال أوصيك بامك حسنا قال له سبع مرات قال حسبي ثم قال يا موسى ألا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين

النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سليم نعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الاول قال نعم فبقي أبو ليلى متفكرا وقال في نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فاني لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال في وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فاخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى علي كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبي نور الله ضريحه) ما ذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بالف عام *(ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبي)* ما أورده من مسند أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الى آخر الآية ان أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يا رب من هذا قال ابنك داود قال يا رب فما عمره قال ستون سنة قال يا رب زد في عمره قال لا الا أن تزيده من عمرك قال وما عمري قال ألف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقي من عمري أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك

أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أونهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بابيه بلغ من بره انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من والده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عينها اليه فأكون قد عققتها

(الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قلت يا سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي اليه في ساعة واحدة وقيل من حق الولد على الوالد أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق وقال عمر رضي الله تعالى عنه اني لاكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره وقال رضي الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال أنبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو وذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الي وقيل لرجل أي ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرئه السلام واحمل اليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية علي به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائي انه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له باحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني ان ألقي عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمري أفق وفرعي بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي * مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة

داود قال ماوهبت لاحد شيأ فاخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة *وفي رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة خرجه الترمذي بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم *(ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبي)* أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات على قافية بديعة أعجبت النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

فقال يا عم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة *(ومن غرائب التفسير ما نقلته من الاعلام)* ان في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أقوالا ذكرت في أحكام مخارج القرآن أحسنها ما ذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى أي وجدتك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام في سعادة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وما نال بالاسلام من العز وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة وتقدم ذكر شقوة عمه أبي طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي تقدم قوله مشيرا الى قريش في خطابه الى النبي صلى الله

الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسال الله تعالى أن يزيدهما للاسلام تاييدا وعزا و يدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كانكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية تدنخل أخرج الله منه مزق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك علي لا يبطل صغير حقي عليك قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى

أحب بنيتي ووددت أني * دفنت بنيتي في قاع لحد * ومابي أن تهون على لكن
مخافة أن تذوق الذل بعدي * فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدي
سالت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

(وقال هرون بن علي بن يحيى المنجم)

أرى ابني تشابه من علي * ومن يحيى وذلك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسري الى الشبه العروق

(وقال أبو النصر مولى بني سليم)

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

(وقال الحسن بن زيد العلوي)

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

(وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول)

أزهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقي

(وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول)

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلي أحد

(وكان اعرابي يرقص ولده ويقول)

أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بدا له

(وكان) لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * أنقذني العام من الجوالي
من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما علي أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفاليه * وترفع الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه * أزرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* اصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء في الاولاد البلداء القليلي التوفيق)

(قيل) نظر اعرابي الى ولده قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت قال لا أقسم بهذا البلد والدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا

عليه وسلم والله ان يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا (قال السهيلي) نور الله ضريحه في الروض الانف هذا من باب النظر في حكمة الله (ونقل) في الروض الانف أيضا عن هشام بن السائب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب واني أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كاني أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها

بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * كان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فاي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال لا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة بن الاعرابي كلنا حماميز الله فاي حمزة تعني فقال له أبوه ايس بمثلك يا من أخمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فارسله في حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

(فاجابه)

مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

(ونهى) اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت علي الآن طابت لي الخمر
سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

* (ومما جاء في صلة الرحم) *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال * وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار انه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك و بر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك يسرك وأصرف عنك عسيرك وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث

* (الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) * قال عمر رضي الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزع عرق أبي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيري سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبي الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر ومن كلام علي كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بانك لا تسودهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

وأسمعته فؤادها وأعطته قيادها دونكم يا معاشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة ووالله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي ثم هلك (ومن شهي الجنى من ثمرات الاوراق) ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمي * متمايسا مثل القضيب الناعم
فكأن نور البدر سنة وجهه * يمشي ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت

وأنا التي لعب الفراق بقلبها * فبكت بحب محمد بن القاسم

فسار أبو بكر رضي الله عنه الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب عفي عنه (ومن مناقب الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) في فتح بيت المقدس ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فاقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم في المسير الى قيسارية أو الى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل أيها الامير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله فقال له أصبت الرأي يا معاذ ثم كتب الى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي فسار حتى وصل المدينة فسلم

الكتاب الى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش

(الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم تر قط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد ينشق اذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع انسان لارحمته من حسن وجهى الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

(وقال كثير) لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ما قيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

(وللمتنبى) نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

(وله أيضا) لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا

(وقال الصفدى) لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ) ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كظلى حين أطلب منه وصلا

المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت يا أبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدم الجيش الى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان فى يوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ما هذه الضجة التى أسمع قالوا يا أبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك وبلبله انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاسمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم

وبابله عـلى الارداف منـه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقال آخر) أرخى لـنا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والعصـد ذوائباته * وا سهرى فى ذى الليالى الطوال

(وقال آخر) بدت ثرياقرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
ياعجبا الشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقال ابن المعتز) توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياوا ضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

(ومما قيل فى الاصداغ)

(قال ابن المعتز) ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

(وقال العادلى) وعهدى بالعقارب حين تشتو * تخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

(وقال آخر) وماضره نار بخديه ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

(وقال آخر) حلى القباولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

*(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان
يامن يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب) صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارى فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر) ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال آخر) ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

(وقال آخر) أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

(وقال آخر) ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا وعة وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

(وقال آخر) من لارأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني) يحدث ليل عارضه بانى * سأسلوه وينصرم المزار
فاشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكننى * خلعت العذار على خده

وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى ان ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسالكم فامسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلادتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أباعبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فاقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب ومانزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك وقالوا له قد عظم الامر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسال ما الذى يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فاجابهم البطرك الى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربى وقال يامعاشر الفرسان بعمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة عشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان

(سيدى أبو الفضل بن أبي الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى أعين الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه جناة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حاميا

(وقال ابن نباتة) وبمهجتي رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلي) لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا انتهى الى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسورا بأسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلني وذا من شانه

(وقال آخر) يا صاح قد حضر المدام ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

(ابن نباتة) وضعت ملاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل في ذم العذار) قال الشاعر

غدا الملتحي ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

(آخر في ذمه) قلت لاصحابي وقد مر بي * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) مازال يحلف لي بكل ألية * أن لا يزال مدى الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذي في لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

الها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

(وقال آخر) غزا في الهوى في جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها الأعين المها * وميمنة تقضي بزج الحواجب

(وقال آخر) أيا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح في صباح في صباح

(ومما قيل في العيون) قال الاصمعي ما وصف أحد العيون بمثل ما وصف أحمد بن الرقاع في قوله

وكأنها دون النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس تلاعبت * في جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائي بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الاخطل) ولا تلمم بدار بني كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا

فلما وقف بازائهم قال ما الذي تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم فقال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم فقال البطرك لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا فقال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الامر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتي فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة الى الامام عمر رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب الى عمر رضي الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا أمين الامة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم فان أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا انك بامرهم مستخف فلا يثبتون الا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأي غير هذا فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه اليك

ترى

رضي الله تعالى عنه عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وان سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الاجر العظيم ولست آمن منهم انهم اذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضر والصواب أن تسير اليهم ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي أحسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذا الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للمسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غرارتان في احداهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار الى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا الى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم الى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال أن يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب

ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)
وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر)
ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هنان)
أخود نف رمته فاقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فوانك لا يقال سوى احورار * بهن ولا سوى الاهداب ريش
أصبن فؤاده حتى فاضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر)
وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

(عز الدين الموصلي)
لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيا لك مقلة غزلت وحاكت

(برهان الدين القيراطي)
شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا)
بأبي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

(بدر الدين بن حبيب)
عيناه قد شهدت باني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)
شهدت جفون معذبي بملالة * مني وأن وداده تكليف
لكنني لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال الشيخ عز الدين الموصلي)
يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك   وأنت يا وجنتيه * لا تحرقيني بنارك

(وقال ابن الصائغ)
لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أي فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدي)
يا عاذلي على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر)
بسهم أجفانه رماني * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه

(وقال آخر)
سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهي مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل في الخال) للصلاح الصفدي
بروحي خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(لابن الصائغ)
بروحي أفدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فافديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(للشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بان الخال لا يرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذبدا * فى نقا جيده السعيد * فزت يا عبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أيبك) فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى * نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ أسر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

(وقال آخر) أنفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى * ولم يدر أن اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التثام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

(وقال شهاب الدين الكردى)

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر * وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

(غيره) رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر * وسوف أحظى بوصل * فاول الغيث قطر

(الصلاح الصفدى) نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

(وقال آخر) ثلاث تجمعن فى ثغرها * ملاح أدلتها واضحة
فان قيل ما هى قل لى أقل * هى الطعم واللون والرائحه

(وقال آخر) يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه

على بعيره وعليه مرقعة الصوف فيها أربع عشر رقعة بعضها من ادم قال المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جوادا ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلاطفون به الى أن أجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير أحسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر وطرح على كتفه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقال الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ما شأن العرب فاشرف رجل من المتنصرة فقال يا معاشر العرب ما قضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فاطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لابى عبيدة تقدم الى القوم وأعلمهم انى قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على دارت أبى عبيدة وقال ما هذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو منى فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه

دارت مراشفه على وكاسه * فسكرت فى الحالين من خرطومه

(وقال آخر) أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه لن أفيقا

ولاصهباء أسماء ولكن * جهات بان فى الاسماء ريقا

(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى

ولما التقينا والنقا موعدلنا * تعجب رائى الدرحسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولاخمرا

اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

(وقال ابن الرومى) يمسى ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه

ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى اسانه

(وما أحسن هذه الابيات) وهى من طارف الشعر وافره ونافده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الاحديثها * رجيع وفيما احدثت الطرائف

جرحن باعناق الظباء وأعين الجآذر وارتجت بهن الروادف

رجحن بارداف ثقال وأسوق * جزال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء * وقابلت الهواء وقد تعرت

بمعتدل أرق من الهواء * ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد فى اناء

فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء * رأت شخص الرقيب على تدان

فاسبلت الظلام على الضياء * فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا

وعلمه التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا * ترى من فوق حقو يه قضيبا

اذا حركته خطاه مالا * اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالجرسالا

(وقال بشار) وما ظفرت عينى غداة لقيتها * بشئ سوى أطرافها والمحاجر

لكو راعم من حور الجنان غريرة * يرى وجهه فى وجهها كل ناظر

(ومنه أخذ أبونواس قوله) نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهى فى وجهه

(وقال آخر) توهمه قلبى فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

ومر بفكرى جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح

وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

(وقال آخر) وأهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه

فلو أخجلته بالقول جهدى * لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل فى التقبيل) لظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق

وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال آخر) سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه

فها كها فى الخدوا قنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

(وقال صاحب حماة) قال الذى تيمنى * قولوا لمن خبلته * يروم منى قبلة * لومات ما قبلته

يخشى عليك من الآن مراد بلاعدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذى صفته ونعته فى كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضى الله عنه فى تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم الى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجده وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الاحبار على يده وارتحل معه الى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم

 وذلك بعد أن كتب الامام عمر لاهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية *(ومن شهى الجنى من ثمرات الاوراق)* ما نقله أبو الحسن على بن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد ان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات

(الشيخ عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا ينفك الزرد

(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور * سوى ان ذاك بعيد المزار
وهذا قريب لمن ينظر * وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فالفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكانني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر) قبلت رجل حبيبي * فازور واحمر خدا * وقال تلثم رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ماجئت بدعا * ولا تجاوزت حدا * رجل سعت بك نحوي * حقوقها الاتؤدى

(ومما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة
انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

(عبد الله بن أبي خبيص) تصد من غير علة * بالعز أضحت مدله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله * وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

(وقال آخر) أقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

(وقال آخر) أقيمي مكان البدر ان أفل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن أبي ربيعة) ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال)
لو أن اجماعنا في فضل سودده * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

(وقال آخر) يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

(وقال آخر) ففي أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال
وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في في طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(ابن نباتة) أيها العاذل الغبي تامل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(محمود المخزومي) رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضيء اذا تمسي

(وقال آخر) اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الروحي

على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فاوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائني) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون اليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا وقفت

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق * بنت سبع وأربع وثلاث
أسرت قلب صبها المشتاق * قلت من أنت يا غزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضي بالله) قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي فاحمرت بناني من دمي

(وقال آخر) دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم يجريان
فلم يمسحن أكراما جفوني * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل في النحور) قال دعبل
أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهي بالعيون و بالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف
والله لو أن القلوب كقلبها * ما رق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ما حوته ناهد

(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكي حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممعك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد يحق مفلك

(عمرو بن كلثوم) تريك اذا دخلت على خلاء * وقد أمنت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من أكف اللامسينا

(وقال آخر) بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركنان في الحرم

(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذي الحقاق * وما تلك الحقاق سوى ثدي
جعلن من الحقاق على وفاق * نواهد لا يعد لهن عيب * سوى منع المحب من العناق

(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل في الارداف والخصور) قال ابن الرومي
وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها

(الطغرائي المحاربي) ردفه زاد في الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه فدعا بها فقال لها يا أمة الله أتعرفينني قالت لا قال أنا ضيفك بالامس يوم كذا وكذا فقالت بابي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فامر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لا تعبتهما في العطاء أعطوها عطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما يضارع هذه اللطائف) انه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن علي بن أبي طالب الى أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب * أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضني واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه (قال أبو الفرج الاصفهاني) حدثني أحمد بن محمد الجعد ومحمد بن يحيي قالا حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل

(وقال آخر) يا خصره كم جفاء * تبدي وأنت نحيل يا ردفه مات عني * ما أنت الا بخيل

(القيراطي) بدر تردف بدري * تحت الحنين لعيني فقلت يا بدر هذا * حقا خيال الحيني

(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نحلته * الى معصمي لما تقلقل في خصري

(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره

(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات * جواعل في البرى قضبا خدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد * وقد ابعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل في المعاصم) قال عمر بن أبي ربيعة
حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بمقل للقلوب كوالم
حسروا الا كمة عن سواعد فضة * فكأنما انتضيت متون صوارم

(ومما قيل في اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدي
تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم أن اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

(وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب في نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما للذي الرمة حتى كأنه حضري من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضي مجد الدين بن مكانس
أقول لحبي قم وملى يا معذبي * كميلة غصن بر السكر حالها
ولا تله عن شيء اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

(وقال آخر) ومحكم أعطافه * في قتل صب ما غوى فاعجب لعادل قده * في النفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل في الساق) قال ذو الرمة
لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتي * ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فما لاعطافه تميس

(ومما قيل في مشي النساء) قال بعضهم
يهززن للمشي أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدي الرجال فزاد المتن في اللين

(وقال آخر) يمشين مشي قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

(ومما قيل في العناق وطيبه) لابن المعتز
ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد * كأنني عانقت ريحانه
تنفست في ليلها البارد * فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدي وشاحا

علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه يا شامي قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم
الى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
أي الخلائق ليست في رقابهم
لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا
فالدين من بيت هذا ناله الامم
وليس قولك من هذا بضائره
فالعرب تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام ثم أطلقه فوجه اليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان معنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له علي بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيئا لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غرر جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثني أبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية في موكب نبيل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف

باب

بات الغيور يشق جلده وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل) أقول وجنح الدجى مسبل * والليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ماضمنا المسجد * أيا غد ان كنت لى محسنا
فلا تدن من ليلتى ياغد * ويا ليلة الوصل لا تقصرى * كما ليلة الهجر لا تنفد

(وقال آخر) وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته * نميت الهوى مابين صدر ومرفق

(وقال ابن المعتز) وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن) ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر السارى شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يا أزين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فاجيب

(وقال على بن الجهم) سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

(وقال آخر) ياليل دم لى لاأريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بمحكمه اذا استفحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفى للئام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم لخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

(وقال آخر) ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول مارأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الالوان والشباب)

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ماتقول فى السواد فقال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان) لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

(دخل) ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق
ثم قال ياعم أخرجنا الهزل الى الجد فانشد ابراهيم

أتعبت الرجل فاقبل عليه وقال يامعاوية أنت صاحب الموكب مع ما يلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم ياأمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا فى بلاد لاتمتنع من الجواسيس ولابد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك أقمت عليه وان نهيتنى عنه انتهيت قال ان كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه (ومن لطائف معاوية) انه كان لعبد الله ابن الزبير أرض قريبة لارض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا فى أرض عبد الله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يامعاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضى والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ماترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى والله ما ساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقما بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه الى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه فقال يابنى اذا رميت بهذا الداء فداوه بهذا الدواء (نادرة لطيفة) قال الاستاذ أبو على الماسعى غلام خليل بالصوفية

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم * ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

(وقال آخر) لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام فى الخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسوّدناها (وقال آخر)
يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

(وقال آخر) فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام
وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر) أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال آخر) أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لا شك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر
أصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

(وقال آخر) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فاست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث * ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له يا هذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول
لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الجنان

(وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)
ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والدعشى مولود
ماطول داود الاطول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال
اذا ماتذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم ان يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية برجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال
أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وكى لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادى نمته ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه

الى الخليفة بالزندقة فأمر بضرب أعناقهم فاما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما يدعوك قال ايثار أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف ونما الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضى ليعرف أحوالهم فالقى القاضى على أبى الحسن النورى مسائل فقهية فاجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فارسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاكرمهم وأطلقهم (ومن المروى عن أحمد بن أبى دواد القاضى) انه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم ابن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فادخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فاعجبه شكله وقده ورآه يمشى الى الموت غير مكترث به فاطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدع الافئدة وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الاليق بشيمتك الطاهرة ثم أنشد أرى الموت بين السيف والنطع كامنا *

فى

في الحالتين وانصرفا مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسي أسر امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس انني * قصير وقد أعيا أباها نصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمر وأة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل في القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وخش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الادون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكوني تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي أفلا أرضى بما رضي الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبي ما أراك تبخل بهذا الوجه على جهنم * وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا * فياشقاء بلدة * أحسن ما فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت اني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر في رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد ادعمو ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر)

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
أنت في القدس تصلي * وهو في البيت يطوف

(ومما جاء في الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * ياثقيل الثقلاء * أنت في الصيف سموم
وجليد في الشتاء * أنت في الارض ثقيل * وثقيل في السماء

(ومما جاء في الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى

المنايا بين عينيه مصلت
وماجزعي من أن أموت وانني
لاعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا وان عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا وكم قائل لا يبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد الله ياتميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم (ومن لطائف المنقول من المستجاد) انه كان بين غسان بن عباد وبين علي بن عيسى القمر عداوة عظيمة وكان علي بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فالح المأمون عليه بطلبها الى أن قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال والافاضربه بالسياط حتى يؤدي المال أو يتلف فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بيني وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك الى داري له حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر ان كان لك حاجة فقص عليه القصة

دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني أجالس ربي وقيل المر وأة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

(ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس)

رأيتك في السواد فقلت بدر * بدا في ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمي ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر في لابسة الاحمر

وشمس من قضيب في كثيب * تبدت في لباس جلناري
سقتني ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل ناري

(وقال آخر في لابسة ثوب خمري) في ثوبها الخمري قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
فلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكري من الخمر

(وقال الصنوبري في لابسة أخضر)

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره * بدت في قميص لها أخضر
كما ستر الورق الجلناره * فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فابدت جوابا لطيف العباره
شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك أن تلبس ما يديم الملأ نظره اليك به واعلم ان الوشي لا يلبسه الا الاحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه *وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل علي بعاقل فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهر وتكة من أنابيب الزمرذ وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امتزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امتزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شيء راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنما نسجت بانواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

(ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

فقال أرجو أن يكفيكما الله تعالى ولم يزده على ذلك شيئا فنهض علي بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه مما أفدتني بالدخول على غسان غير تحميل الشماتة والهوان فلم يصل علي بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان معه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر الى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فان رأى أمير المؤمنين أن يجيزني على حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرس ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه ويعرف بها امكان الرضا عنه فاجابه المأمون الى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة الى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة الى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه النجى(؟) وينتفع بها فامض بها اليه فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر العمر *(ومن غريب ما يقتطف

من ثمرات الاوراق)*أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف أحد عشر ابنا فاصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته

* أأخي ان الحادثا * ت عركنني عرك الاديم * لا تنكرن ان قد رأيـ
ـت أخاك فى طمرى عديم * ان كان أثوابى رثا * ثا انهن على كريم

(وقال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله تعالى)

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف أخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور * ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير * لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير * وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا عار عليه ولا نكير * فان أك فى شراركم قليلا * فانى فى خياركم كثير

ويقال كل ما اشتهيه نفسك والبس ما اشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك)

(ماجاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله تعالى عنه الى اليسار وأخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى أيام الرشيد رضى الله تعالى عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنا اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بالف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابى نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل فى فيه قال جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر ماجاء فى الحلى) قيل ان قرطى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشتريتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليهم بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة فقومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

يا بنى ليس لى مال فاوصى فيه وخلف هشام بن عبد الملك أحد عشر ابنا فاصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار فاما أولاد عمر بن عبد العزيز فمارؤى أحد منهم الا وهو غنى ومنهم واحد جهز من ماله مائة ألف فارس على مائة ألف فرس فى سبيل الله تعالى وما رؤى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد أحدهم وهو يوقد فى الاتون (قيل) لمعاوية بن أبى سفيان ان بالحيرة رجلا من بنى جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال أخبرنى باعجب ما رأيت فى عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت فى حى من أحياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذرى فمشيت فى جنازته وتاسيت بجماعته فلما دفن فى قبره وأعول النساء فى أثره أدركتنى عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بابيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطرى منها هذه الابيات

يا قلب انك من أسماء مغرور فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد حتى جرت لك اطلاقا محاجير فلست تدرى ولا تدرى أعاجلها * أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير وبينما المرء فى الاحياء مغتبط * اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير يبكى الغريب عليه ليس يعرفه

*(ذكر ما جاء في الطيب والتطيب) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة لمرعى من مسك مثل مراعي دوابكم هذه وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ماهذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقيل لهذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جوارك هؤلاء مني كلما أردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فأر مسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها الربة وقال أبو الضحى رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكل منه شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والبحار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شئ دسره البحر وأما العود فأجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضرب به الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان قال

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب اني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بامهات الطيب

وذو قرابته في الحي مسرور * وذلك آخر عهد من أخيك اذا * ما المرء ضمنه اللحد الخناسير فبينما أنا أردد هذه الابيات وعيناي تسكبان اذ قال لي رجل الى جنبي من عذرة يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذي دفناه وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه ولا تعلم انه قائل هذه الابيات وذو قرابته الذي ذكرته مسرور وهو ذاك وأشار الى رجل في الجماعة فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية يا أخا جرهم سل ما شئت قال ما مضى من عمري ترده والاجل اذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لي سل غيره قال يا أمير المؤمنين ليس اليك رد شبابي ولا الآخرة فتكرم ما آتي والمال فقد أخذت منه في عنفواني ما كفاني قال لابد أن تسألني قال أما اذا شئت فأمر لي برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم انك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية بأشياء من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل) وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أحد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني أباه قال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم قال زدناك لترجل عليه ألف ألف درهم قال بأبي أنت وأمي قال وبم هذه ألف ألف قال لا أقولها لاحد بعدك قال وبهذه ألف ألف قال فالترجس منعني من الاطناب في وصف بلك الاشفاق عليك من جودك قال وبهذه ألف ألف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل

فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده أعرابي ففرطت من الامير ريح خفيفة فاراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكن لا ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الاريح كفك أطيب فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الشباب وفضله) روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله تعالى عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل اقبالا بهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا والوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد مرد أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الى اني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الامة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشيء الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

واحد قال انما فرقته على أهل المدينة أجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم (٢٧) المدينة فرق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر الى القرض (ومن لطائف المنقول) أن رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنين وثلاثين ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شيء والسنون كلها لله قال يا هذا ما سنك قال عظم قال ابن لي ابن كم أنت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شيء قتلني قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) عرض محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين ألف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص فقالوا والجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار من ان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتدأك وان أسأت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فاتى بثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لان أرضنا ما هي بارض كلاب وأظنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الامر مبني على السخاء والله ان هذا الاسخى مني فاشترى النخل والعبد فاعتقه ووهب ذلك له (ومن لطائف المنقول)

ويقول كيف عيل منك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص فى الشباب كانه * ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف فى بياض اللحية)

تكونى همم لبيضاء نابته * اهابغضة فى مضمر القلب نابته
ومن عجب انى اذا رمت قصها * تصصت سواها وهى تضحك نابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغوانى * بمبلغ شيبهن من الرجال
(وقال ابن المعتز) فظللت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس ياعماه فقال يابنى ان أعطيتها بغير ثمن * ومر رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وماهو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله مابلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك انى أكره منك مثل ماتكره منى فانشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فاعرضن عنى بالخدود النواضر

(وقال آخر)

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذامال وذانعم
فاعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشوفى

(وقال آخر)

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

(وقال آخر)

قالت أرى الخضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعى ويابصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

(وقال ابن نباتة)

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

(وقال ابن المعتز) فما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع * فياحسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال فى الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

(وقال آخر) ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق
(وقال العتبى) قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر
(وقال على بن ربيع) كبرت ودق العظم منى ورعقى * بى وزالت عن فراشى العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودنى بين البيوت الولائد

(وقال آخر)

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(وقال ابن النقيب) وكم كان من عين على وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبى اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظونى واكتفوا بمشيبى

انه رفع للرشيد موت العباس بن الاحنف وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم وعشيمة الخارة فى يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال أخروه وقدموا العباس ابن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى وقال ياأمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله ياأمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ماحكاه صاحب الاغانى) حكى ان رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضى هل يعرفك أحد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضى هل تعرف هذا قال نعم أعرفه عدلا وماذاك الا أنى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من أبصارهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرسخ الا فى قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقى الدين السروجى تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره لانها فى الطريق الغرامى غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله أنعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ماقد ذقته أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصالا بالذى أنفقته يامن شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته كم جال فى ميدان حسنك فارس * وقال

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ماشبهت الشباب الا كشئ كان فى كمى فسقط (قال الشاعر)

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الجاحظ)

أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء فى الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الانصارى رضى الله تعالى عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباءة بيت

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا لو دام فقال

ولو دام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أو هرم

(وقال آخر)

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريـ * ـد فلن يعود كما تريد

(وقال محمود الوراق)

فما منك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الامانى يا صاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة ابن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويعذب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يامن البلاء وقيل ان فارة البيوت رأت فارة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفارة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كبيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية * وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له أمه يا بنى لا تقرب به فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل

بالسبق فيك الى رضاك سبقته * أنت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته

قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته

(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (قال الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون فلما أحضر بعد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسسنه بايديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه أن لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال وكان الشيخ يهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وورعه بالجمال وعف وصبر الى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرى الادب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرى الا الاحداث فافتتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من

يضطرب و ينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

(الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام) قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى أثر ليلة و يوما فى أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع و بين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت و جنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لاتعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معد يكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس و رأيت له ولدا شيخا وهو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فاشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان امتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما الاسماء والكنى) ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغى أن تنادى من لاتعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يافقيه ياأخى يافقير ياسيدى ياصاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى

أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى بمجالس العلم التى * بك ثم جمع جوعها الارثيت لمقلة

غرقت بماء دموعها
بينى و بينك حرمة
الله فى تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق مع الذين ماتوا غراما (وقال فى كتابه الموسوم بمصارع العشاق) أخبرنا القاضى أبو القاسم التنوخى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك ابن محمد الشيبانى لنفسه فى عمرو النصرانى قال القاضى أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناء هواه دان
ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان
معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه
لكن هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من ابلاه
ياويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ذاب الى أن كاد يفنى عشقا
وعن دقيق الفكر ستمادقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بادمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكى ** منهلة قطر السماء تحكى
الى غزال من بنى النصارى * فضل بالحسن على العذارى *
وغادر الاسد به حيارى فى ربقة الحب له أسارى
ريم به أى هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولا يخشى القود متى تقل هاقالت الالحاظ قد *

الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله تعالى عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بام كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان * للدولتان حديثة
وقديمة رياستان * لك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت قصدت فى هذا المكان

فامر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردفه وراءه فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدلى * سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد ابن عبادة رضى الله تعالى عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم * طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر وأبو ذباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه * الحبر عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه * المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى * أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى * اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الأمم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال

يا عمرو ناشدتك بالمسيح
الا سمعت القول من فصيح
يذب عن قلب له جريح
ليس من الحب بمستريح
يا عمرو بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس
والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها فى الفم
ثم استحال فى القنوم الاقدم
يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا
يوما على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مارمريم وبولس
بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى اذ قام يدعو ربه
مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه
ونال من مولاه ما أحبه
بحق ما فى قلة الميرون

من نافع الادواء للمجنون * بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات النخل والزيتون * بحق أعياد الصليب الزهر * وعيد اشمون وعيد الفطر
وبالشعانين الجليل القدر * وعيد مرمارى الرفيع الذكر * وعيد شعيا وبالهياكل * والدخن اللاتى بكف الحامل * يشفى بها من خبل كل خابل

الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى اعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسال الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله تعالى عنه أبا تراب وذلك أنه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبا لهب لجمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بابى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء بناتهم كابى زهوة وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بابى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معد يكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين * أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير * ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه وسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمدا أو أحمد فادخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا)

لازال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع باسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

(وفيه أيضا)

يا سمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

*(ولبعضهم فى مليح اسمه عمر)

*يا أعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك العاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

(وفيه أيضا)

ما عليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

(ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله فى البلاد وأرشدوا الناس الى الرشاد حتى اهتدى
من لم يكن بهاد
بحق ثنتى عشرة من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون
الحكم
حتى اذا صبح الهدى جلا الظلم
ساروا الى الله ففاز وابالنعم
بحق ما فى محكم الانجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخبر ذى نبا جليل
يرويه جيل قدمضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح
من راهب باك ومن نواح
بحق تقريبك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد
بطول تقطيعك للاكباد
بحق ما قدس شعيا فيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه
عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم
موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى
والبطرق الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل
ومار قولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول
وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وما حوى مغفر رأس مريم بحرمة الصوم الكبير الاعظم * بحق كل بركة ومحرم بحق يوم الذبح فى وافى
الاشراق وليلة الميلاد والتلاقى والذهب الابريز لا الاوراق * بالفصح يا مهذب الاخلاق بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى * فاجابني عثمان ذو النورين

(ولبعضهم في مليح اسمه يوسف)

يامن سبى الشعراء على عذاره * النجم يشهد لي باني مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

(وله في الحلي فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبي من حديد * وفيه على الهوى باس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

(وله فيمن اسمه موسى)

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سود في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله في الحقب المواضي

(وللقيراطي في مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق في حسنه وتما * وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الانام امامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزري بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

(وقال آخر في مقبل) يامن تعجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم في مليح اسمه محسن) وأهيف بعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى أسالها

(صفي الدين الحلي في اسم حسين) حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
واعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة عجبت من فاتنة لم تزل * لم ترتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

(ابن مكانس في اسم عائشة) يادهر خبرني بعقلك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشة

(شمس الدين البديري في اسم حليمة)

ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدري الجور وهي حليمه

(ولبعضهم في اسم بركة دو بيت)

لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
ياقلب أفق ولا تعل للشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

(مردوفا أيضا) لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق * ياقلب أفق ولا تعل للشركه

الى المذيب
أعلى مناه أيسر التقريب
انظر أميري في صلاح أمري
محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا مني جميل الشكر
من نثر ألفاظ ونظم شعر
(قلت والشيء بالشيء يذكر)
الشيخ مدرك ألجأته الضرورة الغرامية أن يتجشم المشاق ويتقرب الى محبوبه باقسام لها عند أهل دين النصرانية محل عظيم الموقع كما ألجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي الشاعر المشهور أن يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ورجع جانب السنة وهي أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر الى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوي نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذي سارت الركبان بغرامه فيه فاخذ الهدية وأعجبه المملوك فاخذه فلما وصل الخبر الى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب الى الشريف والى تتر
عذبت طرفي بالسهر
وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جسمي الضنا

(ه - ف - ني) *وكحلت جفني بالسهر وجفوت صبا ماله* عن حسن وجهك مصطبر ياقلب ويحك كم تخا *دع بالغرور وكم تغر والام تكلف بالاغن * بن من الظباء وبالاغر ريم يفوق ان رما * لبسهم ناظره النظر تركتك أعين تركها * من باسهن على خطر

ما الشرك يليق * تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأساله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان)

فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الآية وفي الاثر سافروا وتغنموا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خاني أمضي لشاني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد * تهيبني ريب المنون ولم أكن
لاهرب عما ليس منه محيد * فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطات أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسافة ثماني ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضي الله تعالى عنه من مكة الى المدينة في يوم وليلة وقال المأمون لا شئ ألذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل في ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفي الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر) وما هي الا بلدة مثل بلدتي * خيارهما ما كان عونا على دهري

(وقال آخر) واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفي الحلي) تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضلل

(وقال عبد الله الجعدي) فان تجف عني أو تزرني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء)

قال جرير لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول * قليل الموالي مسلم بجريرة
له بعد نومات العيون أليل * يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيبي ما اليه سبيل

(وقال الشاعر) وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

ورمت فاصمت عن قسي * لا ينالط بهاو تو جرحتك جرحالا يخيـ * ط بالخيوط ولا الابر تلهو وتلعب بالعقول عيون أبناء

الخزر فكانهن صوالج * وكانهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر
أنهل لو جدك من مدى * يقضي اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر
رشأ تحاوله الحوا * طر ان تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ * ه فحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبـ * ـح جبينه ليل الشعر
ندمى اللواحظ خده * فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه في * قلبي الشجي وما أمر
نومي المحرم بعده * وربيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر
ومن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوى * ابن الشريف أبي مضر
أبدى الجحود ولم يرد * دالى ملوكي تتر
والبت آل أمية الطا * هر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ * ـم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبا على * آل النبي ولا شهر كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر وأثابها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر تهم
وبكيت عثمان الشهيـ * ـد بكاء نسوان الحضر وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر وقرأت من أوراقه * صحفه البراءة والزمر

تهيم ولاتدرى الى أين تبتغى * مواهـــة خزنا تجـــوب الفيافيا * أضر بها حر الهجير فلم تجـــد
لغلتها من بارد الماء شافيا * اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فالفته ملهوف الجوانح طاويا
باوجـــع منى يوم شدوا حمولهم * ونادى منادالبين أن لاتلاقيا

وقال عبد العزيز بن الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى ياماجشون ماقلت حـــين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك عـــلى أحبـــابه جزعا * قدكنت أحذرهذا قبل أن يقعا * ماكان والله شؤم الدهر يتركنى
حتى يجرعنى من بعـــدهم جرعا * ان الزمان رأى الف السرور لنا * فـــدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بى ماشاء مجتهدا * فلازيادة شئ فوق ماصنعا

فقال والله لاعيننك فاعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهـــم على بعـــد * ولم أودعهم وجـــدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد) أتى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عـــن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كـــيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شـــعرا فقلنا له أحسنت فاومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال أمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا مارجعتم حتى أنشـــدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيـــل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل * وقلبت بخلال السجف ناظرها
ترنوالى ودمـــع العـــين ينهمـــل * وودعت ببنان زانه عـــنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى اطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بان القوم قـــد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل * شبكت عشرى على رأسى وقلت له
ياراهب الدير هـــل مرت بك الابل * فحن لى وبكى بـــل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيـــل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيي الدين بن عربى رحمه الله تعالى)

مارحـــلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقـــد حملوا فيها الطواويسا
مـــن كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا علـــى فلك فى حجر ادريسا
أســـقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها مـــن الانوار ناموسا
وحشـــية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها الذكـــر ناووسا
ان أومات تطالب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شمامسا
ناديت اذ رحـــلوا للبين ناقتها * ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبرى يوم بينهـــم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا واصبحت انعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

(وقال آخر) ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مـــذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع * أشارت باطراف البنان وودعت
وأومت بعينيها متى أنت راجع * فقلت لها والله مامـــن مسافر * يســـير ويدرى مابه الله صانع

ورثيت طلحة والزبير * ر بكل شعر مبتكر وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أو زجر وأقول أم المؤمنين * ن عقوقها احدى الكبر * ابت على جمل الى * ج من بنيها فى زمر وأتت لتصلح بين جيـ * ش المسلمين على غرر فاتى أبو حسن وسلـ * ل حسامه وسطا وكر وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر ماضره لو كان كفـ * ف وعف عنهم اذ قدر وأقول ان امامكم * ولى بصفين وفر وأقول ان أخطا معا * وية فما أخطا القدر هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر بطل بسوأته يقا * تل لا بصارمه الذكر وجنيت من رطب النوا * صب ماتثمر واختمر وأقول ذنب الخارجيـ * ن على على مغتفر لا ثار اقتنا لهم * فى النهروان ولا أثر والاشعرى بما يؤ * ل اليه أمرهما شعر قال انصبوا لى منبرا * فانا البرى عمن غدر فعلا وقال خلعت صا * حبكم وأوجز واختصر وأقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر والشمر ماقتل الحسيـ * ن ولا ابن سعد ماغدر وحلقت فى عشر المحر * رم مااستطال من الشعر ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر ولبست فيه أجل ثو * ب للملابس يدخر وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر ووقفت فى وسط الطريـ * ق أقص شارب من عبر وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جونى الجلر

فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهي كن عليه خليفة * فيارب ماخابت لديك الودائع

(وقال آخر) يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(وقال البغدادى) قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه مواضعه * واعطف على المطايا ساعة فعسى
من شت شمل الهوى بالبين يجمعه * كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

(وقال ابن البدرى)
فياحادي ليلى قف فانى وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق * وزم مطاياها قبيل مسيرها
ليلتذ منها بالتزود عاشق * ولا تزجر وايا سوق أظعان عيسها * فان حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كأنا في التفكر غارق * وقفنا ودمع العين يحجب بيننا
تسارقني في نظرة وأسارق * فلا تسألا ماحل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت مغانيها الخليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع * وخالفت لوامى عليها وعذلى
وحالفت سهدى والخليون هجع * ولم أستطع يوم النوى ردعبرة * فؤادى أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

(وقال آخر) مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) يا سادة في سويدا القلب مسكنهم * وفي منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

(وقال آخر) لو أن مالك عالم بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق الابالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال ابن الوردى)
دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا * ياليالى الوصل عودى * اجمعينا اجمعينا

(وقال الشريف الرضى) علانى بذكرهم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك) قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

(وقال الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل في البكاء) قال الشاعر
رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياماجرى

وجعلتها خير المآ * كل والفواكه والخضر وغسلت رجلي كلها * ومسحت خفي في السفر وأمين أجهر في الصلاة * كن بها قبلي جهر
وأسن تسنيم القبو
ر اكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغدير
رأقول ماصح الخبر
وسكنت جلق واقتدي
ت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم
بالفاشر يا قد فشر
مصطبتى مكسورة
وفطيرتى فيها قصر
بقر ترى رئيسهم
طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خبثت وقدت من حجر
مابدرك التشبيب نغ
ريد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا
رفيه البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها
والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف أضلنى
بعد الهداية والنظر
مالى مضل فى الورى
الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريـ
ف فمستقر كم سقر
لواحة تسطو فما
تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى
ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوءفع
لك واحتذر كل الحذر
والبكها بدوية
رقت لرقتها الحضر
شامية لوشاهها
قس الفصاحة لافتخر
وروى وأيقن انى * بحر وألفاظى درر حبرتها فغدت كزهـ * ـر الروض باكره المطر والى الشريف بعثتها * لما قرأها (وقال
وانبهر رد الغلام وما اسمر * ر على الجحود ولا أصر وأثابنى وجزيته * شكرا وقال القد صبر *(ومن لطائف المنقول)* مانقله الشيخ الامام

(وقال آخر) ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

(وقال آخر) يا قلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع ان ظهرت بما * يخفيه قلبي سقطت من عيني

(وقال آخر) خاض العواذل في حديث مدامعي * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

(وقال ابن المواز) رحت يوم الفراق أجري دموعي * حسرة اذ قضى الفراق ببيني
قيل كم ذا تجري دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عيني

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت وقف مدامعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أر مثلي غارما طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معي
وما زلت أبكي في دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

(وقال الموصلي) عين أفاضت دموعي * لطول صد وبين وجنة الخد قالت * رأيت غسلي بعيني

(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ما بانت حبيبته بكاها

وفي بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادي أن ابتليتهم بفراق الاحبة

(ومما جاء في الحنين الى الوطن) أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق الهاروي ان أبان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضي الله تعالى عنه

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلادها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة *(ومن حب الوطن)* ما حكي أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة *وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه *واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهي قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر في زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذي ليس بالحسن
وتستعذب الارض التي لا هواء بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان في نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها أوطانا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام

(ومما جاء في ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال

صصرى الشافعي تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه في صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زي أهل المعرة فاستزراه الشهود فحضر كتاب مشترى فقال بعضهم أعطوا المعري يكتبه فقال الشيخ زين الدين تريدون أكتبه نظما أو نثرا فازداد استهزاؤهم فقالوا نظما فاخذ القرطاس وكتب

بسم الله الخالق هذا ما اشترى
محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق
كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه
بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الاجناس
والارض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع
عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض أيضا عشره
وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي
وحائز الرومي حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد علي
والغرب ملك عامل بن جهبل
وهذه تعرف من قديم
بانها قطعة بيت الرومي
بيعا صحيحا لازما شرعيا
ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس في المعامله
ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه * فعادت الذمة منه خاليه * وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منه وجرى * بينهما بالبدن التفرق * طوعا فلا أحد تعلق * ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور * وأشهد عليهما بذا في * رابع عشر رمضان الاشرف

من عام سبعمائة وعشرة * من بعد خمس تلوها * لهجرة والحمد لله وصلى ربي على النبي وآله والصحب يشهد بالمضمون من هذا مر

بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يا رب فاردد نا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتي وتصبري * وذرى الشهور فانهن قصار

(فاجابته) فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لهنته فاز ببغيته (وقال ابن الهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه وقال علي كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمني اذا وقيت الاواقي * بالاواقي لماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئا أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضي الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأذكى من الورد خطؤه صواب وسيآته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب ان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

(وقال آخر) المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

(وقال آخر) جروح الليالي ما لهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب

وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب * ومن يغترر بالحادثات وصرفها
يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب * ومما ضرني ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

(وقال آخر) الفقر يزري باقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الغنى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(وقال آخر) اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

ابن المظفر المعري اذ حضر فلما فرغ الشيخ زين الدين وتامل الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا انه ابن الوردي وأجلسوه في الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسالوه ذلك فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد لذاك أحمد ابن رسول وبذاك يشهد

(تحفة من فوائد كتاب الانشاء) قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بني أمية لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على كتاب الانشاء وقال البلاغة هي ما رضيته الخاصة وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ما كان قليلا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب الى يحيى بن خالد في شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه جمع من الشكر والاستزادة بلغ عبارة وأوجز (عمرو بن مسعدة كاتب المامون) كتب اليه كتابي هذا وأجناد أمير المؤمنين على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المامون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه ألا ترى الى ادماجه المسئلة في الاخبار واعفائه من الاكثار (ابراهيم الصولي كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان يقول المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه وكان يقول الخبز ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته (ومن بدائع نثره) ما كتبه عن (وقال

أمير المؤمنين الى بعض الخارجين يتهددهم و يتوعدهم أما بعد فان لامير المؤمنين أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن

(وقال ابن الاحنف) عشى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها * حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة
خضعت لديه وحركت أذنابها * واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

(وقال آخر) ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

(وقال آخر) ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كذاب (وقال الكناني)
أصبحت الدنيا لذي عبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

(وقال الزمخشري) واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الى من أن أحتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر
احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل * وان يقولوا باخل بالعطا
فالبخل خير من سؤال البخيل * واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء في الاحتراز على الاموال)

فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطعين والمحترفين الموهمين والمتمسين *(فاما المطمعون)* فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم و يعرفوهم بالمشاهدة ويتفاوضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم و يحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك و يخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات و يدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قاعده و برطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه و يقول هذا رأيي فان رعى صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي منها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع يخزن لديه واطاع عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا و يطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان ما ألجأهم الى ذلك الا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان و يترك عنده عدة لها قيمة

أغنت عزائمه والسلام وهذا الكلام وجازته في غاية الابداع و ينشا منه بيت شعر وهو
أناة فان لم تغن عقب بعدها * وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه
(وكان) يقول ما اتكلت في مكاتبتي الا على ما يتخيله خاطري و يجاس في صدري الا قولي وصار ما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولي من أخرى فانزلوه من معقل الى عقال و بدلوا آجالا من آمال فاني ألممت بقولي آجالا من آمال بقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني
موف على مهج في يوم ذي رهج * كانه أجل يسعى الى أمل
وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام
فان باشر الاصحار فالبيض والقنا * قراه وأحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما * أولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بانك ساخط * عليه فان الخوف لا شك قاتله
*(ومن رقيق شعره حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال ارتجالا
صدعني وصدق الاقوالا * وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود * وعلى وجهه رأيت الهلالا
فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه (ومن رقيق شعره أيضا قوله) دنت بأناس عن تناء زيارة * وشط بليلى عن دنو مزارها وان مقيمات بمنعرج اللوى * لاقرب من ليلى وهاتيك دارها (الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم أستيقظ الا بلبس

فيأخذها ويذهب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالا كل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال قد علي العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا * ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة مصنعة ويقولون نريد أن نأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطامعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هنالك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطعون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غرورا وذلك أنهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ أو زنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشيء يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال انه يكتسب في كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالي اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن انك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهاني بالاعياد وربما يأتي معه بأحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجاههم العوام وتقبل شهاداتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير أفقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغني يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا

قميص الصبح) (بديع الزمان الهمداني) (٤٠) الحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل امه لامر اذا هم وسبيل ذوي الالباب في الدخول من هذا الباب أن ينظروا في القول الى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن (ومن انشاء أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بالمغربي) وصلت الرقعة فاستخففت النسيم بالاضافة الى الطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت في هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل أن يسقط بيننا في تشاكي ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (أبو الحسن بن بسام) من انشائه عارض اذا همع استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يمسح وجهه الا بهادب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بأفراد النجوم (ضياء الدين بن الاثير الجزري) ودولته هي الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهي خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنه الاتم ربم واثم الا نزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذي لا يصرم * وله في القلم فهو الملقب بالجواد سمي المضمر واذا أخذت السوابق في احضارها بلغ الغاية وما أحضر واله لون تحقق فيه القول النبوي لو جعت الحبل في صعيد لسبقها الاشقر

سمى عيبا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زات به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حى كمن مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستتر عنى ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزير البعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودى الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية تهوى هذا اليهودى فاعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان فى الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره فى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يات أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما * واليهم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعالجون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمساليق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (وحكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فاذا هو فى ذلك فاراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيآن اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا (فمن ذلك) ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بالف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فاعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفيها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فاصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدورا ذهب ينزل اليها بسلالم * ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج

(ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الاثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهى للحصون من آكد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بانه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ولقد) سهوت عن الصابئ وكان فى هذا الفن أمة وهو أبو اسحق ابراهيم ابن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة بن بويه وكان متشددا فى دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله فى رسائله والصابئ عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابئ ان الصاحب بن عباد قال ما بقى من أوطارى وأغراضى الا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب الصابئ ويكتب عنى وأغير عليه فقال الصابئ ويغير على وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به الى أبى الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جلا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى بلاغته وسحبان فى خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جلا جعلته لصفتك جلا وكان المعيدى ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر

به وكان قد قوم ذلك الفص بالف ألف درهـم فاخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب * وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فانفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس ابن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل ابن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة تلونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ماعقة فضة وثلاثة آلاف ماعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الاراديب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملا به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرد وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوءة من الحبوب ما لا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد يحتفظ به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدر واخاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره *وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(فضمنت أنا هذا البيت وقلت)

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال * وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء باربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت

عن القدم يجب العاقل من حلول الحياة به ومن تانى الحركة فيه لانه عظم مجلد قد طال للاكال فقده و بعد بالرعى عهده لم يرا القت الا نائما ولا عرف الشعير الا حالما وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه من محبتى للتوفير ورغبتى فى التثمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعا للعناء لانه ليس بانثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت أذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فانشدنى وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست بذى لحم فاصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمى ولا بذى جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أدمى ولا بذى صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبرى الا أن تطالبنى بذحل أو بينى وبينك دم فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى أمر به أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره ويا ليت شعرى ما كنت مهديا لو أنى رجل من عرض الكتاب كابى على وأبى الخطاب ما كنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا أحدب والسلام (وله من رسالة)

هو أخفض قدرا ومكانة وأظهر عجزا ومهانة من أن يستقل به قدم فى مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع فى منابذتنا اليوم
وهو فى نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة والظلامة المردودة * وكان له عبد اسمه عن وكان يهواه وله فيه المعانى البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال بن وهو أسود للذي * ببياضه استعلى علوا الخائن
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى * ان قد أفدت به مزيد محاسن

اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالى ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم لم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فابى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبه الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له رحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فاخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله أن أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر هما لانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

(وقال آخر)

ولا ترهب الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

(وقال هرون بن جعفر الطالبى)

بوعدت همتى وقور بمالى * ففعالى مقصر عن مقالى * ما كسى الناس مثل ثوب اقتناع
وهو من بين ما كسوا سربالى * ولقد تعلم الحوادث أنى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فأحسن الفقر وأكثر ثوابه

ولو أن منى فيه خالا زانه
ولو أن منه فى خال شانى

(الصاحب) بن عباد من بلاغاته المخترعة أنه قيل له ماهو أحسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا *وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاى فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن شعره) يرثى كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا * فمثل كثير فى الرجال قليل

(القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين ووزير السلطان صلاح الدين بن أيوب الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكين وبرز فى صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان فى تاريخه أخبرنى أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها وذكر ابن خلكان فى تاريخه أيضا أن العماد الكاتب قال فى الخريدة هو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوا اليها (وقال) الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لا توارى بل هى

وأعظم أجرمن رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك ياأرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون في التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد)

(روى) الامام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابي على على رضى الله تعالى عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح في بيتي شئ نضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال ياقنبر ائتني بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لاتخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال ياقنبر والله مايسرني ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله تعالى عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة اذا صيب سائلي فقال كذلك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار * وسأل رجل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال له ماوسيلتك قال وسيلتي انى أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع (واما) وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره * وسمع الرشيد داعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام * فاتينا كموددا أكفا
لالتقام من زادكم والطعام * فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الامادفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير * وسأل اعرابي بمكة فأحسن في سؤاله فقال أخ في الله وجار في بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسيني في الله قال الشاعر

ليس في كل وهلة وأوان * تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحالك الوصال
أطلق ذويتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله تعالى عنه قال يا كميل مرأهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الاصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال جابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ورجا نذيح العناق اذاضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ماجعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذاهبت رياح بنى عقيل * طويل الباع أبلج جعفرى
كريم الجد كالسيف الصقيل * وفى ابن الجعفرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يابنية انى تركت قول الشعر فاجيبي الامير عنى فقالت

البيداء البيضاء التي لاتجاري خروج أمره الى والى الاسكندرية باحضار القاضي الفاضل الى الباب واستخدامه بحضرته في الديوان فانه عروس الدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها في السماء (وتوفى الفاضل) في ليلة الاربعاء سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن في تربة بسطح المقطم في القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضي الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فمن انشائه المرقص المطرب قوله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لاتدخل عليه آفة * وان يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يابنى أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما ان سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه وأقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس ومآتم فيها الاعلى الاموال مآتم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم (ومن انشائه في كاحل) كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوط من كحله الملعون اعلة المنون ويدرجه في كفن من الخرقة السوداء التي يلبسها سواد العيون ينقل العين الى بياض الثغور ويسلمها سواد اللمام ومابرحت عصيه مردودة ولديه اعصا الغماء قد انتهى الى فوق ما يضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو لص من أكابر اللصوص وسموا اذا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه ويجد بجز القميص اليوسفي

اذاهبت رياح بنى عقيل * تداعينا الهبتها الوليدا * طويل الباع أبلج عبشمى

أعان على مروأته لبيدا * بامثال الهضاب كان رعيا * عليها من بنى حام قعودا

أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد ان الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يابنية لولا انك سالت وقات عد فقالت ياأبت ان الملوك لايستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا الشعر منى * ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده

والله ما ندرى اذا مافاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب * ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد

أحدا سواك الى المكارم ينسب * فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال ياأمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فامر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك * وقيل ان رجلا عرض للمنصور فساله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور رأايس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم ياأمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه * وروى ان أبادلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء ياأمير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال لما الغامرة ياأمير المؤمنين قال مالانبات فيها قال قد أقطعتك ياأمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سال ماساله ولو سال ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المامون انه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمامون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال ياأمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره اتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المامون وقال بالله أعد على ماقلت فاعاده فالتفت المامون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المامون بالانصراف قال الرجل ياأمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول ماجاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر

وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العدم لايكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل أقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أمانعم مثمرة وأمالا مريحة فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر ألف دينار (وحكى) ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لاتقدر على السفر فلما رأت زوجها متهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد عليه شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى

فلومر وابه على ناظر انقرحت جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هى الشمس العيون منزولة واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم من أولج الميل فى المكحلة (ومن انشائه سقى الله ثراه) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر وصاليه فى هذا النحو جار ومجرور والمهامه قد نشرت فيها ملاء السراب وزخرفها بحر ماء ولد لغير رشدة على غير فراش السحاب وجر الرمل قد منع حث الرمل ونحن فى أكثر من جموع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كالمحابر يغترف منه الجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ نغرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق فى ساحات النفاق لافى ساعات الفراق فيالك من ماء لاتتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو ماوصف به أهل الجحيم فى قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعلون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قد وارت الارض فاطمع * على أنه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه) الى أن يرد كتب العسكر وأعلامها من مدات ألفاته ورؤس العدا اذا طعان همزاته (ومنه) فبنت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنة وطارت اليهم عقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنة ونصبت عيون السمر الى قلوبهم

كأنما تطلب سوادها وقصدت أنهار السيوف (٤٦) صدورهم لتروى أكبادها (ومنه) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الالان ظهره

من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع ابن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عنده من أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأهما معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر)
ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطانى كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فاننى * لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر)
لنوائب الدنيا جعلتك فاتقيه * يا ناعما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * أم فى المعاد تجود بالانعام

(ومما يحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه) روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك يا رسول الله قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم *وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بنى اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لان تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر *وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم

وقال أبو محلم السعدى
اذا ما رماك الدهر فى الضيق فانتجع * قديم الغنى فى الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال أحمد الانبارى)
لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

(وقال سلم الخاسر)
اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى أبوابه لا تحجب

محراب ولا أنها اهمت خرسا الا قبل أن ينفث سيدنا فى روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت الا ليبعثها ما ينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الالانها أعلام عباسية وتناولتها الحضرة بيده لاجرم أنها تحامى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتشجع بها أيديه عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب افرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الالسنة ان فى الايدى كما فى الافواه لسانا (قلت) ومن مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان انه يقضى بأيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه كنت أنضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصلب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (ومن انشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأصفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربى النبات بجره ويحيى مطاقه الحيوان وتجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حبرها وينشر موا انها ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك الله فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاستظهر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشره من كان خائفا يترقب ورأينا

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقال محمود الوراق) شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب

فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

(وقال ابن دقيق العيد) وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه

فقلت لها من كان غاية قصده * سؤال المخلوق فليس بنابه

اذا مات من يرجى فمقصودنا الذي * نرجيه باق فلوذي ببابه

(وقال بعض أهل الفضل) لما افتقرت لصحبي ما وجدتهمو * لجأت لله لباني وأغناني

واها على بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاي زالاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردني ردا أقبح من خلقته وسال عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملء اهابه * تجردت من غمد القناعة صارما

قطعت رجائي منهم بذبابه * فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه

غني بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به * اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا

ولج عتوا في قبيح اكتسابه * فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدى له ما لم يكن في حسابه

فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه * فعما قليل وهو في غفلاته

أناخت صروف الحادثات ببابه * فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقي في كتابه

وجوزي بالامر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

(وقال آخر) لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول

واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل * من عف خف على الصديق لقاؤه

وأخو الحوائج وجهه مملول * وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد

انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

(وقال آخر) لا تحسبن الموت موت البلى * وانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

(وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان * خوفا من الناس أن يقولوا

فضل فلان على فلان * من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي اذا جفاني

ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم فاعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها * وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فاهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضيل بن سهل ما استرضي الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح

الابانة عن لطائف الله التي حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمه الله في حقه من الاذاعة وتبعده من الاضاعة وتتعرف على ما يصرفك في الطاعة وتشهر ما أورده البشير من البشرى بابانته وتمده بايصال رسمه مهنأ على عادته (ورسم لي في الايام المؤيدية وأنا منشئ الديوان الشريف المؤيدي سنة تسع عشرة وثمانمائة) أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمني من المنشئين بالديار المصرية حتى أن المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة وكان غرضه في ذلك اختبار الالفاظ والمعاني من الرسالتين فانشأت بعد المستعان بالله * ونبدي لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذي عاملنا فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا في طرق الوفاء على أجمل عادة وخلق أصابعه لبزول الابهام فاعان المسلمون بالشهادة كسر جسره فامسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا وأتبعناه بنوروز فمابرح هذا الاسم بالسعد المؤيدي مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وارتشفها ريقها الحلو فمالت أعطاف غصونها اليه وشبب خوبره في الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بفوقا ما جاء وعليه ذلك الاحرار وأطال الله عمر زيادته فتردد في الآثار وعمته البركة فاجرى سواقي مكة الى أن غدت جنة تجري من تحتها الانهار وروضا مشتهى

الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله تعالى عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدور ويقال فى نشر المهاداة طى المعاداة

(ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها) أهدى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتامل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد * وأهدى ملك الروم الى المامون هدية فقال المامون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فاستعظموا على حالها فقال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائة رطل مسكا ومائتا فروة سمور (وأهدت) قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل لزنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شماماات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب ابن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة يدرابن يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائتا رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم وأهدت بريابنت الاوبارى ملكة فرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقورة وضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت باجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها أشبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء * وأصلح حاله من بعد شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء * فينعم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

وأهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل فارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع

ا الروضة فى صدره وحنا عليها * (حنو المرضعات على الفطيم) وأرشفها على ظما زلالا * ألذ من المدامة للنديم وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسعى فى الارض سلافته الخمرية لخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحياه امهات العصف والاب وصالحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقية ولبس الورد تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتى فى أيامه قويه ونسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول معالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بخلائق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على الجر الا تحرك ساكنه بعد ما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الخور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون رائده على الغور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وأهدى وحل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط

*وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الىّ صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوّج فاهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فاهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد جموا اليها فقال

جوامواليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
واست أقبل الى ماجلوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفى سودده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى أن يتطوّل بقبول القليل كتطوّله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة أن الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك) *

*(أما العمل) * فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق *وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل *وعن على رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الاحيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله أن أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه *وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

فى برزخ بين المالح وبينه وطاب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فما شعر الاوقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفة وتوثقات أرداف أمواجه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال شبق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى حمرة وجناته وكلما ازداد ازداد الله فى حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبع فنشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الحر بزجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدى وكسره وقد أنزذا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناه حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد جاءت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطرة والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت متشنفا ولا برح من نيلها المبارك والنعماء الشريف على كلا الحالين فى وفا (قات) تقدم قولى ان الشئ بالشئ يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك منارسالتى البحرية التى كتبت بها الى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدمامينى فسح الله فى أجله

(٧ - ف - نى) من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولى اليها من ثغر طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها شاثبا من أهوال برها وبحرها وذلك فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهى) يقبل الارض التى سقى درحها

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك * وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى درع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهينى وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لارجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال * (وأما ما جاء فى العجز والتوانى) * فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى الاله الحق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله تعالى عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى الفساد * وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض

بنزول الغيث فاثمر الفواكه البدريه وطلع بدر كمالها من المغرب فسلنا المعجزاتها المحمديه وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد لقد حسنت بك الايام حتى * كانك فى فم الدهر ابتسام

فاكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت للباطل به حجة عرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجة وأفق معال بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم وميدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وتالله ما الفرسان الشقراء والابلق فى هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وثغر ثلاثية ما السجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار وأبرح ما يكون الدهر يوما اذا دنت الديار من الديار وصول المملوك الى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مذعور ولما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بالسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى * فكيف بالبين والغراب (يا مولانا) لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ما شعر به البين نظام وكسرت الحرب فى ثناياه عن انياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا النافية ثنية ولا نابا زأ مستة

ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاص عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقرؤه يوما نهارا كله فقال اقرأه بالغداة والعشى و يكون يومك فى صنعتك ومالا بد منه ومر رحمه الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كاف التقوى لكانت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر)

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة و يقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل و يريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق (قال أبو العتاهية)

اذا وضع الراعى على الارض صدره * فحق على المعزى بان تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال (وأما التانى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من آفات الدهور ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التانى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل * وقال بعض الحكماء اذا شككت فاحزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا بيد الرفق تجنى ثمرة السلامة وبيد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التانى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتانى فبماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

(وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها) فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته و يعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس عليه السلام خياطا * ووقف على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه على خياط

شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا فلا نظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام ثلاث الابيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدات جنتهم ابنار الحرب التى كم تقول لها هل (٥١) امتلأت وتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك فى هذه الواقعة الا مكرها لا بطل كم قلت لسارية العزم لما كشف لى عن مضيق سهلها ياسارية الجبل ولم يطلق المملوك عروس حماته الا جبرا أظهر وابه كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره (يامولانا)

بوادى حماة الشام من أيمن الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
بلاد اذا ماذقت كوثر مائها
أهيم كانى قد ثملت باسفنط
ومن يجتهد فى أن بالارض بقعة
تشاكلها قل أنت مجتهد مخطى
وصوب حديثى ماؤها وهواؤها
فان أحاديث الصحيحين ماتخطى
بمعصمها ان دار ملوى سوارها
فيا الشام بالخلخال أو مصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها
عقود الها العاصى رأيناه كالسمط
وترخى علينا الغصون ذوائبا * يسرحها كف النسيم بلا مشط
ومذ مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دوراء على ساقة السبط
سقى سفحها ان قل دمعى سحابة * مطنبة بالدمع مهملة النقط

فقال له ياخياط شكلتك الثوا كل صلب الخيط ودقق الدرز وقارب الغرز وزفانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافاة وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفى الحديث أكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة ولا حاكة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطقاما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان أردشير بن بابك لا يرضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشير والحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم (قال أبو العتاهية)

ألا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أوحجم

وهذا ما أردنا سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه باهله) روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضى الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يات وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه * وحكى عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ فى صبحها * جرعته ممسيا كاس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه (ومن ذلك قوله)

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله)

وما مر يوم أرتجى فيه راحة * فاخبره الا بكيت على أمسى

(ومن كلام ابن الاعرابى)

عن الايام عدفعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

وقال على رضى الله تعالى عنه ما قال الناس لشئ طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان بن فلان

وياأسطر النبت التى قد تسلسلت * بصفحتها الازرات واضحة الخط ولازال ذاك الخط بالطل معجما * ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط لويت عنانى فى حماها عن اللوى * وهمت بها لا بالمحصب والسقط ولذ عناق الفقر لى بفنائها * وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل أحبابى ومنبت شعبتى * وأوطان أوطارى بها ورضا سخطى
نعمت بها دهرا ولكن سلبته * برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى
وقد جاء شرط البين انى أغيب عن * حماها فقد أوفى فؤادى بالشرط
وحط على الدهر عمدا وشانى * الى غيرها صبرا على الشيل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت انابها * منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى * فتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط
وقد سار يمشى الهم نحوى بسرعة * فياليته لو كان فى مشيه يبطى
وأصبح نظمى راجعا بى الى ورا * كانى فى الديوان أكتب بالقبطى
(يامولانا) وأبلك ما الغيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر اللجج وشاهدت منه سلطانا الملك جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت أزرقلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تمشى فخففت أن رأى بين

الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمري الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم في رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فمت مكاني فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كاماتني * وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولي خراسان حازمن الاموال ماقدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق في كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤي بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها * وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة في يوم شات وهو جالس في قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك في رأس الجسر وهو يسأل الناس (ولما) قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل في داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ في عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تؤوي كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب باهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت في الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدي ابن زياد في قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال سفيان فقلت له كم بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش في وسط الماء وفي وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعي رضى الله تعالى عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير ما استعملته الحذر * أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر * وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة * وأعجب ما وجد في السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقاعه من الملك وخروجه الى الجامع في بطانة جبة بغير طهارة ومد يده يسأل الناس بعد ان كان مالكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء * وقيل كان لمحمد المهلبي قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث الا انه من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فاشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبي الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذي كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسي * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فاشتريه

فلما قرأها تذكر فامر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد

جاء يسعى في الفلك جالسا غير صائب واستصوبت هذا رأى من جاء يمشي وهو راكب وزاد الظما بالملوك وقد اتخذ بالبحر سبيله وكم قلت من شدة الظما أيا ترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة وهل أبا كر بحر النيل منشرحا * وأشرب الحلو من أكواب ملاح بحر تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العمد فيه سوداء استرقت ، والبناو هي جارية وغشيهم منها ماغشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها فقدر حالها وجرى ماجرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت على البحر وهي مثل وكم سمع للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين في تابوت ثاني بالطباق ولكن بالقلوب لان صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها العبث أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم نطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وندعي براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الامواج وكم وحاشا

الملك ابن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا او ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

(وقال آخر) يامعرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(وقال آخر فى معناه) يامنزلا عبث الزمان باهله * فابادهم بتفرق لايجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع * أيام لا يغشى لذكرك مربع
الا وفيه للمكارم مرتع * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

(وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى)

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة بمعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

(وقال بعضهم) ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كان بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتنى مكانه (ويقال) لا يقاوم عز الولاية بذل العزل

بيت مامن مسىء وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

(وقال الامين) يانفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر * كل امرئ مما يخا
ف ويرتجيه على خطر * من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة مابال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هانى من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

(وللامير أبى على بن منقذ)

أما والذى لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم * لئن كان كتمان المصائب مؤلما
لاعلانها عندى أشد وأعظم * وبى كل مايبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وأيم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

القلوب لما صار لاهراب محاديفها فى مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح فى نشو بشها وكم مر على قرينتها العامرة فتركها وهى خاوية على عروشها تتعاظم (٥٤) فتنزل الى أن ترى ضلوعها من السقم تعد واقدر أيناها بعد ذلك قد تبت وهى حمالة الحطب

فى جيدها حبل من مسد وخلص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذى الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شاطئه بين عين الحياة والخضر وتلاسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضى الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء مع كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية فى فصل الشتا وايستر عوراتها بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين ولكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ماجرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذى قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا اذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربى برد وسلام والله تعالى يمن بقرب المثول بين يديه ليحصل للمملوك بعد التخلص من

البين حسن الختام (القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك) وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بامواجه وجمر وصدره المظلم ويقال بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طاقاته والكفر مجاهد ولكن بانقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عني خمسا اثنين واثنين وواحدة لا يخافن أحد الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحي أحدكم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروي في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا مما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك أن العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فاخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا

تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (ومن انشائه) وكيف لا يحمد المملوك ثلاث الاشواق وهي تقربه من المولى بالتخيل اذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لانتهب من دموعها بماء محرقة فهو منها في نار وجنة مغلول بغله مطوق بمنه (ومن انشائه) ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا وشوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر كلمح بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر)* خليفة القاضي الفاضل (ومن انشائه قوله) نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان وذلك بفتح حصن الاكراد الذي كان في حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بماء السيوف المجردة وشجى في صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه بابطال الحشيش بعد الخمر) نعلمه ان المنكرات أمرنا أن علا الصحائف باجرها وتفرغ الصحاف وأن لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف وقد بلغنا الآن أنها انحصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ما قصرت وان أم الخبائث ما عقمت وان الجماعة التي كانت ترضع ثدي الكاس عن ثديها ما فطمت وانها في النشوة ما خيب ابليس مسعاها وانه لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت

والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فاخبر فاطمة رضى الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بابى جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله تعالى عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكاله فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا تولت أعقبها الفرج والفرح عاجلا * ومن أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجات
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجات * كشفت عنك جملة وتخلت

(ولمحمد بن بشر الخارجى)

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(ولزهير بن أبى سلمى)

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح فى البيدا اذا ما تغيرا

(ولابن نباتة)

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
ذلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد)

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر (وقال نهشل)

ويوم كان المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرناله صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من القدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخز بدينار وان ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم ما يعرف من الاحرار فى الكاس وصاروا كانهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نامر بان تجتنب أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تتنبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) فى بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنه اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الا درع ولا جدول الا حسام ولا غمامة الا نقع ولا وبل الا سهام ولا مدامة الا دم ولا نغم الا صليل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا (شعر) وضاقت الارض حتى كاد هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا (قلت) ذكرت بهذا وكان التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين تلاعب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى شفاعة تمانسج على منوالها (وهى) أدام الله نعمة

مولانا ولا زال علم علمه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض العدا ولا برحت أقلامه لافعال الشك جازمة ولا عداته متعدية ولا آرائه لازمة
(أما بعد) فان فلانا حضر وادعى أنه رخم في غير النداء وجزم والجزم لا يدخل في الاسماء واستثنى من غير موجب نخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذي دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه في الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف ما يوجب العطف ومن المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لا زال مولانا بابا للعطف والصلة وما آثر مكارمه متصلة لا منفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلي بالقطر النباتي وقد عن لي أن أورد هنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهي في رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهي) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وحامي حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن اذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها من عقد التدبير بثمينه واذا نوى في السيادة فعلا أمضى العزم السني قبل دخول سينه واذا جل بنانه القلم روينا عن ابن بحر كتاب بيانه في الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذي أيد بالروح الامين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا الى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريده من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الارضي في سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الاعظم بتدبيره تمام ما يخط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبني والصبر رباني * والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

اني رأيت الصبر خير معول * في النائبات لمن أراد معولا * ورأيت أسباب القناعة أكدت
بعرا الغنى فجعلتها لي معقلا * فاذا نبا بي منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لي منزلا
واذا غلا شيء على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(وقال بعضهم)
اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم)
وما من عسر فوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ما قيل)
الدهر لا يبقى على حالة * لا بد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي أن تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكرب وعون على الخطوب وروي عن ابن عمه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بالغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هؤلاء القوم الذين وقفوا علي صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده وبسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كان أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله تعالى عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذي صبر واعليه

فانما تتبدى بنزها مفرغا عن القلم بتشمير هامته فدا أمر سلطان أو مبلغا أحكام عدلها واحسانها يبني مما لكها على الاسل من أقلامه ويحوط
أطرافها الحاطة الزهر بكامه ويحفها باوصاف وزيرية يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان)

صاحب هذه الدولة التي
خضعت لها الدول وفاضل
أمرها الجليل وواسع دوحها
الذي ما مال مع الهوى
وقديم صحائفها الذي تلا
تسديده ما ضل صاحبكم
وما غوى وضابط أمورها
الذي طال ما استشرفت اليه
اسماع وأبصار وانتصرت به
تقديم هجرته فلا غروان صار
من المهاجرين بها والانصار
المقر الاشرف الصاحبي
الوزيري الاميني أعلى الله
تعالى أبداً شأنه ورفع على
فرق الفرقدين مكانه وزان
بأقلامه أقاليم مصر فهذه
سهام وهذه كنانه ممن
استدعته رواة المحافل وتردد
في المناصب العلية تردد
الاقمار في المنازل وجمع
الاوصاف الوزيرية جمع
أبي جاد للحروف وتنبه قلمه
ونامت ملء اجفانها السيوف
وعرف بالسيادة والزهد فعلى
كلا الحالين هو السري وقدره
معروف وكنت أود لو نقلت
الشهادة بصفاته عن الخبر
الى المعاينة وجمعت بأزمة
مقره الشريف الظاهر
الوصف باطنه ورويت الاخبار
عن لسنه وجنيت الورد من
غصنه بل الثمر من معدنه
هذا وأشغاله بتدبير الدول
شاغله وأيام البعد عند
فراغه بيني وبين القصد
حائله (فلما) عزم بدمشق
المحروسة سنة خمس وثلاثين
على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على ما في خاطري وأمرني بالمسير في ظل ركابه فسر على الحقيقة سائري فاقرأ
وكاشف ولا ينكر الكشف لمن كثرت زواياه في البلاد ونظر لحالي ولا ينكر النظر في الاحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له في استصحابي

حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فاقول ذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون أنه
قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ
على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرنك فقال له ابنه يا أبي مكني من العصا
فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى
ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه أنه لن
يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من
خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال أنا على كل
شيء قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن
ضربه الا أنهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يا رب كيف اتخذ هذا
البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد
اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه
وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بامطار كافواه القرب حتى
عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى
من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل
التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما
ابراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم
أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال
ونادى منادي ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقته فلم يتخلف منهم أحد
وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا
فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم
رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال
حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة ونزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال
يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى
يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الارض
وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك
ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه باخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه
ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه
ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وبادر الى ذبحه من
غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه
ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين
خلقه واجتباه (وأما الذبيح) صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال اني أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل
بين الجبال قال له ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل
ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقي كي لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها
رشاش الدم فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي واذا لقيت أمي

فاقرأ السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يابني على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال ياأبت اطعن بها طعنا وقال السدي جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لاتعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودي أن ياابراهيم هذا فداء ابنك فاتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فاخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم أن جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام) فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الآخرة (وأما أيوب عليه الصلاة والسلام) فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ماتضعف القوى البشرية عن حمله * واذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بني اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له في مملكته فاوحى الله تعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطني على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعائها فاحتملوها جميعا وقذفوها في البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجناته فاحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فاهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلي فتمثل له في صورة رجل من غلمانه فقال ياأيوب أنت تصلي ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذي أعطاني ذلك كله ثم قبله مني ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطني على جسده فسلطه فنفخ في ابهام رجله فتنفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقي امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما في صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه السخلة على اسمي فيبرأ فجاءته فاخبرته فقال لها ان شفاني الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تامريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لاطعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهي على ماقيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بالطافه عليه فقال تعالى فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه في يمينه تحلة قسمه ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولي العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤلهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم * وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقي من ساق القدر اليه جزعا ووزرا وهما) شنف السمع من نجع هذه الاشارة وأتحف النفع في نهج هذه العبارة ماروي عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت مادهاك ياهذا فقال اكتم على أمري

مقصد تقبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك اني كنت لابس اثواب الحزن على ولدي مقيما بين المقابر اقامة تفت حبة قلبي على قطعة كبدي ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار وجه عاجلته الايام بصرف المنون أطلب قلبي في التراب وأنشده وأطارح صوت الصدا فينشدني وأنشده شعر

يالهف قلبي على عبد الرحيم ويا
شوقي اليه ويا شجوي ويا داني
في شهر كانون وافاه الحمام لقد
أحرقت بالنار يا كانون احشائي

(وقال أيضا)

آها لعقد قد وهى سلكه
وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنه الردى
وعاد ذاك الدر دراً يتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحي في اسداء العوارف وابداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عني بصحبة ركابه الكريم لباس الباس ويشغلني بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهضني بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلي قربانا لايفطن لمثله الامن ومن فيالها سفرة قابلها وجه الاقبال بالسفور وتلا فضلها الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا الغفور شكور ومدفيها الانعام على ظلا ظليلا وملأ بيتي وعيني دقيقا وجليلا وأمرني أن أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدي السعد قد ذللت الطرق بل طونها وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها والارض قد شرعت في لباس حليها وحللها ومراعي لربيع قد وعدت حتى الشمس لتسمين جملها والشتاء قد آن أن يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض أحق بقول أبي الطيب المتنبي

حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت في أضيق حال وأسوإ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معي فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقي فاخذني حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني فقلت الهي اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فاخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يامن لا يشغله شيء عن شيء يامن أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف علي منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضني أحد فانا زائر الله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانصرف يقصد الحجاز * وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يامن ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل * عند الاياس فاين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سياتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلي ولعلها

فاجابه أبو أيوب يقول

صبرتني ووعظتني وأنالها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر) قال النووي رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالاسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكي (وقيل) تزوج مغن نائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك * وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لاهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا * ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك في فم الدهر ابتسام فاتينا الكسوة بلدة نامنها المسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول وقادة للمقاصد تباشري بالحظوة ولعيون الاقبال تاملي فما أحسن الكعبة في الكسوة ومررنا والخيل تجمز جمزا وحزنا بالصمين فهممت أن تفخر وطئ خيلنا على اللات والعزى وصعدنا بمنزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزنا ورأينا بينها وبين منزلة الغبير أرضا قد اخضر جنابها وطرزت بآثار طرف ثيابها فامرت بالقول فقلت

سقى الله أرضا طرفها مثل طرزها * وسائرها برد من الوشي أخضر
تذكرت أحبابي بشوى بريدها * فعيني رأس الماء وجسمي الغبير

ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه أهليه وسألونا أن نريح عندهم الركاب من الاين وعجلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين ووجدنا هنالك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسير وارتد طرف قصده عن القدس خاسئا وهو حسير فامرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على السفر والاقامة ولحقه في ذلك فقير عجمي ينشد لسان حاله بي مثل ما بك ياحمامة فلم أرمثالها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصدقا يجلس لحظة واحدة فيركض نداه في الغرب والشرق وعجائب لون تحشر الناس لديه ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الاصوات بالادعية الواهبة ملقاة وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف تكتم وهي ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام في مروجها الخضراء تحت

ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أى رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سالنى درجة لم يبلغها بعمله فاحببت أن أبتليه لابلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى حكى أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولد له انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فاصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه * وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما فى نبى الله يوسف أسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

(وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل)

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
والشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد
غر الليالى باديات عود * والمال عارية يعار وينفد
ولكل حى معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلى ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدبر حين عزل

ليهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

(وقال آخر) قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود * وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على

قلعتها الغراء وهى فى معارج السحب صاعدة شائدة فى الجو كأنها فى السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الانجم كأنها أدرتها اليتيمة جالسة على سرير الجبل تنادم الفرقدين كأنها جذيمة فتنظر فى المصالح وتميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينظر الغادى الذى هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا الى الغور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا المزارات التى نوينا قصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هذه الامة الاول أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاح ونظر فى مرتبه بعين العدل وأعانه بيد السماح وجعل والى الناحية عبيدة وما جعل لمشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المطور فاعجبنا رياوره وكنا نظن الماء فيه غورا فوجدنا الغور ماء وخضنا فى حديثه وخاضت الخيل وتركنا عقباته كالمعلقة وملنا الى السهل كل الميل وتلقينا كل ذى قصد ببشر الصباح ولم نقل أهلك والليل ومازلنا كذلك لا نمر بواد الا أتت مع الابتهال بطول العمر رماله وأرامله ولا بناد الا قامت للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الا زها على التى بين السماكين بدرها ولا ماش الا حمله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء صنوف ولا جائز الا شملته جائزه ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزه ولا ظبية من ظبيات دمشق الا والمكارم توالها وتوالها وتوجدها فى القفار كم توجدها أولياء الله فيها الى أن قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسقنا اليه طرة الصبح تحت أذيال الظلام وخفف بنا جناح

أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثاني أني قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أني قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والخمسون فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب)

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم قال أبو حاتم

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست في مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر)
عسى الهم الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتي أهله النائي الغريب

(وقال آخر)
تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر)
لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعم مزالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روي أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي بن الحسين عليهما السلام فافرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سحنته مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى * وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي الى ليلا فراعني ذلك

السوق والشوق حين دنت الخيام من الخيام وألين باب جوه عصى السفر وألقت هنالك رحالها ركائب المطار وزرنا باب الرحمة من الارض وزارنا باب الرحمة من السماء وصرنا من

الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء وجدنا الاوطان والاقطار واستمرت السحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى تتفجر منها الانهار وأقمنا في بيوت أذن الله أن يرفع شانها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالخالد سكن بيتا حسنا وغمض عينيه على الرقاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ما تقول في بيته فقلت ما أقول في جنة الخالد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما يفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على أبواب الصاحبية أفواجا وما ترك أحد منهم منهاجا اذا ناجية الا منهاجا ومكثنا في البيوت الى أن صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقفنا البقية المشاهد قاصدين ولتلك المباني المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطئ القدم دموعا عزت بلمسها ولا نقول هانت ونظرنا آثارا قد عقلت عيون النظارة وآثارا متجددة في هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف في طريق الزيارة متاملها ووقفة في الطريق نصف الزيارة فمنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف تستلم كالحجاج أركانه وتقلب وجوهنا في سماء سقف يكاد عطار لمنا الجبينه وعقبانه ونشاهد رخاما بالغ في الحسن حسنه والمحل الاقصى في الاقصى وتمت به في بهجة المكان زيادة تخالف قول النحاة ان في الترخيم نقصا فأما المياه التي تجري في الحرم على رأسها وتطوف

فجئته فاذاهو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدني أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدي فقال والله ماذاك من شأني فقال صدقت ثم قال ياربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حروان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فرأيت انسانا أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج اخفاف فارسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بهما فاقتهما لنا من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها القدوم علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته مالي فيه من شعر فامر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

(واما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فاتي به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فاقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل افريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول اطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فامرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشى عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في

على مواضع المنافع بنفسها فذلك نعمة مقيمة يكافي الله عنها في دار المقامة وحسنة في المعنى والصورة جارية الى يوم القيامة ومن المباني المذكورة ماهو خصيص به ولا نامالك الامراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذي قدر عند حده فلا يتجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروي الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضئ عليها أنوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل

تمال اليتامى عصمة للارامل

وقلت فيهما

بنيت رباطا للنساء ومكتبا * يدر على الايتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذلك كما ترى * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فجنينا من تلك المحاسن بساتين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقوبل السؤال ببحر لا يسمع عنده نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصى يأتين من كل فج عميق فوضع في مواضعه في النوال وقدرت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشرافها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء الاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها لحاتم هذي التي لا ناقة لك فيها ولا جمل * (ومما قلت في ذلك) * لله كم حال امرئ مقتر * قضيت في القدس بتنفيسه ودرهم ولي ولكنه * قد أخذ الاجر على كيسه ثم تليت الختمات التي شرف الله تعالى ذكرها وما عيد التفاسير والرقائق التي أجرت الاوقاف الصاحبية أجرها وشرع في بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية

فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلنى فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتنى وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدى فامسكونى وأتوا بى اليك وهذا أمرى فقال استحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتنى لهما لا أعود الى معصية أبدا * وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرنى الى غد قال وأى فرج لك فى تاخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شان وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة تخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق حزنا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فاخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فاطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فاطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قالوا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه * وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه فقضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جروها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر أدناه الى الفرج

(وقال آخر) فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعترانى هم فانشدت قول أبى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وأمر الله ينتظر * أتيأس أن ترى فرجا * فاين الله والقدر

الا سرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتونى باخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فامر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين يكرر ذلك مرارا فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقيناه هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت وما زلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه * وحكى سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل

بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام فى التوشيع والتفويف فيالها ألواحا كتب فيها من الحسن كل شئ واطرد ماء رونقها فكأن العين منها فى ماء وفى ء ويا له رواقا شاق وصفه وراق ورفع محله فقال لسان المتصوف حبذا رفاعى الرواق ثم رتب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا قصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجلية وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى الخليليه وزرنا قبر يونس عليه السلام فى طريقنا ورفعنا لانواره الجفون وتلى عند الزيارة وذا النون بذى النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى وجدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا مقام ابراهيم أمانا واستلمناه من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهى عدسه لونا ووجدنا من الهنا ألوانا وقلنا للانفاس الشوق كونى بردا وسلاما على ابراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفى ظما الراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجرت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله فى ظل صاحب * جلى العلى والمكرمات جليل
فهذا الدنيانا وهذا الدينا * فيا حبذا من صاحب وخليل

وسرنا فى ظل الصاحب من الخليل وكادت دمشق تمد أيدى اعطافها المجاذبة ركابه ومصر تتضرع باصابع نيلها طمعا فى اقترابه وترضع ثدى هرمها داعية الى الله بعوده اليها وايابه وهم شباك الوزارة أن يتلقى صاحب فتحه وصدر [illegible] الجزائن أن يعانق ما اعتاده من رأى عطفه ومنحه فانه ما جلس فيه أبهر وأبهى من الطلعة الامينية باجماع الآملين التاملين والخزائن التى كم قال

عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوّافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطوّاف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص اصحاب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطوّاف يصبره ويقول له لا تجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ماضاع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومنها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولد لى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لامه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فابقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها أشياء من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص ياسيدى أريد أن تاتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا لى منزله فاقبل على الطوّاف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كماذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطوّاف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن ياخذ شيأ ثم دفعها للطوّاف جميعها فاخذها ومضى ودخل الطوّاف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين * وحكى ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذى فيه القولنج فخرج مافيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان * وبضد هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فاووا الى دار خربة هنالك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسوّوا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فابوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته * قال وأخبرنى أبو القاسم ابن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار الى دار هنالك قصة عجيبة قلت وماهى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة فى تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع مامعه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هنالك فاعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل لياكل معه فساله عن أمره فاخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك

لها تدبيره انى حفيظ عليم فقال الملك وانك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا الاقدار الى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت أكياس دراهم الصلات وثقلت أكياس دراهم الحل وأقمنا ثلاثة أيام نكاد ننشد خرجنا على أن المقام ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا عشرا ورأينا مسجدا يعرف بالركنى قد غير الزمان محاسنه الانيقه وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقة فامر مولانا الصاحب بعمارة ما منه اندثر ولحظت الآراء حجارته المنقضة فتبين أن السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع فى هذه المنزلة من المعروف ما لا صنع ذوو الدهر الطويل مثله وبنى من المكرمات ما ثبت ولولا ابداع سعادته ما ثبت البناء فوق الرملة ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام فمررنا فى طريقنا بجملة خير معترضة وبنية فى وجهة القبول مبيضة تحتوى على قبر بنيامين أخى يوسف عليهما السلام فالحقناه بالزيارة باخيه وتوكلنا على الله فى القبول توكل أبيه وتيممنا ببنيامين وقرعنا أبواب السماء بادعية فاتحة فقال النجح عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور منشرحة والطريق الى خير الدارين متفتحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه نضرة يحيى كرسين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها القادم انا نبشرك بيحيى وبتنا ليلة طيبة نحييها ونفيت النوم ونعمى بالسهر أمره فماله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا وقوينا على قصد بنى الجذان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فانقذت أنواره القلوب من الهم أى انقاذ وكدنا نفتتن بالانس حتى نقول أفتان أنت يا معاذ وأمسكنا عنده من الدعاء بعروة لاتنفصم وأوينا

من طوفان لذنوب الى جبل ينجي من به يعتصم وأمرنا بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل مزار وردنا عليه في هذه السيارة فانالانفارقه الاعن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا عن الهور نم وض ليثه الملبد وجزنا مبتسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم فراقه اربد انتشقنا من تلقاء طيبة الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل التي قدمنا ذكرها ورجعنا كما نسترجع منازل الافق زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كدنا نتنشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعي الجليل وفاصلنا السهر على كل وجه للفضل جميل وقطعنا بالكسوة ليلا طال لانداوه كل ليل للعاشقين طويل وفي تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة كدخولنا الى القدس الشريف سائرين سرى النجوم في الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لخواطر الملتقين ومهمات وقد سال منهم السبيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الازهار وأجرت أمام ركابنا الانهار وأبدت من وشي البديع حلالها من أوائل ماانعقد من الثمار أزرار فائزين من الثناء والثواب بفوق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتيته باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن مايكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت في الليل المذاكرة والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت أرتقب جواهره وأزاهره وأردت أن أذكرها في هذه الخطبة لانها جواهر وأضمنها بعض العلم في هذه الاوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المسجوع فقال

الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى مانحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم يرأحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير في المشي الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا مارأيناه ولاجامعنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشي أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فاظهر واالسرور وأعظموا حاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على مانحن فيه من الضر وروا الحاجة فانك أخذت مالك معك وماتركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ماوجدنا مانشتري به شيأ للنفساء فاتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فاخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت امام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فاجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا مانحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ماطلب فبينماهو كذلك اذحانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال ياعدو الله اتثني بمالي فقال له البياع ماهذا يافلان والله ماعلمتك متعديا وأنا أبدا ماجنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجي هرب به خادم كان يخدمني وأخذ حماري وجميع مالي فقال البياع والله مالي علم غيرأن رجلا ورد علي بعد العشاء واشترى مني عشاءه وأعطاني هذا الخرج فجعلته في حانوتي وديعة الى حين يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد نائم قال له احمل معي الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالي ياخائن قال هاهو في خرجك فوالله ماأخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذي معك فعطاعنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لايخيب من قصده ولاينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبرا استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب في الالواح وامتزج بالارواح وعد في جملة البشائر العظام وجرى في العروق ومشى في العظام وكان خالد بن عبد الله القسري أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له اني لارى فيك آثار الخلافة ولاتموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولي أتاه فقام بين الصفين وقال ياأمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك ومامثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسينه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدي اعرابي فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتاني آت في منامي فقال ائت أمير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم وأبدا عروسا

الى هرون تهدى بعد موسى * تميس وما لها أن لاتميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشافاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا (وقال) ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا * ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد ابن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية * ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) * عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها ما لك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما أخرجتك من يدى فاعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضى الله تعالى عنه أتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فاراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قومهن فقومهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسين بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدت هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقهم مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمر والعبدى

نهيتكم أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك

واقتضى الحال أن اجمعها فى سفر يقال فيه ثلاث رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله ان هذه النبذة من القول وردت من قريحة هما فقد الولد بقرح وأى قرح وقال تفكرها الذى كان حائك الكلام لست اليوم من ذلك الطارح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذرى ويعلم السبب فى كونها ليست عادة نظمى ونثرى واذا كانت القريحة فى بقايا قرحها فليت شعرى أينهض سجعى وشعرى والله تعالى المسؤل أن يجعل فى البقاء الصاحبى سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقنا فى شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد (قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبى الاميني رحلتى صحبة الركاب الشريف السلطانى المؤيدى سقى الله ثراه الى البلاد الرومية وبروز أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة المجهزة الى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم الله شانه فقرأها بالجامع المؤيدى والازهر فى شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لى أن أقرنها بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهى) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ولا زالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترنحه بنسمات قربنا وتجاور كريم سمعه لباخذها بالشفقة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فيا لك الشريف يبشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة تهدى اليه من أوراقها ثمرات الفتح لتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربياتنا من شواهد

فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك

وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بارماحنا قسرا * فما زادنا فيها السباء مذلة

ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا * وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا التقى الابطال يطعنهم شزرا

ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة * ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فادعو به * سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر * ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد

فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فارسله يوما يشترى له عنبا وتينا فابطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين فمرض الرجل فامر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتنى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبى صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فاقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطاعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد باعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتنى لارمين بهما فقال الله الله يا ولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ماهى الا نفسى وانى لاسمح بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخرج مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فاخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمرو الاعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه أنكره كأن لم ير منك شيئا وكلما أحسنت اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانه سارحله ويده تشد اليها الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهى لها من أطهر الاذيال ونبدى لكريم علمه تجلى مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيديه واستقرار سيس فى هذه الحلبة على قديم عادتها بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعدما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الادعية من أفواه مرابيها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها وتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الارض طائفتها الارمينية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة الشريفة بعيبة الصوفية ورغب ابن رمضان فى طاعتنا الشريفة فجعلنا له فى ربيع حلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمى وأدنيناه من أرمنة فدنا منها الى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوة الفتح ورشفت بالسنتها فى كل قطر قطرها فلمحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت أبياتها لما انتظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصة من رحيق هذه الطاعة فامسى ثغره بافواه الشكر يقبل ويبسط جبين جسره لمواطئ خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظر لبنى كندبيت عاطية يقام له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس وتسحر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جمر لا يطعم وماهو الا كافر وقيل طال عمره فجاءته لما استبطأته جهنم وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند العصابة المحمدية من

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدي لامي يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم ألأم من الزنوج وأردأ لان المولد لا يعرف له أباً وربما يعرف الزنجي أبويه وقال في المولد بغل لانه بجنس والبغل تكون أمه فرساً وأبوه حماراً او بالعكس فلا تثق بولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب التاسع والخمسون في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم
وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم)*

للعرب أوابد وعوائد كانوا بها ضلالاً وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكراً بحروا أذنها أي شقوا أذنها وامتنعوا من ذبحها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا أعتق عبداً وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففي الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهي لهم وان ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمراً والميسر القمار والانصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهي الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفراً أو أمراً يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهي لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أي دفنهن أحياء كانوا في الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلاً عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فانكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً (وأما الرفادة في الحج) فكانت خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي فيصنع به طعاماً للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصياً فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم * وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر في الكعبة *(واعلم)* وفقني الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التيمي وابن سماك الاسدي الذين ضرب بهم المثل * فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله * وأما عبد الله بن زياد التيمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططاً وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي علي لا صليت له أبداً فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض

المرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فادبر مقبلهم وتخيل ان الموت أقرب اليه من حبل الوريد وأعربت أبوابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها ادخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة الى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفق مقبلهم وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم فخشي كل منهم أن يصير للجاعلي وضم ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامي ورأينا الصائب ناطقة وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر الا لمعت فيها من بوارق نفوطنا بارقة فزرقوا الاطواق من الخنق فطوقناهم بالحديد وأحيينا الفتح المأموني برأينا الرشيد وما خفي عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف في الغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دبره وظهور السر الابراهيمي لما ادعى انه نمرود تلك الفئة الغادرة كلها بسيوفنا فاخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة العالية فتحامى تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لا عاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه في بحر عساكرنا بعدما عض عليه بنانه وسمع الرعد من سيف ابراهيم ففر وقد شاهد من أصيب بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم أتراكنا وما روى أحد في ذلك اليوم من التركمان وسقوا أوعار تلك الجبال من دمائهم فكادت أحجارها أن تورق وتخضب بعد المحل وجنوا العسال على النصر وغنموا من الانعام ما زاد في عدد أجناسه على النحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ينشد * لها في الظبية أنس منكم نفرت * وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحلي من أفلاك تلك الصدور وقد انتثرت

أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت عيني عينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصار واحد يتناسبتشعاو مثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدى الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم *(حكى)* عن الحجاج بن يوسف الثقفى انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله ظفرنى باناس بلغنى الامل فيهم وأعاننى على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها من محاسن الحجاج وان تلك فى جنب سيآ ته والله تعالى أعلم

(ذكر أديان العرب فى الجاهلية) كانت النصرانية فى ربيعة وغسان و بعض قضاعة وكانت اليهودية فى حمير و بنى كنانة و بنى الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية فى بنى تميم منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فاكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الاصنام فاعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فيحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش و بنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكان اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث و يعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوّروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوّروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوّرهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم الصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمعها وعلاها التراب زمانا طويلا فاخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسوّل الشيطان لقومهم بعدهم ثم أن يصوّروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فزين لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

(ذكر أوابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد

ومن المقر الصارمى فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحيث نار حربه فسبكت وانهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا ونصت أنواع الديباج فكم من معدنى صار معدنى لان قبورهم بعثرت وتلا لسان حال الكتب على السمور وغيره من أصناف الوبر واذا الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم الى داوبدور واطنها فى بروج تلك الجبال قد أشرقت والناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على المقر الابراهيمى بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته فى ذلك اليوم وعلمنا ان الله قد جعل لابراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدار الى بروج الكمال فابدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد

الاعلى أكمه لا يعرف القمرا

وان كان شبلا فهو فى الخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من صغره تحت يده ودفع له فى هذا المبتدا وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الاعداء ان دمعهم يجرى عند لقائه دما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فانه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسحره وسأنا قبل ذلك فى ولده وقد كره العود اليه وألف أوتنا الشريفة وتوطن فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن عليه تخالف نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقابلته سطواتنا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السيئ الا باهله غ ١١
وحل ركابنا الشريف بالابلستين فى العشرين من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وغنمناها بعشر الاقامة لا ستبقاء ما لنا فى ذمة

غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا فقأ عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة و يزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني اسقوني الى أن يؤخذ بثاره * وكان للعرب مذاهب في الجاهلية في النفس وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هي الدم وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم الانسان الذي منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينبسط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال منصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا و يكبر حتى يصير كضرب من البوم و يتوحش و يصرخ و يوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى و يزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا أن الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهي حية تكون في البطن * تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت في أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب في الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة و يتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل (وحكي) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رآه في سفره الى الشام فضربه بالسيف * وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة و يتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى * وأما القطرب في قولهم فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناه أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه * (ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي * (ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف) * ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه * ياليت شعري هل بغت عليه * فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق فاجابه صوت في الظلام * نعم نعم وناكها اجيبه * وهو رجل * أحمر ضخم في قفاه كيه * فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي فاذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لاهلي من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حية فقلت الحق باهلك وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمي السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا أثغر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدليني باحسن منها فانه يامن على أسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا اذا

جيرانهم من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الاخضر وقالت على الرأس والعين وألقتنا الى درندة وما اعيان من صنع الله في أخذها كالجبر وقرنا صادع صخورها باختلاف الآلات بجاء ما قررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها أصم فاسمعناه من آذان المرامي تنقير المدافع وتحريك الوتر وطلعت في ظهر الجبل كدمل فطار كل جارح من سهامنا بريشه الى فتحها وظنت صون من بها العلو ذلك السفح فطالت سيوفنا الى دماء القوم وسفكها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع وكسرنا منه الثنية وأمست حلق مرامها كالخواتم في أصابع سهامنا المستوية وخربت ها طائعا فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسرة وأقلعنا الى خشب سفنها المسند تفرز قناة لوع سائرها وخربنا قريتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج الى الهافترفعت عليه ولم ترضه لنقص العرج أن يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بمسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بابي النصر وأبي الفتوح وتعلق سكانها باذيال الامان فامناهم ولكن كانوا في صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعة فاحسنا الختام بدرندة وألقينا اكسير المدافع على حجرها الذي كان غير مكرم وأحسنا التدبير في الصناعة وسمعت كورت بورت بذلك فالقت من بها من بئر معطلة وزهت فرحة بقصرها المشيد ووصلت مفاتيحها اليوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس بهنتان من ذلك فخطبتنا لجمالها البارع وجهزت كتابها بشهودها بالخلو من الموانع وهي أيضا من خطبها الملك لنفسه فتمنعت وأراد السمو الى أفقها العالي فاستغلقت وترفعت وعزت كلابه

أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتهم ليتعرف بها (وأما) جز النواصي فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير واله * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان * ونكاح المقت من سننهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فالقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا وما أشبه ذلك)

(أما الكهانة) فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك أن الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فاخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فائته فاسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فاراد تفسيره فقال له أهل مملكته يفسره لك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة فاكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بارضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يلي ذلك بعدهم قال

ذاقتهم مثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن أصبح الصخر عنده مثقال الاثقال وعلم طغرق أن سهامنا في كل عضو من أعضاء العصاة جارحة وأفواه مدافعنا في أعراض الصخور من (٧٢) سائر القلاع قادحة فنبت يداه عن المنع وجنح الى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته في الفاتحة وتخلل ناموس ملكنا الشريف على من ادعى بكغنا وكركر ولكن أبكتهم سهامنا دما جرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن بكتا ان كانت قلعة نجم عقابا في عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتي باجنحته أو كان الهلال قلامة لاعلها فالتي علاها من الاصيل خضاب فبكف الخضيب يتيمم ترب ويمسح بياض جبهته فأنا الهيكل الذي ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وود دينار الشمس أن يكون من تعاويذه والشجرة التي لولا سمو فرعها ما تفكهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدماء قوم وأميال سهامنا على تكحلها تتزاحم ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب وأيقنوا ان بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهل مائهم عذبا فكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدي دلو فلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو أبي زيد السروجي لا يرجع ببله ولا يعاب نقع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والاحكام وانقلبوا صاغرين الى طاعة وقد قابلنا أنف جباههم بالارغام ورجعوا عن خليلهم السكردي لما قام لهم على جهله الدليل اراء
وقالوا الطاعة للسلطنة الشريفة فما راعى فيهما من العصاة خليل وسالونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرفح خواطرنا الشريفة

أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من العلي قال وممن يكون هذا النبي قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك ابن النضر يكون في قومه الملك الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكي ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبآ له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا انا قد خبأنا لك خبيأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا اصدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية ابن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولأمية أواخر فأخذ هاشم الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين أمية *(وحكي) أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فادسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو علي بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسمة تكون علي سبة فقال لها لا تخشي فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا اقدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها فقال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد أبين من هذا فقال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله تعالى عنه *(وأما القيافة) * فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر * فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم *(وحكي) * عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شيء فلما رجعت الى أمي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوت ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شيء سنعلمه غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في

فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسي وألفات السهام وعطست أنوف مراميهم بأصوات مدافعنا كان بها زكام وتبره ومن خليلهم الكردي لما شاهد الخطب جليلا وقال كل منهم ياليتني لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قد حافا مست بالزلزلة مهدده وفر وامن سطواتنا الشريفة الى البروج فادركهم الموت في بروجهم المشيدة وسال النا كرديهم في خزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح فلم نرض منه على كفره الا بالمال والروح وسجناه في قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها كربشة في ممر الريح ساقطة وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا الشريف أغصان منابرها وسالت قلعتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها الى ذلك وأمست بنا بعد التنكير معرفة وصارت أبراجها بالنسبة المؤيدية مشرفة وجهز را عثمان مفاتيح الرها وآمد وسال تشريفهما بتشريفهما بتقليد من يرفعان لهما في الشرف محلا فاجبناه بذلك وكان من العواطل فحلت المطابقة بالعاطل الحلي والتهب ابن الغادر بحرارة المعصية ففر الى برد الطاعة من غير فترة وهز جذع مراحمنا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم انه ما أحسن البيان عن درنده في تخليص ذلك المفتاح وسال أن يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة

قطية ونغر البراس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم لا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا ان هذه لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبني مدلج في احياء مضر واختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فاصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل في الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فامر بنته أن تخط لي في الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدري قيامها الاي شيء قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك ابن خراش الخزاعي غازيين فمرا بامرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزؤا وقال ما هذا فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فاحسنه ما روي ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك * وبعث صاحب الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدميه تفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن أني أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما مروان بن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هنالك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المدايني ان عليا رضي الله تعالى عنه بعث معقلا في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم لتنصرفون من وجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكي) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت سيعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بيدي أدبر طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء

قربنا بعد ما ذاق مرارة بينه وألبسناه تشريفة بنيابة الابلستين فباس الارض وهو لا يصدق انه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهزنا ولده داود بدروع من الامن ليأخذ بها من يد داود (٧٤) ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية في ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية أن يقام بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بهم انار الخوف بعد ما غلت فجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها وأيقن أهلها انهم ان مشوا في حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فازلنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قيسارية في أيامنا الزاهرة هشة وبجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم ولم يخل من أسمائنا عود منبر ولم يخل دينار ولم يخل درهم وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات لعصيان تلك البلاد فقالت ارزنكان الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعة فلا قلعة الا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج أترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من مدامعنا بالحباب حتى فصلت في لزوم لعساكرنا التي هي عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد اذ لم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التي اتخذوها لشرفها قبلة وود كل منهم أن يحظى من جهات أعتابنا بقبلة وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوالي الرقة وأهدوا من الرقيق ما قام له عندنا سوق القبول وأسفر بعلامات قرا يوسف من الجمال اليوسفي ونور الطاعة عن بهجتين وأظهر كتاب الطهارة بتطهير الارض ممن تدنيا اليه من أعداء الملة والدين ودنت الديار من

بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء معلقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال للأمير اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكانه أنف من مقاتلتهم على شيء من ذلك الا على حمار لما أنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من العارفين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلا يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له باي شيء عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فاولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك (وأما الفال) فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب مما يجري به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب أقفال

(وقال لبيد) لعمري ما تدري الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(وقال آخر) تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير في أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما تتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

الديار فكانت سيوفنا في القرب له حصنا وملاذا ولم يباشر في اخلاص الطاعة مما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هداياه التي هبت نسمات القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبة وجل التفاصيل التي وضعها سناء الملك بجعه ولم يترك لابنه في دار الطراز رتبة والنمورة التي يحجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذي تميز باوصاف ما صاحب مجرى السوابق من الفحول التي تجاريها فانه غرة في جباه الخيل التي قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التي سمت عندنا على السروجي بمقاماتها العالية ورأيناها أهلة تغني عن القمر فخصبنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التي تخشى النسر الطائر أن يصير منها واقعا وصدق فيما تفرس وخانت الشمس لما تسمت بالغزالة ولف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذي أصاب به أغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأي مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التي وقعت في محلها ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس اذا عانق سهامه بنصر علم أنه وصل الى الكنانة وبالغ المقر الجالي في نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بمثمرة رقه وأدار من أواني الصيني كؤوسا أرتها الود بلا فرحيق وبذلنا حاب الحروقة وصلناها بما استحق لها من دون الفتح علينا وردنا ما اعتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فانه ركن هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقل من ارتحل وفي ذلك قال بعضهم
مفردا وأجاد   زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب
وقالوا من تطير من شيء وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدي قال أرسل الى محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي
الصيف مقمرة يقول يا عم اني مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده
سليمان بن أبي جعفر وجاريته نعيم فقال لها اغنينا شيأ فقد سررت بعمومتي فغنت وهي تقول هذه الابيات

هموقتلوه كي يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتهي وغني ما يسرني فغنت تقول

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ماهذا الغناء في هذه الليلة غني غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكي فراقهم عيني فارقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاي لم يجر على لساني غير هذا وماظننت الا أنك تحبه
ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن
المهدي فالتفت الي وقال يا عمي أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك
فسمعت هاتفا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي أسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ
وماهذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت
من عنده وكان هذا آخر عهدي به * وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد
الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فانشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم * ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد
المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال
شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذ انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم
بالشؤم واني على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط
وقوله لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فاي ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى
أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا
في أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء الى محسنكم وأن
لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدي لا أحسن الله الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن
الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم * وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فاول
من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كبيرا فلما عاد استدعى بالاعور فأمر له
بمال فقال لا حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني
وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا أن صاحب
قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذي الليالي علمنا أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات * (وحكى) * أن نور الدين محمودا

فيأخذ منها حظه ويثلج صدر البرايا فطيبها الهم بردوسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع منهم عرف العدل ويصير مسكا لهذا الختام والله تعالى
يمتعني ليلا ونهارا من أخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من صياغة أعماله ان شاء الله حسن الخواتم (قلت) وذكرت
بهذه الرحلة أيضا ما جرى من الديار المصرية الى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية وحدث بدمشق المحروسة ماحدث من القتال والحصار والحريق فكتبت الى المقر المرحومي الفخري القاضي ابن مكانس في شرح ذلك رسالة لم ينسج على منوالها ولم تسمح على غلبة الظن قريحة بمثالها (وهي) يقبل المملوك أرضا من عمها أو تيمم بتربها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيام العرب الى ربا نجد ولا زالت خيول الشعر اعتاق أعنة الفاظها فتركض في ذلك المضمار وتهيم بواديها الذي يجب أن ترتع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهي بعد أشواق أمست الدموع بها في محاجر العين معثرة ولولم يقر انسانها بمرسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره بوصول المملوك الى دمشق المحروسة فالسنة قبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها لقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة يلبغا
وقد طار بها طير الحمام وجنت حولها تلك الاسود الضارية فتطيرت في ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت   وهمام
بالغاشية ودخلت بعد ذلك الى القبيبات التي صغرت بها لاجل التعجب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فانشد به لسان الحال

وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام *(وأما الفراسة)* فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقيرا يسأل عليه الاما يستر عورته فانفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده *(وحكى)* عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار *(وحكى)* أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول الشئ وما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا وقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين *(وأما النوم والسهر وما جاء فيهما)* فقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجئ يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى *(وأنشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبى قد دنا الموعد * وخذ من الليل وساعاته

فقابلنى من ذكرى حبيب ونظرت بعد القباب الى المصلى ومارفعات به مكان تلك الخيام والتفت الى بديع بيوته التى حسن بناء تأسيسها وقد فسد منها النظام فقال وقد وقفت عقيق دمعى * على أرض المصلى والقباب ونظرت الى ذلك (٧٧) الوادى الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت ان وادى المصلى قد تبدل بوادى الغضا فسقى الغضا والساكنيه وانهم شبوه بين جوانح وقلوب واصطليت النار وقد أرادت سبى ذلك النادى فشنت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركضت فى ميدان الحصى فوجدت أركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة فى موضع القصر وأصبح أهله فى خسر وكيف لا وقد صار واعبرة لاهل العصر وتاملت تلك الالسن الجريه وقد انطلقت فى ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بالسنة الاسنة الاتراك فاندهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه فى سورة الدخان فوجب أن أجرى الدموع على وجيب كل ربع وأنشد وقد دخل صبرى بعد أن كان فى خبر كان

دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا

ووقفت أندب عرصاتها التى قمعت بالبين نخابت من أهلها الظنون وكم دار وا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل بان القمح يدور ويجئ الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقهم يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به

مولانا على المملوك من الاقامة بمصر فانشدت من شدة الكرب آها لمصر وأين مصر وكيف لى * بديار مصر مراتعا وملاعبا والدهر سلم
كيفما حاولته * لا مشكل دهرى فى دمشق محاربا (٧٨) يا مولانا لقد ألبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم

على نارين وسلقوا من الالسنة بالسنة حداد وانعقد نشفت أعينهم من الحريق واستسقوا فلم يسقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلاعب له لهب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشكا الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون ولعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذه الحال وما تم على أهل دمشق فى كانون لاستنزل رثاه ولده عبد الرحيم وقال

يالهف قلبى على وادى دمشق ويا
حزنى عليه ويا شجوى ويا دائى
فى شهر كانون وافاه الحريق لقد
أحرقت بالنار يا كانون أحشائى

ونظرت بعد ذلك الى القاهرة المحروسة وقد قامت قيامة حريمها حتى قلنا أزفت الآزفة وستروا ابروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للعرب ومالها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك البوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرجها
ذرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها كحلا كانت السهام لها أميالا وطلبها كل من الحاضرين

حتى اذا ما هجع الرقد * من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل النهى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * خمولا ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب انه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا السكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطلح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى الطبيب دلنى على شئ اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السياط على ظهرى أحب الى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم وأنشدوا فى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون
قل لى فاول ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

(وأنشد أبو دلف) أما لكرى ردى على رقاديا * ونومى فقد شردته عن وساديا
أماتتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فاحيا اللياليا

(وأنشد أبو غانم الثقفى مفردا)

رقدت رقاد الهيم حتى لوانني * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال الرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود وقيل انه نام أسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبونى لاعلم كيف تندبونى اذا أنامت فمضى ونام وندب فاذا هو قد مات * (وأما الرؤيا) * فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وروابى ونارا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والثياب المصبغة والذى قام عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجيء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ما حكى) ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة عرفا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال مالابى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله تعالى عنه انى رأيت كأنى رقيت أنا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بمرقاتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله اقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبى صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله تعالى عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك (وحكى) ان أم الشافعى رضى الله تعالى عنه لما حملت به رأت كان المشترى خرج من

فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فاول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر البلاد فكان كذلك (وحكى أيضا) ان عاملا أتى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لاوليت لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ماوقع فكان ذلك الرجل مع معاوية (وأما) من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأنى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه * وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد لزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان * وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كان القمر دخل فى الثريا ونادى مناد من خلفى ان ائتى ابن سيرين فقصى عليه فقاصت يده وقال ويلك كيف رأيتى هذا فاعادت عليه فقال لاخته هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام * وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فانت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) أن ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك * وأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها

لك البشرى بولد * أشبه شئ بالاسد * اذا لرجال فى كبد

تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبى عبيد وذلك فى عام الهجرة * وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلى أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه رأيت عليا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فاخذها وبددها فاصبحت أخا كآبة فاتيت الجعد فاخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كان رأسى قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفى وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظر واذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه رأيت كأنى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ماينبغى لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت انا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال تضرعت الى ربى سنة ان يرينى أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير الصدقة

وقد غلا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشطها وهم فى رقعة الارض كانهم لم يعلموا بان الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس فى الاسحار وقد استيقظوا والجل فيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فاعيذ رواسيه التى هى كالجبال الشامخة بن أسس رواسى المحجوج وأحصنها قاعة بالسماء ذات البروج وتطاولت الى السور المشرف وقد فضل فى علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب الاوجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تخلصا لما بداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

فضائله سور على المجد حائط

وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا كم حملوا عليه وظنوا فى طريق حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طح لهم على كل باب قدرا فلا رأيتك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعدت فيه أنفاس الرجال القلقات ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهر القتال القلقات وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الاسنة وقد انتثرت الى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها القلقات علمت نفس ماقدمت وأخرت والى نار النفط وقد نفطت من غيظها والى ذكور السيوف وقد وضعت المنايا السعود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ومن العجائب أن بيض سيوفهم * تلد المنايا السود وهى ذكور والى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء والى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء والى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له تابع والى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع والى قامات أقلام الخط وقد صار

فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر)

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فاتوه بقدح فيه ماء فامسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا باس عليك حتى تشربه فالقى القدح من يده فامر عمر بقتله فقال أولم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا باس عليك حتى تشربه وقولك لا باس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت منى أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولد بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل * وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم النصرانى لو أسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا أنه يمنعنى منه حبى للخمر فقال أسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فاخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فانكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فارسلها ثم قال للناس انى لاجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تاتى فى صور الحمام تحت السحاب * فلما كانت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فاكله فاختصمتا فى الصبى الباقى الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصمتا الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يانبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يانبى الله ان لى جيرانا يسرقون أوزى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم يسرق اوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فارسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فاقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون

لها فى طروس الاجسام مشق فاستصوبت عند ذلك رأى من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد ذلك الى العشير وقد استحل فى ذى الحجة المحرم وحل كل قيسى يمانيا او تقدم نخرج النساء وقد أنكرن منهم هذا الامر العسير فقلت وغير بدع للنساء * اذا تنكرت العشير وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتاملت أهل الباب وهم يتلون لاهل البلد فى سورة الفتح وللمعاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت الى ماتحت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من همه شانه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشان نفسه فهم كما قال الله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فوقفت أنشد فى تلك الاسواق وقد سعرت ألا موت يباع فاشتريه ونظرت الى المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من نزل فى بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لهم فى ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هذا وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ونظرت ضواحى البلد وقد اسودت فى وجوههم المذاهب ومالهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الارض بما [رحبت] فلا وجبت لما غلق فى وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا لعدم أموالهم من كل عسير يسرا ولانهائه

فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب الي من هذا الذي يحصي على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة أن قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فأقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه * وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحد المستودع فأخبر بذلك القاضي اياسا فقال أعلم بأنك جئتني قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضي اياسا بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندي أموال كثيرة للايتام وغيرهم وودائع للناس واني مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيء موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالي والا شكوتك للقاضي اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضي اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التي ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لي ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله في الناس مثلك * ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال أبرويز للداخل عليه لقتله اني لادلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله * ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقني عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة في عنقي الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس * وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرضت عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لي جعل على ان ألطم سيد بني تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده * وقال الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألني عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي * ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا بطرا يفاغزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعي

محدرا انم سم من كل فاحشة ستراوا قطع الماء عنهم الى كل خير سبيل فانك حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فانشدت وقد ازددت كربا من شدة الاحتراق فدينالك من ربع وان زدتنا كربا * فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت الى الطواقين وقد أسبل عليهم الحريق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بعينه دائر هذا وكم ناهدات أسبلن من فوق النهود ذوائبا فتركن حبات القلوب ذوائبا ووصلت الى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته فاطلع فرآه في سواء الجحيم واندهشت الملائك الانفس التي ماتت من شدة الخوف وهي تستغيث للذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت الى ظاهر باب السلامة وقد أخفت النار أعلامه ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود وتعدوا بعد تلك الربوع على أديم الارض ونضجت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذة الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم ترق الى دمعه وأكلت الانامل من الاسف لما سمعت بحريق أطراف السبعة فاعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتغربت الى ظاهر الباب الشرقي فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دار عينه وكرومه الكريمة في جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت الى ظاهر باب كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير

تلك الازهار والدراهم رباها وسمعت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكارت الى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (٨٢) فيا لهفي على عروس دمشق التي لم تذكر محاسنها أسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستعبدها ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام وفطم جنين بنتها عن رضاع ثدي الغمام فاستسقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها مواطر السحب ساريها وغاديها ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن في احشا أراضيها

فما نضاحها قلبي انبريها ولا قضى نحبه ودي لواديها ولا تسليت عن سلسال ربوتها ولا نسيت مبيني جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم آويناه بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعدما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار أنهارها فلم يبق له مغني وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المعنى واستسمج الناس من قال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات ما يكفي فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الجنك والدف

وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية عاره الباسم ولم ينتظر لزهره المنثور على ذلك الوشي المرقوم رسالة من النسيم بحريه وكيف لا وقد محى وبه سجع المطوق من طروس تلك الاوراق النباتية هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها صح أنها كسيرت السوار

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال تفلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك *(ومن الحيل الظريفة)* ما حكي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمي وكان أول من أسلم في تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق عند تجار مكة فاذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا باسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة فاذن لي لعلي أخلصه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أحتاج ان أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت في حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم قال فاحدقوا حول ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي من غريمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى هنالك فقاموا بي فجمعوا الى مالي كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل علي حتى وقف الى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عني حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك على ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ما تقول يا حجاج قال قلت اي والله ولقد أسلمت وما جئت الا لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله * ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم ابن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم فان البلد بلدكم

وكم دولاب نهر بطال غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الادوار فوقفت أندب ذلك العيش الذى كان بذلك التشبيب
موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة الى مغنى الربوة دخولا لم لا أشبب بالعيش الذى انقرضت* أوقاته وهو بالذات

و به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلادكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلادكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا يسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته* وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى

موصول
ونقص يزيد فاحترق ولا
ينكر ليزيد الحريق على
صنعه وانقطع ظهر نور
فاهلك الحرث والنسل
بقطعه وذاب بردى وحمى
مزاجه لما شعر بالحريق ولم
يبق فى ثغره الاشنب من برد
حصبائه ما يبل الريق
وانقطع وقد اعتل من غيضه
بالياس ولم يظهر عند قطعه
خلاف ولا بان آس وجرى
الدم من شدة الطعن
بالقنوات وكسرت قناة
المرجة فذاقت مر العيش
بعد حلاوة تلك القطوف
الدانيات وكسر الخلخال
لما قام الحرب على ساقه
وسقط رأس كل غصن على
الجبهة فهاجت البلابل على
أوراقه وخرج حمص خاضعا
وتكدر بعد ما كان يصفى
لنا قلبه وافتقر أغنياء غصونه
من حبات تلك الثمار فصاروا
لا يملكون حبه طالما كان
أهله فاكهين ولكنهم
اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا
نخوض مع الخائضين وذبلت
عوارض تلك الجزيرة التى
كانت على وجنات شطوطه
مستديرة فقلنا بعد عروس
دمشق وحسانها لا حاجة لنا
بحمص والجزيرة فيا لهفى
على منازل الشرف وذلك
الوادى الذى نعق به غراب
البين وياشوقى الى رأس
تلك المرجة التى كانت
مجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فلبست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس فاضحت
باكية على فراق الاباق وانحصر ذلك الميدان يامولانا الفدبكى المملوك من الاسف بدمعة جراء على ماجرى من أهل الشهباء فى الميدان على

المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله تعالى عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية مرارا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود وقدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فانت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله انى لاعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته باقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له فى الخلافة قدم ولا ارتفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم باسيافه وكان الكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها باوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فرآنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لامر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعا واكتب على ألسنة أهل تلك

القرية

الشعراء حتى كذب الناس من قال قل للذى قاس بين حلب * وجلق بمقتضى عيانها ماتلحق الشهباء فى حلبتها * تعثر الشهباء فى ميدانها فقال لسان الحال والله ما كذب (٨٤) ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى تغمز قناته غمزا وأنشد

ومن ظن أن سيلا فى الحروب
وأن لا يصاب فقد ظن عجزا
ودخلت بعد ذلك الى البلد
فوجدت على أهله من
دروع الصبر سكينة فقلت
يارب مكة والحرم انظر الى
أحوال أهل المدينة ولكن
مادخلت بها الى حمام الا
وجدته قد ذاق لقطع الماء
عنه حماما وعلم القوام
والقاعدون بارضه انها
ساءت مستقرا ومقاما وتلا
على بيت ناره قلنا يا نار كونى
بردا وسلاما فحسن ان أنشد
قول ابن الجوزى (من كان
وكان) الحار عندك بارد*
والنهر أمسى منقطع
والعين لا ماء فيها * ما حيلة
القوام وأتيت بعد ذلك
الى الجامع الاموى فاذا هو
لاشتمال المحاسن جامع
وأتيته طالبا لبديع
حسنه فظفرت بالاستضاءة
والاقتباس من ذلك النور
الساطع وتمسكت باذيال
حسنه لما نشقت تلك
النفحات السحرية وتشوقت
الى النظم والنثر لما نظرت
الى تلك الشذور الذهبية
وآنست من جانب طوره
نارا فرجع الى ضياء حسى
واندهشت لذلك الملك
السليمانى وقد زهابالبساط
والكرسى وقلت هذا ملك
سعد من وقف فى خدمته
خاشعا وشقى من لم يدس

بساطه وبانه طائعا ولقد صدق من قال أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفى صدره معنى الملاحة مشروح فان يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح معبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته ورأيته فى القبلة من شدة

لقرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لاأعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سير وبي سر او سير وامعي ألطافا وعينا وكلما جهلك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فاخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبدالله بن الحسن فلقيته بالكتب فانكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وان معي ألطافا وعينا فانس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لي المنصور اني أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا تلقاني بنو الحسن وفيهم عبدالله فاني أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبدالله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فاكلوا معه فلما فرغ وأمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبدالله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق انك لا تريدني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدي عبدالله بن الحسن فاعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما * قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعاني المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبدالله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فامر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال ما دواء عمثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبدالله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات
وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم)*

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع * منها ما وجهه وجه انسان وشكل

الظما وقد قويت من ضجيج المسلمين اناته وخفض النسر جناح الذل وود بان يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى بحر مكرم ليس له بعدما كسير الماء جابر واختفت نجوم تلك الاطباق التي كانت كالقلائد في جيد الغسق ومرت حلاوة نارها بعدما ركبت طبقا عن طبق وأصبح دوحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء ان تقطع السلاسل ولم تشر الناس باصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبة ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبة وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة وأنشد لسان حاله لوان مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر وودت العروس ان تكون مجاورة لجنان التبل ريقها برحيق الا من اذا نظرت الى عامي المحمدية وقد دخل جنانها ونظرت الى فوار أبي نواس وقد انقطع قلبه بعد ما كان يثب ويجري وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقني خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علا بها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهده ورثيت للنساء وقد فقدت بعد تلك الانعام المائدة واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم في هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استعدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسي الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر * منصلة أطرافها بدموع ونظرت الى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين

جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ماهو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتسهر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه * اذا وقع الذباب على طعام

رفعت يدي ونفسي تشتهيه * وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعي * وروى أنه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شيء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس ويشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جريء على الاقران للقرن قاهر * براثنه شثن وعيناه في الدجى

كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر * بديل بأنياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فالقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك لي قلت أرسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا * وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس

الطريق الى باب المياه ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع شهادة وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنه ونزلت في ذلك الوقت من الساعات الى الدرج في دقيقة فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كأن لم يكن له حقيقة كم وردته وهو كأنه سنان يطعن في صدر الظما أو شجرة كدناء تقول انما طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها في السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثارا عند بعض الكواكب فغض افتقد الماء مناره وخفي بعدما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفي عرنينه شمم فقلت لست أنسى الفوار وهو ينادي غيض مائي وعطل الدهر حالي فتمنيت من لهيبي باني أشتري غيضه بروحي ومالي فلا والله ما كانت الا يسيرة حتى رجع الماء الى مجاريه وابتسم ثغر دمشق عن شنب الري بعدما نشف ريقه في فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعدما قامت على ساق وقدم وبطلت آلتها التي كانت لها على تحريك الاوتار وجس العيدان نغم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف في أجفانها لما علمت أن الزيادة في الحد نقص في الحدود فخرج وفاضت غدران الرحمة على رياض الامن فظهر لها من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن * وبعد فالعذرة من فهاهة هذه

يخرج منه الهر فيعجب الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش ألف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط اسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت وفى الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فارة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أى مما وسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شئ هى من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فاكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها * وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد فى الباه وفى الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها فى الارض أضيف اسمها اليها قال القزوينى اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها انها تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت مخروطا من أسفله الى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها ويحملها ويمشى بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهى حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى * ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم * ومن عجيب أمره ان تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهى تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفى سفاده حالة تزوه يصرخ الذكر

الرسالة التى هى فى رياض الادب باقاتها والصلح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدى تلك المواقف السحبانية واكون محوا لا على متن الحلم كلامها الموضوع فقد علم الله انها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس لكثير ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى عند سيرها الى غايات المعانى ظالع * فسيروا على سيرى فانى ضعيفكم وراحلتى بين الرواحل ظالع (هذا) وكم تولد للمملوك فى طريق الرمل من عقلة وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن أنه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصلة وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانة وأنشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه من زعقة الغراب بعد الملتقى فارقت مصر او بها أحبابى وفى طريق الرمل صرت حائرا * مروعا من زعقة الغراب واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال فوالرحمن ما وصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال وحصدوا بمنجل الرشاد فدرست فلا أعيد لمعيد حربهم دروس وأدار رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال من كل عاد كعاد فى تجبره * من فوق ذات عماد شادها ارم لا يجمعون على غير الحرام اذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا وانتهت الغاية بالمملوك الى أنه شلح بقرب الكسوة فى الشتاء وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى (هذا) والليل قد انطفات مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم

والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدر له وجهها فاذا ملكها بعد ذلك قام اتجرى به وهو راكب عليها اويجرى معها *(فائدة)* ذكر ابن الاثير فى الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج * وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا (ومن ذلك) ما حكى ان عدى بن ارطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاه والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فانا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحرى من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) ٤ دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن أعجب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا فى رجله فانصدعت جبهته *(وحكى)* انها نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هى دقاق الاعناق صغار الاذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمنا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذرو وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد أضلاعها أى ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا *ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فاى جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت *ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها فى جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تتقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطارا جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ

يجد له تعديلا ولكنه صبر على الالم بعدما كاد يدمى من الوهم ولم يلق له مجبر الساقوى ألمه وضعف منه الحيل الا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل الى البلد وقد ود يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد ما تفعل الاعداء فى جاهل * ما يفعل الجاهل فى نفسه

فاعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأ به فى الدنيا ببراءة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمة *(قلت)* قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين أن أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشئ الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به وبالله المستعان *(وقال أبو حيان التوحيدى)* يجب على المنشئ أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وان يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم بديع الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام لبق الدواة حاد السكين مترددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قشف ولا متجرف ولا متكلف الالفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة (آداب الكتابة) روى الشعبى أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فسالله فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان

فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتوا يوما بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم ما كولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما انشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة *(فائدة)* قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد في زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتعلق مثل الذي يشتكي فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذي تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فيها بزر فنثرته بين يدي الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الارض انظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ *(لطيفة)* من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن ألطف ما اتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذي يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندي سوى اثني عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفي الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن أوى الى فراشه فلينفضه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) في جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلي به واسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطيء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتي اليهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى بالبنزهير الحيواني وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعها المسموع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين

وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤي وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه (٨٩) قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فأترب أحدهما ولم يترب الآخر فأسلمت القرية التي أترب كتابها (وقال الحسن ابن وهب) كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) في تذكرة الوداعي ان القاضي تاج الدين بن بنت الاعز كان اذا كتب كتابا بدأ في ترسله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) في قوله تعالى اني ألقي الي كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه (والعنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب من والى من هو كما قيل ضحوا بأشمط عنوان السجود به *(والقلم)* لا يقال له قلم الا اذا بري والا فهو أنبوبة (ومن بديع ما سمعته في وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي منقول من خط الوداعي

تمشى البراعة والمداد وراءها * ظل على شمس الطروس ينوع عوضا غواني لو تلوح لمسلم هذي المعاني راح وهو صريع لولم تكن ألفاظه خطية ما راح سرب اللفظ وهو منيع ألفاظه رقت بوجنة طرسه فكأنهن وقد جرين دموع

وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك و ياتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لاعظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما *(لطيفة)* من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فارسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بامم مختلفة الخلق فيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فاجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله و يشقون جوفها و يستخرجون منها العنبر (ببغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) أنه أهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار و يقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم و يكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوى أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط * اذا رأت خيلا على مربط
تقول سبحانك يا معطى * تمشى الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من

قلم مسجى الخطاب لنطقه فى المهد من عناه وهو رضيع وغدا كليما وقد ضاهى العصا فغدا يروق بفعله و يروع بالنقط حاكته الشموع و بالضيا حاكته فى حلك المداد شموع (٩٠) قد لازم القرطاس وهو منور والطل يهوى الروض وهو مريع نور ونور خطه وكلامه هذا يضىء به وذاك يضوع (وقال فيه وأجاد الى الغاية) لى بناه ذو طرف كحيل اذا بكى تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا وقد راح مشقوق اللسان متى جرى بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا (وقال من قصيدة رائية) له يراع سعيد فى تقلبه ان خط خطا أطاعته المقادير محبر و بحر العلوم اذا جرى يرى منه تحرير وتحبير غصن عليه طيور العلم عاكفة وجانس النور من أوراقه النور وأشقر يده البيضاء غرته له الى الرزق فوق الطرس تيسير بل أسمر عينه السوداء تلحظنا وهدب أجفانها تلك التشاعير أو سهم علم باطراف السطور غدا مريشا وله فى الضد تأثير كذا محابره سود العيون فان دانت أياديه فهى الاعين الحور (ويعجبنى قول الشيخ شمس الدين بن المزنى فى الدواة) أنا دواة يضحك الجود من * بكا يراعى جل من قد براه دلوا على مثلى من شفه * داء من الفقر فانى دواه (وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ) كنانة الفضل دواتى ولها * سهم يراعى نصله نفاذ وأسمر الخط لديها قاصر لانها على الحمى فولاذ *(قلت)* و يتعين بعد وصف أقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشؤا فى وصف السيف والقلم وما ألموا بها وهى أحق بذلك من غيرها لقربها به من القلم وقد تقدم ان أبا طاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين ابن نباتة انفرد برسالة

به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) بضم منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه *(وحكى)* أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو بطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أوّلا من التراب لا سيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأوّل فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشى تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد اعرابى

ليل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لا بارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا فى المواريث

(وقال أبو الرماح الازدى)

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على بطاول
تؤرقنى حدب قصار أذله * وان الذى يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ما قتلنا هن أضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

(وقال ابن ايبك الصفدى)

أشكو الى الرحمن ما نالنى * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر *(فائدة)* سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها * ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السداب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج *(بعوض)* قيل انه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوّف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى أنه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار * ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
بعامله فليس له قرار * ويثخنه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها أن جعل الله فيها قوّة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخارج وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهى) يقبل الارض التى قامت حدود مكارمها وقطعت عنا منكر وه الفقر بسنون عزائمها وينهى وصول السكين التى قطع بها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفاء وتالله ما غابت الا بلغت الاقلام من تعثرها الى الحفا زرقاء وكم شاهدت منها البيض ألوان خرساء ومن العجائب أن لها لسانا لكل عنوان ما شاهدها موسى الا سجد فى محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة ما رؤى مثلها قط وكم وجدها الصاحب فى المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة من الطرفين أنملة صبح تقمصت بسواد الدجى ولسان برق امتد فى لهوات الليل فتنكرت أشعة الانجم حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذ لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد من أجل ما تدخل فى مضايق * ليس لسيف قط فيها مدخل وكلما تفعله توجزه * والرمح فى تعقيده يطول ان هجعت بخفتها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة حازت بها الجد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لها وله طائل وتغنى عن آلة الحزب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة بجادله شهد الرمح بعد التهابها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكامل لها النصاب ما طال فى رأس القلم شعرة الا سرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ما وقعت

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل * و يرى مناط عروقها فى نحرها
والمخ من تلك العظام النحل * و يرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
و يرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل * و يرى مكان الوطء من أقدامها
فى سيرها وحثيثها المستعجل * و يرى و يسمع حس ماهو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لانسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال الزكام عنه على ماذكر *(بقر)* حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى أكثر البانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر وأنثاه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبها ثم تثور بالحمل *(عجيبة)* حكى فى الاحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء و يبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه ياأبة لاتندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها *(فائدة)* ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها و يجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدمه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب تخرج من كل ثقب بحر لايعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم مابين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فاكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلى به على الاثر الاسود فى البدن أزاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتأكل أفراخه واعداء الطيور لها يجعلها الصيادون فى أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لاتخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها احسن ما هو وهى أصناف وكلها تحب الخلو بنفسها (الخواص) ومن خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما فى الماء

فى قبضة الاطالت لسانها أو كلمت بحده ان أدخلت الى القراب كانت قد سبقت على الدخول أو أبرزت من غمده كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف وهو فى بحر غمده غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ماحل التطريق فلو عاصرها الكمال لعرك من قوسه الاذنين وقال له جددت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت السكين منك العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ما جلت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لمحها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وذل وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقرى وتأتى فى كل وقت بما يبرى من داء الاحتياج و يبرى (قلت وعلى ماوقع من الغريب فى رسالة السكين) يتعين ان نورد ماوقع من غريب النظم فى السيف فان الشيخ جمال الدين بن نباتة ذكر من نثره فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها (قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) لعمرو بن معد يكرب كيف تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل فالراسبة
قال منايا تخطئ وتصيب قال فما تقول فى الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم

فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع مافعلته فى نومها *(بوقير)* طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فيدخل من تلك الكوة فيمسك منها شئ فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهى تنى فى ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يطلقه حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله اربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسعودى انه يوجد ببحر الهند وطوله فى الغالب ستة أذرع الى عشرة فى عرض ذراعين أو ذراع ويقيم فى البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك فى زمن الشتاء ويتغوط من فيه فى الغالب ويحصل فى فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل كل مافيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ماعليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله *(الخواص)* عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج. روى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق * فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد * ومن حيلته أنه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفأ الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك * وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى أبى منصور السمانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما (لطيفة) ذكر

لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحى أسرعتنى يا أمير المؤمنين *(الشريف البياضى)* شعر وأنا اذا الارواح ذابت مخافة * فتحنا باشطان الرماح ركاياها متى ما أردنا أن يذاق حديدنا * خلقنا بحد المشرفية أفواها (وقال أبو العلاء المعرى)

غراراه اسانا مشرفى يقول غرائب الموت ارتجالا
ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعدما مسخت نمالا
يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

(وقال النامى)

ذو مدمع من غير ما مستعبر وتبسم من ثغره متوالى
ويريك من لألائه متوقدا حنق المنون به على الآجال

(وقال الغنوى)

كان على افرنده موج لجة تقاطر فى حافاته وتجول
حسام غداة الروح حتى كأنه من الله فى قبض النفوس رسول

(وقال وحيد الدين ابن الذروى)

فتقت باجساد لاسود لواحظا رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على قمم العدا * بالسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه وسال على نور الطلا كالمذانب
وقد رشفت وردا الكلوم صغاره وما شربت الادماء الترائب

(وله) سكران من شربه خمر الدماء فان * حياه نور الطلا غنى لها هزجا

(لسان الدين بن الخطيب)

وخليج هند راق حسن صفاته حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فاوشكت * تبغى النجاة فاوثقتها الارجل

فاصرح منه حمر دوا الصفح منشمه ورد وا الشط منه مهل *(القاضى الفاضل)* عمد الى الاعداء منها معاصما * فتر جع من ماء الكلى باساور (وله من أخرى) ورب هائفة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرهفات صداها هى فى بحار يديه أمواج ترى * ونفوس من قد لمته من غرقاها

(وقال ابن قلاقس وأجاد) أسهرتهم وشهرتهم الجموعهم * مذاحرمت في راحتيك حرام وكلاهما لهن منعت قراره * لكن ذاعضب وذاك منام * (وقال ابن سناء الملك) * له منصل لا ينقضي فرض حده * فبالضرب ابي حين بالنسك أحرما تنسك بالاسلام لكن رأيته

ابن الجوزي في آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم في حلية الاولياء عن الشعبي أنه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب ثم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فاعلمني فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء فقال وأي شئ أصبته قال قيل لي خرزة في عرقوب أبي جعدة قال فضرب الاسد بيده في ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات * وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لي والغزال لابي الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد في رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابي الحرث يتغدى به والغزال لابي الحرث يتعشى به والضب لابي الحرث يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمني التاج الاحمر الذي ألبسته هذا وأشار الى الذئب *(وحكي)* أن الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتي لنصلي فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوأ وأرجع * ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ *(ثعبان)* هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشان في هلاك ابن آدم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر (الطيفة)* قيل ان عبد الله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يجني ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتنفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وأطراف أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وافسد بيضها وسد أفواهها

يحل له في الشرع أن يشرب الدما
فكم سل المسلول من بطن غمده
لسان دم من ضربة خلقت فما
(مجير الدين بن تميم)
لما فنيت من الصوارم أعوجا
يجري القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حاجات أو انيا
للماء من تقى بنهر الاعوج
(وقال الغزي)
وقد سلب الطعن الاسنة لونها
فعصفر في اللبات ما كان أزرقا
وأسيافنا في السابغات كأنها
جداول تجري بين زهر تفتقا
(ابن خفاجة)
موسد تحت ظل السيف تحسبه
مستلقيا فوق شاطي جدول ثملا
(جمال الدين بن نباتة)
وصارم كعباب الموج ملتطم
يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقي المنون به
أضحى يشف على حافاته العلق
(برهان الدين القيراطي)
قوم منادياهم بيض فكم مسجت
رقاب أعدائهم تلك المناديل
(وقات) وسيف له في الحرب حسن تغزل * اذا ما رآني قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر ومدرع
فبان احمرار الورد في ذلك الخد
وكم مال قد في الوغى ميل معجب
فقابله ذاك المهند بالقد
وكم أعجموا ألفاظهم ساعة

اللقا فكلمهم ذاك المهند بالهندي *(قلت)* وقد وجدت ان نذكر ما وقع بعد السيف من غريب النظم في الرمح * ذكر القاضي الرشيد بن الزبير) * في كتابه العجائب والطرف انه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون

ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائتا ألف رمح *(وقال الفضل بن الربيع)* لما ولي الأمين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني أن أحضر ما في خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون

ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف سرج عامة انتهى (قلت ويعجبني قول القاضي الفاضل في بيت من قصيدة)

أمنصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن والسماك سنان

(ومثله في الحسن قول ابن سناء الملك) ملوك يحوزون الغنائم عنوة * بسمر العوالي أو ببيض القواضب

رماح بأيديهم طوال كأنما * أرادوا بها تثقيب در الكواكب

(ابن قلاقس وأجاد)

وقد كللت بأميال العوالي * أساة الحرب أحداق الدروع

وشب الباس نيران المواضي * وأسبل غيث أمواه النجيع

فللفرسان من محل وحل * حديث عن مصيف أو ربيع

(ويعجبني أيضا قول القاضي الفاضل من قصيدة)

فيا عجبا للملك قر قراره * بمختلفات من قنا السواحي

طواعن أسرار القلوب نواظر * كأنك قد نصلتها بنواظر

(ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب وأجاد)

وبكل أزرق إن شكت ألحاظه * مره العيون فبالعجاجة تكحل

متأود أعطافه في نشوة * مما يعل من الدماء وينهل

عجبا له أن النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل شمس الدين ابن الصاحب موفق الدين بن الآمدي)

غصون بها طير النفوس تنافرت * وعهدي أن الطير للغصن بالف

فلا ورق إلا من التبر حولها *

عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال إنه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وإن أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه ان الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شيء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل في يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو وقال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به الى نبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى *(جعل)* دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم في فروجها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم *(غريبة)* قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتي على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فمر بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الي أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمه جيد معتدل الهضم ومرارته تنفع الغشاوة في العين واذا استعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما من ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الاخطفا وفي طبعها

أنها تقف فى الطيران وهى أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لاتا كل افراخ جارها و يقال انها طرشاء وفى طبعها أنها لاتخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب (عجيبة) روى الحافظ النسفى فى فضائل الاعمال أن عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فاخبرته بامرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فاخذته فاذا فيه ثمانون دينارا و جوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن اسعط منها فى ذلك الموضع واكتحل بها الجهة المسع ثلاثة أميال أمرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها يشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة و يقال انها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها و يقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فاذا لك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين و يقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى برديك * ان الامير ناظر اليك * وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء * (حمار أهلى) * معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ما هو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ما هو بضد ذلك و يوصف بالهداية الى سلوك الطريق (لطيفة) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا وقال له أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه و يقضى حاجته فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام والناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض * فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عير من نسل الاكراد يحمل لرحل و يبلغ العقبة و يمنعنى أن أكون جبارا فى الارض وقال آخر وأقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها هوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى يسارة مثلا فى الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة * ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركب الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغى لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابى الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطىء فى الغارة لا ترقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

فان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ولازهر الامن النصر يقطف * (ابن نباتة السعدى) * وولواء لها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب خلقنا باطراف القنا لظهورهم عيونا لها وقع السيوف حواجب * (قلت) * رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومى العلائى تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة * (فنظم المقر المرحومى الفتحى بن الشهيد قوله) * اذا الغبار علا فى الجو عثيره فاظلم الجو ما للشمس أنوار هذا سنانى نجم يستضاء به كانه علم فى رأسه نار والسيف ان نام ملء الجفن فى غلق * فاننى بارز للحرب خطار ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار (ونظم الرئيس شمس الدين ابن المزين) أنا أسمر والراية البيضاء لى لا للسيوف وسل من الشجعان لم يحل بى عيش العداة لاننى نوديت يوم الجمع بالمران واذا تفاهمت الكماة بجحفل كانهم فيه بكل امان فتخالهم غنما تساق الى لردى قهر العظام سطوة الجويان * (ونظم المقر المرحومى وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة) * عروس سنانى حين تجلى على العدا وتظهر تبدى ما لهم من بواطن وقد صيغ من هم فبين صدورهم * مجال له رحب فسيح المواطن سيلقون يوم الجمع عينا لموتهم * بطعنى و يوم الجمع يوم التغابن وان شهدوا بالجور فى وعدلوا * فانى قد بينت فيهم مطاعنى * (ونظم قاضى القضاة صدر الدين ابن الادمى سامحه الله) النصر معقود ببضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق سبكت لتسبك كل خصم مارد * وتطرقت لمعاند يتطرق

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا باصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة في هلاك ما عندي فمن عرف لطف الله رضي بفعله *(حمام)* هو أنواع كثيرة والكلام في الذي ألف البيوت وهو قسمان أحدهما بري وهو الذي يوجد في القرى والآخر أهلي وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ في يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير و يعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه ولكن اذا أبصره يعتريه ما يعتري الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفار اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما و يحب الملاعبة والتقبيل و بعد تمام أربعة أشهر و يحمل أربعة عشر يوما و يبيض بيضتين و يحضن عشرين يوما و يخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان و يبيض فيه و يفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو الهادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام في الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق *(الخواص)* دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة و يقطع الرعاف و يبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الأبابيل و يقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطيينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت في التراب والماء وأتت فطينته وهي لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا

وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما في البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر اليرقان و يلقيه في عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب

زرق تهوق البيض في الهيجاء اذ * يحمر من دمه العدو الازرق ينسخن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنسخهن محقق *(وقلت)* أنا رمح ررامح الافق يخشى من سموى اليه يوم الطعان واذا أذكر واعد آله قدى * يوم حكم جرحتهم بلساني وسناني كالبرق بل صارمنه * قلب سيف البروق في خفقان رمحه للردين ينسب لكن صاح لما علاه يال سنان *(مجير الدين بن تميم)* لو كنت تشهدني وقد حمي الوغا في موقف ما الموت فيه بمعزل لترى أنابيب القناة على يدي تجري دما من تحت ظل القسطل *(ابن شرف القيرواني)* وقد دوخطت أرماحهم مفرق الدجى فبان بأطراف الاسنة شائبا (ذكر) الثعالبي في لطائف المعارف ان أول من عمل السنان من حديد ذو يزن الحميري واليه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر *(قلت)* لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس ولو أن رسالة القوس مشتملة بكمالها على اصابة الغرض لانتهينا هنا ولكن جمع في نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لا تدرك *(وهي)* و يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا (ومن) غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم *(وممن أصاب الغرض بالغازه في القوس)* الشهاب الاعزازي بقوله ما عجوز كبيرة بلغت عمرا طويلا وتتقيها الرجال قد علا جسمها صفار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال ولها في البنين سهم وقسم

في ساعة * يحصل لك الغرض
(ومن الغايات التي لا تدرك) لغز قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي رحمه الله تعالى في الكشتوان
ما رفيق وصاحب لك تلقا
ه معينا على بلوغ المرام
هو لاه بن واضح وجلي
وتراه في غاية الابهام
(قلت ومن نظمي في القوس)
قوسي اذا جذبته يطربني
بجس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته
يرى له في طارة البدر أثر
(الشيخ جمال الدين بن نباتة)
فديتك أيها الرامي بقوس
ولحظ يا ضني قلبي عليه
لعوس نحو حاجبك انجذاب
وشبه الشيء منجذب اليه
(قلت) لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التي لابد لفحول كتاب الانشاء من الجولان في ميدان وصفها ومجرى السوابق الذي جمعته في هذا الباب قد تقدم في الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشئ دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين على ان أورد هنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن ما يحتاجون الى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن أسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماها فواصل فليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازي والمشطر (فالمرصع) عبارة عن

الناس فعند ذلك يأخذ من به اليرقان و يحكه ويستعمله ومن عجيب أمره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمي ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته و يتمتع عينيه *(لطيفة)* قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها أتمتنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم *(الخواص)* مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع *(خفاش)* طير يوجد في الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعها الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر *(خنزير)* حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك واذا كرمها يطارد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها او تطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا او ينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى نابأه من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا *(خنفساء)* دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فلان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة *(فائدة)* قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطارق يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق شيأ سدى وان في أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ *(الخواص)* اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت في برج الحمام كثر الحمام في ذلك البرج والاكتحال بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر *(خيل)* جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال في مشيتها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى وأوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروي عن ابن عباس أو علي رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال اني خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك و بصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال الله يا آدم اختر أي الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفي الحديث ما من فرس الا و يقول في كل يوم اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة

فرس

فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس للانسان وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لاتحضر شيأ من اللهو الافى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبي صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فاعمى اعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام تعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فامر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لايحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا * اذا ما الخيل ضيعها أناس
ربطناها فاشركت العيالا * نقاسمها المعيشة كل يوم * ونكسبها الاباعر والجلالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل مادب على الارض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوما واحدا من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت مالم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى ياعزرائيل امهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم قدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فاكلتها فخر ميتا فافترقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت * وأما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الالوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أوسائرين الى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لايدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضرب بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى أنها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك مانعلم لها نقيصة غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتاتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع مص يديه و رجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لاتزال تلحسه وترفعه فى الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه ويتخشن و يصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق وقامتها السفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب

مقابلة كل لفظة من صدر البيت أوفقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وماخوذ من مقابلة العقد فى ترصيعه * ومن أمثلتها شريفة فى الكتاب العزيز ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريرى فى المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو أن ياتى المتكلم فى آخر كلامه أوفى بعضه باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة فى عدد معين بشرط أن يكون روى الاسجاع روى القافية كقوله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم) جنابه محط الرحال ومخيم الآمال * (ومن أمثلته الشعرية قول أبى تمام) تجلى به رشدى وأثرت به يدى * وفاض به ثمدى واورى به زندى (الثالث المتوازى) وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها فى الوزن والروى كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريرى فى المقامات وأودى بى الناطق والصامت ورثى لى الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع السجع المشطر) وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتى النصف الآخر لكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبى تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهم الله تعالى تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتغب انتهى باب السجع قالت وقالت علماء هذا الفن ان قصر الفقرات فى الانشاء يدل على قوة المنشئ وأقل ماتكون من كلمتين كقوله تعالى ياأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال

ذلك كثير في الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه في مهد يا ظم
الارض بريرو ينزل من السماء بخبر (١٠٠) لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا على سمعه
انتهى (وأما الفقر المختلفة) فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولكن لا يكون أكثر من المثل مثاله في القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى (ومثاله) في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (ومن فوائد الانشاء) أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها في المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن كقول الصاحب ابن عباد في وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور
(ومنه قول الصابي) يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير الله
كذلك *(ومن فوائد الانشاء) التي يتسع فيها المجال على المنشئ ان السجع مبني على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون

يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمي بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذي لا يقطع الا بالفاس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله *(دجاجة)* وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم وقيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف في الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة في بطن الدجاجة في عشرة أيام وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب في صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المني وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج النيء يزيد في العقل ويصفي اللون ويزيد في المني ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر *(دج)* طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه *(دود)* اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك في أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا في حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك في مدة ستين يوما قال ثم يأخذ في النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما في جوفه ثم يخرج شيئا كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير ترك في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستي

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

(وقال آخر)
يفني الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقي وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدي الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الجيدة ما لا يحصر منها أنه يساوي بين أزواجه في اطعمه ويذكر الله تعالى في الليل حتى قيل انه يوقته ويقسمه وربما لا يخرم في توقيته وفي الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالي عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المصلون فاذا مضى الثلث الثاني ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه في الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثاني خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبي باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة أصوات يحبها

الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لاتسبوا الديك فانه يؤذن للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله

(نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فامر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فارادت المرأة مسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا مانرضى أن يبلغ الاضطرار بابى اسحق الى هذا القدر فارسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلات الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ماهذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض بسود وعلى الاسود بييض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء

(وحكى) أن المنصور كان جالسا فالح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعابه ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لايقع عليه ذباب قط وقال المامون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن مايكون وقيل ان المواشط تستعمله ويامرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقى عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب *(ذئب)* حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادى وهو من الحيوان الذى ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذ خاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الارض أشد بعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لايكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها المعانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية واة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ماصنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ماساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مسرعة بنسعة قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان

ما كنت الاعجاز موقوفا عليها الا ان الغرض أن يجانس المثنى بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة اذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا فلو أثبتوا الاعراب فى قول من قال ما أبعد مافات وما أقرب ماهو آت للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشى (ومن ذلك) ان السجع مبنى على التغيير فيجوز ان يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج مالا يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ماهو من ذوات الياء وماهو من ذوات الواو فتمال التى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ماهو من ذوات الياء لاجل الموافقة (كقوله تعالى) والضحى فالضحى أميلت وكتبت بالياء حملا على مافى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة والشمس وضحاها أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على مافيها من ذوات الياء (ومن) ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ماودعك ربك وماقلى الاصل وماقلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف مالا ينصرف كقوله تعالى قوارير اصرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما جاء) من ذلك فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الاصل عين ملمة (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم مازورات غير ماجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق ماجورات (ومنه)

بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيه الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر *(رخم)* طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ماقيل فى بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان ما كولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة قيل انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتاتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح أنها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة *(زنبور)* حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب لكل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخيه

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر مايوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفار قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها *(سمندل)* حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويعمل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتاكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق *(سنجاب)* حيوان كهيئة الفار يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفار وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق *(سنور)* حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات كلها وأسماؤه كثيرة *(حكى)* أن اعرابيا اصطاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قال له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهر بنمه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلات وذى غيرة هاجت حميته عن تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ ولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه لاجل الفار فاذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بارض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه *(سوس)* هو دود الحبوب والفاكهة *ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت

قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم الاصل ماوادعوكم ولكن حذفت الالف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لان المشاكلة فى اللغة هى المماثلة وهى فى المصطلح ذكر الشئ بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك والاصل تعلم مافى نفسى ولا أعلم ماعندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس فى حقه الا انها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى) ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله (وفى الحديث) قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر) قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا أراد خيطوا لى جبة وقميصا وذكره بلفظ الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام

فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فمن الانشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فاثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة وتصحو من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومثله) قول أبي نصر العتبي دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهن في تفاريق أعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة (ومثله) قول الصابي:

نزغ به شيطانه وامتدت في الغي أشطانه (ومثله) قول بديع الزمان

كأني لي البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضي الفاضل

و وافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمام عمامه وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (قلت) و يعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم سرية كشف الازار في مقاصده أخف من وطأة ضيف وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف (ومثله في الحسن قوله) في صدر مثال شريف سلطاني أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة مامنهم الامن استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدده وبل عن مكانه (ومثله في الحسن) ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف

الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شيء من شعرها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيئا يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه و يأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيئا ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه *(شاهين)* طير يكون كهيئة الصقر الا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار فقال فطار واحد منها وانقض على صيد فاخذه فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد به *(شحرور)* طير أسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان و يقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء *(صعو)* طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضان) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تحوز وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ودبر و يقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم و يقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها * أأطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجيب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها ألية في صدره وأليات في كتفه وألية على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها انها اذا تسافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت انثى والله أعلم *(ومن خواصها)* أن لحمها ينفع للسوداء و يزيد في المني والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله أعلم *(ضب)* حيوان يجعل جحره في الارض الصلدة وعنده بله فربما لا يهتدي لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كدية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال أنه لا يشرب فانه يبول في كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الارض وتتعاهدها في كل يوم الى أربعين يوما فيخرج و بيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى يمتنع بها و يخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة في بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينه وبين الافاعي مناسبة وذلك أنه لا يخرج زمن الشتاء *(فائدة)* قيل ان أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا ياعمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك الا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ياضب فاجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال

الاعرابي عند ذلك يا ويلاه ضب اصطدته بيدي من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا مني اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة مني اليك ولانت الساعة أحب الي من أهلي وولدي وما ملكت يدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني يا حبيبي قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص قال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم ساله ألك مال فقال يا حبيبي ليس في بني سليم أفقر مني فقال لاصحابه أعطوه فاعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله عندي ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف لك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابي من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فاسلموا عن آخرهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدي *(الخواص)* قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا *(ضبع)* حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشرب به زال سحره *(ضفدع)* حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجري ومن العفونات وعقب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل في الماء والاعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي سبعون سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تاخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل سنة ففي السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر في أيام الربيع ويرمي ريشه في أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما *(فائدة)* قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها تدب فيه يزهو بنفسه ويمشي عجبا كالطاوس فاذا جاءه مبادي السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوي سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور وقيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبي) هو واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهي ظباء الرمل ولونها رمادي وهي سمينة العنق

ملك العراق يتضمن خطاب الايناس نظير ما خاطب في مكاتبته (فمن) الجواب قولي وهذه ألفة خواتمنا في نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على المقر أن يقول أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا وقد بشرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض وأما قراعيم ان فقل سيوفنا ما غمضت عنه في أجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت توبته الا شرعت في جس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلابد لاجل المقر أن تخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بارضه ويغرس فيها عيدان المران وان كانت من الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا الاشتغال الدولتين بالدخول في تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل من جس العيدان في كل خارج ويدهمه من ابن أبي النصر أبناء حرب شرف في انساب الوقائع جذهم وردا لجموع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى آمد تلا لهم حصنها في سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لسكانها مجادلة اذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم في الواقعة وما خفي عن كريم علمه ما جمعه الناصر من الجموع التي فرقها الله أيدي سبا وكم سأل سائل وقد رآهم في النازعات عن ذلك العصير بالنبا وقد أشار منشئ دولتنا الشريفة الى ذلك في قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد قوله

والثاني

والثاني العفر ولونها أحمر وهي قصيرة العنق والثالث الادم وهي طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة جحيمها في الماء العذب فاى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل (الخواص) اسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذاقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جحر والكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست في ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تاتي بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتاكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى في قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلى قال فاتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا ياتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم *(فائدة)* نقل القرطبي عن سيدى أبي بكر الطرطوشي رحمه الله انه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى *(عقرب)* هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا جاءت تسلط عليها أولادها فاكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فاتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر وقد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر والله ان الله نحوك ناظر * هذا ومافى العالمين مناظر زحف على المحبوب نظم عسكرا * وأطاعه في النظم بحر وافر فانبت منه زحافه في وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطا الدوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة
فكأن هاتيك السروج
مقابر (وما خفى) عن علمه
الكريم أمر الذين نقضوا
بيعتنا واشتروا الضلالة
بالهدى ودعوا سيوفهم
الصقيلة لما حاق بهم المكر
السيئ فاجابهم الصدى ولم
يكن في حرارة عزمنا الشريف
عند عصيانهم البارد فترة
حتى أظهرنا بالوان الشام
من دمائهم على تدبيج الدروع
ألوان البصرة وأخذوا سريعا
بشبان حرب ماشابت
عوارضهم الا بغبار الوقائع
وحكم برشدهم ولم يخرجوا
من تحت حجر المعامع وقد
أسبغ الله ظلال الملك وخيم
به على الدولتين ولم يظاهر
لمحراب بهجة الابهاتين
القبلتين ولو صات السيوف
لغيرهما ماقبلت أو صرفت
العوامل الى غير نحوهما ما
عملت فقد فهمنا كريم
الالتفات الى أن تدار كؤس
الانشاء بيننا ممزوجة بصافي
الموده وعلمنا أنها أحكام
صحيحة في شرع الاخوة وان هذه
الاحكام عندنا عمده وقد
سابق القصد اليوسفي
بسهام مراده الى الغرض
وقضى حاجة في نفس
يعقوب المحبة ليس عنها
عوض ولم يبق الاتصال
شمل الاوصال بكل رسالة
سطورها في رقاع الاخوة
حققه وتصديق مايقصه في كريم جوابه فان القصة اليوسفية ما برحت مصدقة والله تعالى يمتع الابصار والاسماع بمشاهدة أمثاله وطيب أخباره ويفكهنا من بين أوراقها بشهي ثمار ان شاء الله تعالى انتهى مادنت قطوفه من ثمرات الاوراق

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب
فقد هدّ قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهي سلام على نوح في العالمين وصلى الله على سيدنا محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربي آخذ بناصيتها كذلك يجزي عباده المحسنين ان ربي على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرني لا تلدغوه ان ربي بكل شيء عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم *وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفي البخاري أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتني البارحة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذي أن من قال حين يمسي أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح في العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر في ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب في السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك *(الخواص)* من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شيئا من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته *(عقعق)* طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحي الحمامة وهو لا يأوي الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده *(الخواص)* دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة في البدن أخرجه (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمي فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانه ينفصل من رائحة دخانه *ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلي به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه وسميت بذلك لانه كان في عنقها طوق أبيض قال القزويني انها تخطف الفيل لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت في قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبي ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التي خلف خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفي سنة ويتزوج اذا مضى عليه خمسمائة *وحكى الزمخشري في ربيع الابرار انه تعالى خلق في زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى اني خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي فشكوها اليه فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهي من الحيوان الذي صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته *(فائدة)* قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادمها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغي بألف رجل ويتزوج بها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت

وحلا في الاذواق السليمة وراق * (وهذا ذيل ثمرات الاوراق) * للامام تقي الدين بن حجة رحمه الله تعالى وهي محاضرات لا يستغنى عنها أو علا
يعول واذا ذلك ألحقت بالاصل في الطبع وجعلت تتمة للاول * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (يحكى) ان هرون الرشيد حج ماشيا وا

سبب ذلك ان أخاه موسى الهادي كانت له جارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ما شأنك يا أمير المؤمنين قال قد وقع في قلبي ان جاريتي غادر يتزوجها أخي هرون بعدي فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال ما يزيل هذا ما في نفسي وأمر باحضار هرون وعرفه ما خطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغي أن يتكلم به في تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحلف لي قال أفعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فأحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الا شهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هرون أرسل الى الجارية يخطبها فقالت يا سيدي كيف بايمانك وأيماني فقال أحلف بكل شيء حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما الا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا ليمينه وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فيضع رأسها في حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هي ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة فقال لها ما لك قالت رأيت أخاك في المنام الساعة فقال
وهو يقول أخلفت وعدك بعدما * جاورت سكان المقابر ونسيتني وحنثت في * أيمانك الكذب الفواجر فظللت في أهل البلا *

فقال الخادم وأنا صبرا هذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت من يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هنالك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم الى تلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هنالك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتينى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بأمرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور ولا نعلم شيئا منه لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا ففعلوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرآه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فدلته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطارف ابهامها من مائه شئ فعمل سما حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها ولم يفدها قصره ولا صرحه شيئا قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة *(فائدة)* نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه *(الخواص)* نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به *(ابن عرس)* حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فار فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلعب به *(عجيبة)* قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر وما زال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما رطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فأفلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى فى طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريرى

يا رازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه

وغدوت فى الحور الغرائر ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر لا يهنك الالف الجديد * د ولا ندرعنك الدوائر ولحقت بى قبل الصباح * وصرت حيث غدوت صائر والله يا أمير المؤمنين فكأنها مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث أحلام فقالت كلا والله ما أملك نفسى وما زالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى) ابن أبى حجلة فى كتابه سلوك السنن الى وصف السكن أخبرنى شمس الدين محمد بن فراج الحسينى أخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت فى المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه مزدوجة وكانا نمشى فى طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقنى فقال ليس الماشى برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشى أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا فى الحديث فسألنى ما صنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان أو كاتب انشاء فقلت شئ من هذا وشئ من هذا فقال ما يدعى دعواك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدنى وكنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت أستجيده فأنشدته الى أن بلغت قولى

تركوا بماء النيل ماء سلسلا * وترشفوا ماء الثمار مكدرا

فقال لى لاشئ فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافى قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لا خير ولا مير قال بل ثم بعد ذلك بشهر رأيته فى المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفنى ثم قال هل تعرف من الشعر الميشوم شيأ قلت نعم قال فأنشدنى وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفى بالنزلة فأنشدته اياها الله ما أشكوه من نزلة * قد ضر منها ضيق أنفاسى ومن صداع ضقت

لما رحله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء وجد في طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم * ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب الفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره * (الخواص) * اذا غمس الغراب في الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلي به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر في خرقة على من به السعال زال * (غرغر) * دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفي طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها في البيوت وهي من الحيوان الذي يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة *(الخواص)* دمها ينفع من الآثار في العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها *(فارة)* وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهي التي قطعت حبل سفينة نوح واذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتي الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت في فمها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشرب ويقال انها من بقايا المسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة في اناء فان لم تشرب به فهي منهم *(الخواص)* عينه تشد على الساقي يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار *(فرس البحر)* حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير تشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره *(فهد)* حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعها الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد ابن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني *(فيل)* حيوان يوجد بارض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر في مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخف عليها والذكر يحرسها خوفا على ولدها من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج في زمن الربيع وزعم أهل الهند ان لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم اشده ذكائه وقيل ان ثدييه في صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتماله بعض جسده ببعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أولجه في فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غاب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور * حكى عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه

ذرعابه * باتت بدي منه على رأسي فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما فاعجب الى داء من قد عز زا * بثالث من داء افلاس (وحكى) في مرآة الزمان وغيرها في ترجمة شمس الدين توران شاه بن أيوب أخي السلطان صلاح الدين قال قال محمد بن علي الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فمدحته بأبيات فلف كفنه ورمى به الي وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به ... ميتا فامسيت منه عاري البدن

ولا تظنن جودا شانه بخل ... من بعد بذلي ملك الشأم واليمن

اني خرجت من الدنيا وليس معي ... من كل ما ملكت كفي سوى الكفن

(حكى) انه كان ببغداد شخص يعرف بابي القاسم الطنبوري صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى أن صار في غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبي القاسم الطنبوري فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة بكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال له سمسار آخر قد ورد تاجر من نصيبين بماء ورد في غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله في الزجاج المذهب ووضعه على رف في صدر البيت ثم دخل الحمام يغلس فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهي أن تغير مداسك فانه في غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد الى جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته فادر

فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم اني رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لي في رؤية الفيل
رأيت بيتا له شيء يحركه * فكدت أفعل شيئا في السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بأنفسهم و يتركونه * ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث و يضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والآخر في يد راكبه فاذا أراد شيئا غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك (قيل) خرج كسرى ابرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا قيل ان الفيلة لا تتسافد في غير بلادها *(فائدة)* من قرأ سورة الفيل ألف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساء الي ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصمه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما *(الخواص)* جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقي انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق و جلده أعز قيمة من السنجاب

(قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض في الرمل و يحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام و يقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا كراما له لانه يقال انه يبر والديه *(خواصه)* انه يقيم المقعد و يحلل البلاغم المزمنة و ينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب

(قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدي للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل و يصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن الهدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح وسخف * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعي فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البري فيزول أذاها وهو من الحيوان الذي يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيئا معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت في معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر و بني آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك و يتغالون في ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين و يخرج ولدها نابت الاسنان

وكان القاضي دخل الحمام يغتسل ففقد مداسه فقال الذي لبس مداسي ما ترك عوضه شيئا فوجدوا مداس أبي القاسم فانه معروف فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضي عنده فأخذه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فأخذ المداس وألقاه في الدجلة فغاص في الماء فرمى بعض الصيادين شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبي القاسم والظاهر أنه سقط منه فحمله الى بيت أبي القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذي عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح واعقراه أفقرني هذا المداس ثم قام يحفر له في الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا أنه نقب فشكوه الى الوالي فارسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم اسجنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن الى أن غرم جملة مال فأخذ المداس ورماه في مستراح الخان فسد قصبة المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس أبي القاسم فحملوه الى الوالي وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب فظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبي القاسم فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شيء فأخذ المداس وجاء به الى القاضي وحكى له جميع ما اتفق له فيه وقال أشتهي أن يكتب مولانا القاضي بيني و بين هذا المداس مبارأة بانه ليس مني ولست منه وأني بريء منه ومهما فعله يؤاخذ به و يلزمه فقد أفقرني فضحك القاضي و وصله

والغرون قوى الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه في بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيئا حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندي وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيئا *(كروان)* طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا في القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المقابلة *(كركى)* طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزويني واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية *(كلب)* معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقي أسرع في التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفي طبعه اكرام الاجلاء من الناس *(حكى)* أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فانشد يقول

ومازال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عهدي والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتي * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظر والى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فمازال يبحث في التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به أناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمي ذلك قبر الكلب وفي ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك) ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتي كل يوم الى الموضع الذي دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذي ينبح عليه الكلب وضربوه فاقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذي يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض في كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك في النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب في الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير الجار للغني لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك *(فائدة)* حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فاخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل الي ثم قال حدثني أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا الى أهله *(فائدة أخرى)* قال الترمذي لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها

قنعت بزور من خيال يعنه
وكنت بوصل منهم غير قانع
اذا رمت من ليلى على البعد نظرة * لتطفي جوى بين الحشا والاضالع
تقول رجال الحي تطمع أن ترى * لليلى وصالا من بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها
سواها وما طهرتها بالمدامع
أجلك يا ليلى عن العين انما
أراك بقلب خاضع لك خاشع
وما سر ليلى ما حييت بذائع
وما عهد ليلى ان تناءت بضائع

(ومن غريب ما يحكى) أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والدة يزيد بن عبد الملك بن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بني أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد بن ابنها ويزيد بن الوليد بن زوجها وابراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية بن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى *(وجد بخط قاضي القضاة شهاب الدين أحمد ابن حجر حافظ العصر)* قال وجد بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني قال أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد

أمباني الاهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
أذكرني قولا تقادم عهده * أين الذي الهرمان من بنيانه هي الجبال الشامخات

الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمان اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ماصنعه فى السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه *(فائدة أخرى)* قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان مايدخل الجنة الاهو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى)* اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الابسلطان وقل بعد ذلك لااله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(لقلق) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ماقسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمى بذلك لانه قيل انه لايشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لايستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لاتشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألاتنظرون الى صغير ماخلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لاتكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لايغفل عنها المنان ولايحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لااله الاهو ولامعبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أرباعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فحملت فيه رزنجا أو كبريتا هجرتها والله أعلم *(نحل)* حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شانه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لايوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فاخرج ذلك فاول مايخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية ومامات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى *(فائدة)* قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فاتوه بذلك فخلط الجميع وشرب به فشفى * وروى أن شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فامره بشرب العسل فشرب به ثم جاء ثانيا فامره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يارسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى

تكاد أن * تمتد فوق الافق عن كيوانه لوأن كسرى جالس فى سطحها لاجل مجلسه على ايوانه ثبتت على حر الزمان وبرده * مددا ولم تاسف على حدثانه والشمس فى احراقها والريح فى * هبوبها والسيل فى جريانه هل عابد قد خصها بعبادة فبانى الاهرام من أوثانه أو قائل يقضى برجعة نفسه من بعد فرقته الى جثمانه فاختارها للكنوز ولجسمه قبرا ليامن من أذى طوفانه أوانها للساترات مراصد يختار راصدها أعز مكانه أوانها وضعت بيوت كواكب أحكام فرس الدهر أو يونانه أوانهم نقشوا على حيطانها علما يحار الفكر فى تبيانه فى قلب رائيها لعلم نقشها فكر بعض عليه ضرس بنانه (يحكى) أن القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى كان يمر على الناس ولايسلم عليهم فلامه بعض أصحابه فى ذلك فقال

يقولون لى فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وانى اذا مافاتنى الامر لم أكن أقلب كفى اثره متندما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما بدا مطمع صيرته لى سلما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ولا كل من فى الارض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض مالايشينها مخافة أقوال المدافيم أولما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن اهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما
قال شيخ الاسلام تاج

الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى *(نادرة)* قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من الظرفاء جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهتوه *(الخواص)* اذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم *(نسر)* هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه في تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض في الاماكن العالية ويبقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة *(الخواص)* اذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهيبا عند الناس مقضي الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها *(نعام)* يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بام البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تاكله في حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها *(فائدة)* روى كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها في شئ اما شعب أو شجر تظن انها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه ما دام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان أنثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفار فيبرأ وفي طبعه عداوة الاسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون *(الخواص)* من حمل من جلده شيأ صار مهيبا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد)

الدين عبد الوهاب ابن شيخ الاسلام تقي الدين السبكي الشافعي سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا أقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم اذا عظم تعظم وهو في نفسه عظيم ولكن أهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والاحسن ما أشرت اليه انتهى (قال) الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي في أجوبته عن الاعتراضات التي على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قول أبي نواس

أباح العراقي النبيذ وشربه
وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سئل الاديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله عن معنى هذه الابيات ومعناها أن العراقي وهو أبو حنيفة رحمه الله أباح النبيذ وحرم المدامة وهي الخمر أسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شئ وأن الحجازي وهو الشافعي رحمه الله قال الشرابان واحد فاخذ أبو نواس بالوجب فكأنه قال انهما واحد ولكن في الحل لا في الحرمة واليه الاشارة بقوله فحل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء في التكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به أحد ولعله أشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقد فهو على ما زعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد ما لم يقله مسلم وكيف يمكن أن يقال انه يعتقد الحل وقد قال لا فارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهي على كل حال من كلمات الشعراء التي لا يحتج بها في دين الله تعالى

(اعل)

ذوالرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فأنصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان فى العلل لنعما لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبى الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه *(الخواص)* اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول فى صياحه *لدوا للموت وابنوا للخراب* والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا بما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(ياجوج وماجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث ياجوج وماجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من ياجوج وماجوج ألفا ومنكم واحد وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يا رسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها فقال لى صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخر ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجئ الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة *(يحمور)* دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر

من الغفلة واذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره اه حكى عن ابن المبارك أنه قال حججت الى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطواف اذ عييت فجلست أستريح ووضعت رأسى على ركبتى فغلبنى النوم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد المحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فأخبره أن النبى العربى محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور الى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانيا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل أمرى فهو حق فقلت يا رسول الله أريد بذلك علامة ألقاه بها فأخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسى شيخ زمن قد أتى عليه

وقيل هو كالايل يلقى قرنيه في كل سنة وهما اسمتان وقال الجوهري هو الجدر الوحشي *(نادرة)* قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفارقك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

(فصل في خواص الطير والحيوان على الاجمال)

الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذي عين فان أهداب عينيه في الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضيء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذي يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذي يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها من له أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عوي الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها من له أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى في البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتي مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار سنة

مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه ويبس عصبه وجلده فاذا أتيته وسلمت عليه وبشرته بي فقلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التي أخذتها بيميني على رأسه وامرر بها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطري جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالواله فلما أن قضيت حجي وحللت عقدي وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسي فقلت يا غلام استأذن لي على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصيارف قعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت يا قوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الاولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم في الحساب فسلمت كما أمرني النبي صلى الله عليه وسلم فرد علي السلام وكان قد شد حاجبيه بعصابة فرفعها عن عينيه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبي ادن مني فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وما هي قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فخرجوا وبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء أصغرهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة

ثلاثين

وأربعين منه فقلت فهل تعرف أنك عملت شيئا استوجبت به من الله الجنة قال لا أدري الا أني رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم
من بعض وأعطيت مهورهن من عندي وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار

ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقي أو دبقى
كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس
و يقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة و بيضة عادية
لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا ولو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا
متواضعا كان اذا لقيني يسلم علي و يرحب بي و يكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم
يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحد وكانت له أخت على طوله و رأيتها مرات في بلغار وقال لي
قاضي بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار
قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (و روى) عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان
من أحسن الناس وأجملهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه و يقال
ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول
الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الارض برا و بحرا
و يفسد ماشاء و يقال انه لما حضر بنو اسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على
رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله له طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه
وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله
و يقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهواء عشرة
أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ماقيل عن أمه عنق بنت آدم
عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع ولكل
أصبع ظفران كالمخالب وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الارض وعمل الفجور
وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه الصلاة
والسلام أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فأغفلتها عنق وسرقتها
واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله
عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بأربعين سنة (ومن ذلك) ما حكى عن بعض
فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد الحميدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي
لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله
خبل فتركه (و روى) عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها
انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد
وهما يأكلان و يشربان و يتقاتلان و يتلاطمان و يصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي
أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم
قطع و رأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو
رجلان في جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا
وتعطشان معا فقالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما و يقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما
يختصمان في بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ماذكر أنه أهدى الى أبي منصور السامانى فرس
له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله
تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في
السنور والدبرى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك
يدعى طفطوفولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت

فهل عملت شيئا صالحا
لآخرتك قال قسمت ليلي
ثلاثة أجزاء أما الجزء الاول
فاني أقعد للمسامرة وتقرأ
على سير الاول فانفرج
بذلك والجزء الثاني أعبد
فيه النار وأسجد لها من
دون الله الواحد القهار
والجزء الثالث أتفكر فيه
في أمر معاشي ومعادي
وأمنع نفسي عن النوم في
ذلك الجزء فان النوم فيه
جهل وخمول ودماء الا
لضرورة فقلت هل لك دليل
غير هذا قال لا قلت يفعل
الله مايشاء و يحكم ما يريد
فبم استحققت يا بهرام الجنة
قال و يحك يا ابن المبارك
أتقطع لي بالجنة وأنت عالم
المسلمين من أخبرك بذلك
قلت أخبرني الصادق الامين
الذي لا ينطق عن الهوى
صلى الله عليه وسلم قال فما
القصة فحدثته بالمنام الذي
رأيته و بما قاله النبي صلى
الله عليه وسلم مرارا فقال
يا ابن المبارك وهل لذلك
علامة ظاهرة قلت نعم ادن
مني فدنا فمسحت بيدي
رأسه و وجهه وصدره و بدنه
وأولاده ينظرون فصار شابا
حسنا طريا سميعا بصيرا
واسود شعره وابيضت بشرته
فلما عاين ذلك قال امدد يدك
يا شيخ أنا أشهد أن لا اله الا
الله وأن محمدا رسول الله ثم
قال يا شيخ أخبرك السبب
الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا
وانقضت الوليمة فلما كان في بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس منتبه

فقلت من بالباب فقالت يا بهرام أما امرأة من جيرانك فاوقد لي هذا السراج قال بهرام والمجوس لا ترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فصيرت في أمري وقت ولم أنبه أحدا فاسرجت لها (١١٦) السراج فانصرفت وأطفأت السراج وعادت وقالت يا بهرام قد انطفأ فاسرجه لي فلما أسرجته

قالت يا بهرام والله ماجئتك لاجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاورن كالمرأة الثكلى أو كالحبة في المقلى فان كان بقي في دارك فضل طعام فاعطني فانك ان شاء الله تملك بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة فاخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شيء كان في البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملي هذا الى عيالك واقسمي عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يا بهرام أعنى أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد فقلت يا هذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى على مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبي فقلت لها شيلي على رأسي فشالته واستقل على رأسي فسال لذلك عرقي حتى صرت في منزلها فحطت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت ألقم البنات الى أن شبعن ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن

فلما أردت القيام قلن باجمعهن يا بهرام أصلح الله لك أمورك وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا وفرحك عندهن يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وأنزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دار الجنان وأنا أقول آمين ومازلت أرجو

ولدن وأما كبش بار بعة قرون ودجاجة بار بعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه (ومن ذلك) انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت لهم سمكة عظيمة فثقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقها شيء كالثوب يسترقبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فاخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فالقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين ان الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فاقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فاخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فاما أحدهما فوثق بصاحبته فاطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فاطلقها فاغفلته وألقت نفسها في البحر فتاسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه درو جوهر فباعه وصار من التجار (ونظير هذه الحكاية) ما ذكره ابن زولاق في تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فاقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر فكاد أن يلقي نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شيء لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذي أودعه هذا السر قادر على كل شيء فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان في بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن في ماء

عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتاولا يلدن ذكرا ناأبدا وقيل ان ولد تبع اليماني وصل
اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذوالقرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى
بنى افريقية وسماها باسمه وأنه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن
يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذوالقرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه
فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الامة التى لا رؤس لهم أعينهم فى
مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم * وأما الملك
العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند
وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر أحد
سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل
والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان
كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران
أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتعرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من
بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبالها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة
فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى احداها تمثال الارض فاذا
التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل
تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد الملك أن
يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فمكن من سقى
من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان
كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا
فيها فأبصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب
صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق
على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس
تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا ازدادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال
فى ذلك لا تسع المجال وقد اقتصرت فى ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع
والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء
رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما
قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من
نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض
الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها
برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على
الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم
فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف
البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم

استجابة دعائى ن قلت يا بهرام أبشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أنك تفرغ من دلوك فى
اناء أخيك ماء قال عبد الله بن المبارك فتصدق بهرام فى ذلك اليوم بمائة ألف درهم وبمائة ألف دينار وبمائة ألف ثوب مروزيات
وبألفى ثوب ديباج وفرق
سائر أمواله على أولاده
وبناته وأسلموا جميعا وتفرق
الاخوة عن الاخوات وزوج
أولاده بالمسلمات وبناته
بالمسلمين وأسلم فى ذلك اليوم
خلق كثير من المجوس ثم
انفرد عن أهله ولزم المحراب
يعبد الله فلم يلبث الا قليلا
حتى توفى رحمة الله عليه ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم
(روى عن سعد بن سعيد)
أنه قال كان فى جوار
معروف الكرخى رجل
مجوسى من أبناء الاغنياء
وجد الخليفة عليه فصادره
وأخذ منه ألف ألف دينار
فافتقر بعد الغنى وذل بعد
العز وكان له أعداء وحساد
فقالوا للخليفة انه قد بقى له
مال جسيم فلا تظن انه
عديم فأمر بمصادرته ثانيا
فلما علم المجوسى ذلك دخل
بيت النار وقصد ما كان
يعبد من دون الجبار وقال
ان لم تخلصنى آمنت برب
معروف فلم يجبه أحد ولم
ينتفع بسجوده للنار ولا
للنور فلما جن عليه الليل
اغتسل وأتى مسجد معروف
الكرخى فلم يجده فى المسجد
فرفع رأسه وقال يا اله ابراهيم
وعيسى ومحمد واله معروف
ويا من لا اله الا هو تحققت
أن ما عبدته من دونك
باطل لا يضر ولا ينفع وانى جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهدا بان لا اله الا أنت اله الاولين والآخرين
وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شئ قدير فاغفر لى ما تقدم من ذنبى وجهلى واسرافى ولا تنظر الى سوء عملى

ومعصيتي واصرف شر الخليفة وأعوانه عني فقد وجهت وجهي اليك ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك
الى الله فاقبلني ثم سجد وأطال سجوده وهو يناجي ربه ويبكي فاتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي متفكرا في أمره لا يحقق من

هو واذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسال عن المجوسي باسمه ونسبه فقيل معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لي انه في مسجد معروف فوالله لا باس عليه فان الخليفة قد بعثني اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على أن يؤمنه ويرد عليه ما أخذ منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى في المسجد أحدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجي لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف امدد يدك اني أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واني رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه وأقعدهما الى جانبه وقال وأقبل يعتذر اليهما ووقع منه وأمر بالاموال التي أخذت من المجوسي فاحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تامل هذه الاموال أليست هي

من يسترق السمع ومنهم من ينشأ مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا فقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقي عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد ولكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل في مكايده لعنه الله) (منها) انه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقيل له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فما ضرك لو جعلتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاءه ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله فقال اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين (ومن ذلك) ما اتفق أن بني اسرائيل اتخذوا شجرة وكانوا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فاخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عني وأخبرني كيف غلبتني فقال له لما غضبت لله غلبتني ولما غضبت لنفسك غلبتك * ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل في المتشيطنة وهم أنواع كثيرة)

* منها الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الانسان (حكي) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة فخروا منها على وجوههم وأخذ بعض من في المركب * ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى للرجال (وحكي) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فاقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالي وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه * ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بانفسهم (حكي) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فاتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كراماتي والله اني لاعلم انه شيطان

وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدي الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر * وقال بعض المسافرين أبق لي غلام فخرجت في أثره فاذا أنا بأربعة ينشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامي قال كعلمي بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتاني بالغلام مقيداً فلما رأيته غشي علي فلما أفقت قال انفخ في يده فنفخت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ في شئ من ذلك ولا في وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه * ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لي قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتي وضللت عنهم فبينما أنا سائر في أثرهم اذ رأيت ناراً عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفني عفريت يقال له ظليم وجعلني ههنا فهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار فقلت لها امضي معي فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذني ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلي ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتي فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان في الارض فقالت ها هو قد أتانا فنخت ناقتي وخططت حولها خطاً وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

يا ذا الذي للعين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر * وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

يا ذا الذي للعين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق

* ما أنت في الجن بأول من عشق *

قال فتبدى لي في صورة أسد وجاذبني وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس مني قال هل لك في جز ناصيتي أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتي أو ألف دينار الساعة وخل بيني وبين الجارية فقلت لا أبيع ديني بدنياي ولا حاجة لي بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءني منها أولاد * وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبي الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعة وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الاشكال وسجد شكراً لله تعالى وقال الهي ألبسني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ويكفيني من ذلك هذا القدر اليسير والله المسؤل في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول)

(الفصل الاول في ذكر البحار) روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه

التي أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله لك فيها واجعلني في حل مما وقع مني واستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين أما الاموال فهي لك حلال بعد أن هداني الله الى دين الاسلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك الى طلبي في هذا الوقت ورد هذا المال علي قال نعم كنت نائماً واذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل علي ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلاناً المجوسي كنا قد دعوناه في الذر فأجابنا وكان في المجوسية مستتراً وانا معه عناية وقد جاء الآن الى تائباً وعما كان منه نادماً وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيراً بجنابنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوباً فأرسلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجداً لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه واأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشئ أمرني ربي باخراجه فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في المال أشهدك اني قد جعلته صدقة في فقراء المسلمين لاحظ لي فيه ولا لاحد من أهلي فقال الخليفة يا معروف بقي الامر اليك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والايتام والارامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهم أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يحاللله عما وقع منه ولازم الرجل معروفاً الكرخي الى أن مات تغمده الله برحمته (وحكي عن معن بن زائدة الشيباني) أن

شاعر اقصد فاقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها في الماء الداخل الى البستان فاتفق أن معنا كان جالسا في ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فاخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهي

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فما لي الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فانشد البيت فامر له بمائة ألف درهم فاخذها وأخذ الامير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة ألف درهم فلما أخذ الجائزة الثالثة خشي الشاعر أن يندم فيأخذ منه مادفع اليه فسافر فلما كان في اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق على لو مكث لاعطينه حتى لايبقى في بيتي درهم ولا دينار (وحكى عنه أيضا) أنه أتى بجملة من الاسرى نعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فامر لهم بطعام وشراب فاكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ماتصنع باضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ماندري أي يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فامر لهم بمال وكسوة (وحكى) أن المنصور أهدر دم رجل اسم كان يسعى في فساد دولته مع الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة ألف درهم ثم انه ظهر ببغداد فبينما هو يمشي مختفيا

قوله تعالى وكان عرشه على الماء * (واعلم) * أن بحر الظلمات لايدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان في يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاى شئ ذلك وكذلك ترى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض (وأما) مايخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فانتهينا الى ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فاقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذي في وقب عينها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فاقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فارسلنا اليه منه فاكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت في سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبي ينخلع وسقطت على وجهي أنا وغيري ثم ألقت السمكة نفسها في البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت في البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها في البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أناسا يقولون ان جماعة ركبوا سفينة في البحر فارسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه * وقيل ان في البحر سمكة تعرف بالمنارة طولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات بعدت فصرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما في البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلي فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هي خمس حيات في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن

اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا انها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتاكله وانها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتاكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة في البحر صخرة عليها شيء كثير من النارنج الاحمر الطري الذي كأنه قطع من شجره فقلت في نفسي هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هي ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هي حيوان يتحرك ويضرب في يدي فالتفت يدي بكم ثوبي وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاي شيء يصلح ذلك * قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كانما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك في أيام الشتاء وليس في تلك الارض التي كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كانها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها عجم كعجم العنب فسالت عن ذلك فقيل لي هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفي البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلي الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك أنه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك ولا ياكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لاصحاب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان في بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كانياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهي أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها ظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذ دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تاخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تنجي الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها أو يتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يحب نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع في تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهي صفة خيل البر وقيل انها تاكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان في البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكي ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهي كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمم رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص

في بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال

للرجل المتعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي أهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه يا غلام انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره أنه عندي فانطلق الى باب المنصور فاخبره فامر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول الى معن دعا أهل بيته ومواليه وقال أعزم عليكم لا يصل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال يا معن أتتجرأ علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائي في خدمتكم فما رأيتموني أهلا أن يوهب لي رجل واحد استجار بي بين الناس وتوهم أني عند أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فمر بما شئت ها أنا بين يديك فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من الغضب وقال قد أجرناه أجرت يا معن قال فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله فانصرف معن بالمال الى الرجل

منهم وسار فرأى صورا ملونة بالوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها اشجارا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عراة الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهم فى غاية اللطافة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة الابيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والابنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال ان هذه الجزيرة كانت مالكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار مالا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم ففزعوا وانتبه فقال مالكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس اليها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بجير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلابين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وثبا ثار لاهار بين فتبعهما الكلبان وجدا فى الجرى فامسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى ٭ دهرى من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الكلبان ٭ الى متى الى تجريان

قال فاخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وشواه فعفته ولم آكل منه شيا فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

٭(الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون)٭ قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ماهو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ماينبع

وقال له خذ صداقك والحق باهلك واياك ومخالفة خلفاء الله فى أمورهم (حكى الجاحظ) قال أخبرنى فتى من أصحاب الحديث قال نزلت دير فى بعض المنازل لما ذكر لى ان به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فصرت له لاسمع كلامه فوجدته فى حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة فى زى المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسالت عن سبب اسلامه فحدثنى ان جارية من بنات الروم كانت فى هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فاحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا فى التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطئ الصورة شيأ منه غير النطاق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها أغمى عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى وأخرج الراهب لى الصورة فرأيتها فكاد ان يزل عقلى فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها وما زالت كل يوم تأتى الصورة وتقبلها وتلثم ماتحب منها ثم تجلس بين يديها وتبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعمت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره فى الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى ان أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لناخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليه هذه الابيات يا موت حسبك نفسى بعد سيدها ٭ خذها اليك فقد أودت من

بما فيها أسلمت وجهى الى الرحمن مسلمة * ومن موت حبيب كان يعضها لعلوا فى جنان الخلد يجمعها * بن تحت عدا فى البعث باربها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشفى محبيها قال الراهب فشاع الخبر وحملها (١٢٣) المسلمون ودفنت الى جنب قبر الغلام فلما

من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنى عشر وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى الى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول *(النيل المبارك)* ليس فى الانهار أطول منه لانه مسيرة شهر بن فى بلاد الاسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب فى البحر الرومى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر * واختلف فى زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور *(نهر الفرات)* يوجد بارض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقى وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتى الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفى وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات *(جيحون)* نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شئ من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب فى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والخيل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين *(سيحون)* نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما اجتمع مع جيحون فى بعض الاماكن *(الدجلة)* نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا وقيل مقداره الثمانية فرسخ وفى بعض الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما يجو غريقه * حكى انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كان أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بارض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول *(نهر حصن المهدى)* قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وأنه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شانه *(نهر أذربيجان)* قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير *(نهر صقلاب)* يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام *(نهر العاصى)* بارض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

(نهر العمود) بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيتقطع *(نهر باليمن)* قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق *(نهر ببلاد الحبشة والسودان)* يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه

أصبحنا دخلنا الحجرة فرأينا تحت شعرها مكتوبا
أصبحت فى راحة مما جنته يدى
وصرت جارة رب واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا
قلبى خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت الى الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد
أنالنى رحمة منه ومغفرة
وأنعما باقيات آخر الابد
(قيل) اجتمع الصوفية الى أبى القاسم الجنيد وقالوا يا أستاذ أنخرج ونسعى فى طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا فندخل اذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع أربعة من الائمة الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضى الله تعالى عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعى ثم ما زالوا يصلون فى المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعى مم تضحك يا أبا عبد الله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام
والآن قد وسع الله علينا قال الشافعى فما سببه قال أحمد قالت لى أم عبد الله انكم لما خرجتم الى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال يا أحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال ها كم خذوا هذا فسلم الى زنبيلا أبيض وعليه منديل طيب الرائحة

وأرضها بها الخصب والبركة وبها شجر كالدراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثانى فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده يهوديا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فامر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فامرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك *(بئر برهوت)* بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انه تجتمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة *(بئر عسفان)* ماؤها يستشفى به قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها *(بئر معرونة بارض حلب)* خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه ما لم يجاوز الاربعين وبنيسابور آبار كثيرة وهى معادن القير والزاج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبارض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لحظة واحدة ويجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)

(الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواة الآثار ان لله عز وجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم باسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك * وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثانى الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فاتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور ومعروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين

وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعى يا أبا عبد الله فما فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن واللوز المقشور وأبيض من الثلج وأزكى من المسك ما رأى الراؤن مثله وخروف مشوى مزعفر حار وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شانه وأكلوا ما شاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الاكل حمل أحمد ما بقى منه وأدخله الى أهله فأكلوا وشبعوا وبقى منه شئ فاجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن أحمد ابن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط ما دام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضى الله تعالى عنهم وأعاد علينا من بركاتهم (قيل) ان عبد الله ابن معمر القيسى كان أميرا من أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا ومتجرا غزيرا فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر فى الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم الدر ... فاهجن منك بلابل الصدر
أم ذاد نومك ذكر غانية * أهدت اليك وساوس الفكر
فى ليلة نام الخلى بها * وخلفت بالاحزان والذكر
يا ليلة طالت على دنف * يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى * متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد اننى كلف * اهيم

أهبط وحوله الياقوت وفي أوديته الماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والقلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي الى بحر الظلمات (جبل أبي قبيس) سمي بذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس وقيل غير ذلك (جبل المقدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضيء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند) بهمدان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة في السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التي بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء في الصيف يصير جمدا وفي الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح في الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير في كل سنة مرة ويدخل في كوة هنالك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب في تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثاني في ذكر المباني العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بني على وجه الارض الصرح الذي بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فاخرب الله تعالى ذلك الصرح في ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التي لم يخلق مثلها في البلاد* حكى الشعبي في كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة في الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فما ذا لي عنده قال يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا ابني مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدني به قال فامر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا في الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هنالك أرضا واسعة طيبة الهواء فاعجبتهم تلك الارض فامروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا وارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك في يد أحد من الناس في جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى في وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلي وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها

بجمال شيء شبه البدر قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فنهضت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والنحيب وهو يقول أشجاك من رياخيال زائر* والليل مسود الذوائب عاكر واعتاد مهجتك الهوى فاباده * واهتاج مقلتك المنام البائر (١٢٥) ناديت ليلى والظلام كأنه * يم تلاطم فيه موج زاخر والبدر يسري في السماء كأنه ملك تبدى والنجوم عساكر واذا تعرضت الثريا خلتها كأسا بها حث السلافة دائر وترى يد الجوزاء ترقص في الدجا رقص الحبيب علاه سكر ظاهر يا ليل طلت على حبيب ماله الا الصباح موازر ومسامر فاجابني مت حتف أنفك واعلمن ان الهوى لهو الهوان الحاضر قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالابيات أزم الصوت فما انتهى الى آخرها الا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علا محاسنه الاصفرار والدموع تجري على خده كالامطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي فقال ألك حاجة يا فتى قلت اني كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك فبنفسي أقيك وبروحي أفديك وبمالي أواسيك ما الذي تجد قال ان كان ولا بد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر ابن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كأنهن القطا وفي وسطهن جارية بديعة الجمال في نشرها بارعة الكمال في عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من طلب وصالك ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا قفوت لها أثرا فانا حيران أنتقل من مكان الى مكان

الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور والمصنوعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر في مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا في البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أواني الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت في أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدني به بعد الموت وقد حصلت عليه في الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم في طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وانه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل في تلك البرية التي بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضيء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيئا * وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج في طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال في نفسه هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير في المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت في وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعدما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية في اليقظة رأيتها أم في المنام قال بل في اليقظة وقد جئت معي من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل في القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال ها هو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وان الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتي والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المباني العجيبة الخورنق) الذي بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه في عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشي أن يبني لغيره مثله فامر أن يلقى بانيه من أعلاه فالقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل ويقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

(ومن المباني العجيبة حائط العجوز) واسمها دلوكة القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فاخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا الكورة من الجانب الشرقي وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فاذهله وأخذه الفزع زالهم فضعف ولم يزل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى *(ومن المباني العجيبة الاهرام)* وهي بالجانب الغربي من مصر مشاهدة في زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا في

ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الارض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس وأنشد يقول أراك بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم ترونى بالقلوب على بعد فؤادى وطرفي يأسفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد قال فقلت يا أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا مبال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله أن يكشف عنك ما بك قال أرجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعاء أما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا

ما ان يزال غزال فيه يظلمني يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا

يخبر الناس أن الاجر همته وما أتى طالبا للاجر محتسبا

لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا مضمخا بفتيت المسك مختضبا

فجلسنا ثم حتى صلينا الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن يا عتبة وما ظنك بطالبة وصالك وكاشفة بالك قال وما بالها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا ابنة الغطريف السلمي فرفع الشاب رأسه اليهن وأنشد يقول خليلي ريا قد أجد بكورها * وسار الى أرض السماوة عيرها خليلي ما تقضي به أم مالك على فابعدو على أميرها خليلي اني قد خشيت من البكا * فهل عند غيري مقلة أستعيرها فقلت يا عتبة طب نفسا وقر عينا فقد وردت الجائزة

عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهي من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور * ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزاليق ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد في أعلاه بيت وفي وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الارمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذي بناها سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهي آفة تنزل من السماء وهي الطوفان فقالوا انه بناها في ستة أشهر وقال قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المباني العجيبة منارة الاسكندرية) التي بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندسة مغموسة في الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال الرجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة بمجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوّت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحترق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك * قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبية بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أوّلا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة وأحد عشر ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى * وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللعاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت

بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد به أهل السفر ووالله لابذلنه أمامك وبين يديك وفيك وعليك حتى أوصلك الى المنى وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجالس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على ناديهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ الكرام ما تقولون في عتبة وأبيه قالوا خيران من سادات العرب قلت فانه قد رمي بفؤاده الجوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازل بني سليم من السم ووقفنا أين منزل الغطريف فخرج بنفسه مبادرا فاستقبلنا استقبال الكرام وقال حييتم بالاكرام والرحب والانعام قلنا وأنت حييت ثم حييت أتيناك أضيافا قال نزلتم أفضل معقل ثم نادى يا معشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا الى الاكرام ففرشت في الحال الانطاع والنمارق والزرابي فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا يا سيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما أو تقضي حاجتنا وتردنا بمسرتنا قال وما حاجتكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب ابن المنذر الطيب العنصر العالي المفخر فأطرق وقال يا اخوتاه ان التي تخطبونها أمرها الى نفسها وها أنا أدخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت يا أبتاه اني أرى الغضب بينا عليك فما الخبر قال انها ورد الانصار يخطبونك مني قالت سادات كرام وأبطال عظام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال الفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا انه يفي بما وعد ويدرك اذا قصد وبأكل ما وجد ولا يأسف على ما فقد قال الغطريف أقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نما الي بعض حديثك

الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللعباة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شراريفه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فاخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى * ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته واللينة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه * خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه فى الفم يزيل البخر *(الفضة)* قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول *(النحاس)* قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراض الادواء *(الحديد)* كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا *(القصدير)* صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه أنه اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها *(الاسرب)* هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها *(الخارصينى)* حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح اذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط باجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين

(الياقوت)

*** فقلت ما كان ذلك ولكن اذ قسمت فان الانصار لا يردون مردا قبيحا فاحسن لهم الرد وادفع بالتى هى أحسن قال بار يا فاى شئ أقول قالت اغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبررت قسمك وبلغت مار بك ورعيت أضيافك قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا اخوتاه ان فتاة الحى قد أجابت ولكن أريد لها مهرا مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الاحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبرات لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشى المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الاذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قلت أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام فاقمنا هنالك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها فى هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطارف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من بنى سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منها عدة من رجالها وردها وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الارض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا يا عتباه فسمعت الجارية فالقت نفسها على ... وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أنى صبرت وانما * أعالى نفسى انها بك لاحقه

ولو أصلت نفسي لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه فما واحد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس مصادقه ثم شهقت شهقة واحدة فقضت فيها نحبها فاخترنا لهما مكانا وجدناه وزاريناهما فيه ورجعت الى ديار قومي وأقمت سبع سنين بعدها ثم

(الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجوني ويتولد منها ألوان كثيرة وأعداها الاحمر الخالص الرماني الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردي ثم الخمري ثم العصفري وأردؤه الازرق الذي لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض (خواصه) أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويبل الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوي القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوي الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفي مائيته سر اذا حركت عينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) اذا علق على العين أمن عليها من الجدري على ما قيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع في الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنظر الى خيالها في المرآة فتنفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادي فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتي الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر في غيبتها والله أعلم بصحة ذلك *ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل في أنبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل في شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) ان الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجاري وصابوني ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن خواصه) أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوي البصر ويصفي الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقي وخلنجي وأجوده الاسحاقي الازرق الصافي (خواصه) النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفي (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمني أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأي ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل في بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبي وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب بماء واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة ولكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور في ذلك الموضع قطع في الليل لانه في النهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه يتشجر ويشبه النبات ويتحجر ويشبه المعدن ولا يزال لينا في معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس في العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل

عدت الى الحجاز ووردت الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن الى قبر عتبة فازوره فاتيت الى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لارباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكي) ان شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال رأيتك في المنام تنشد

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بيني وبينه نسبة فاني سني وهو شيعي وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلمي وهو خزاعي وشامي وهو حجازي فلم يبق الا السن فاعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظرف ما يحكى) ان الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الى وأجلسني معه ففاتحته في القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته في شيء من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت قد وجب على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره قال فاتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية

انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطايس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر و يوجد بارض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن و ينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد و يوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل و بين من يحبه و يسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من حديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال وخاصيته أنه يدمل الجراحات و ينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بارض سذوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب و يزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها و يقويها واذا ألقى فى العجين طيبه و بيضه ونشطه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور وقال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس و ينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء
واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)*

وما ذكرت ذلك الالانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس و ربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد و زاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

(فصل فى الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضرب به على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور و يتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا تضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تتخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن

وقالت ماتريد قالت مولاك فقالت مولاى جالس وحده فى العزاء ما يعطى لاحد الطريق قلت قولى له صديقك فلان اطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر ثم قلت أهذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأنى بك وقد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت جالسا واذا رجل عابر يغنى وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردى على فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى و يقول

اذا ذهب الحمار بام عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت فى العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له فى البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيول و يحملون السلاح و يغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق يبعد رتقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على

هذا وهو بالكوفة فى بعض حجه فى سنة وقد عاد من الموسم ١٨٦ وبايع للامين والمامون والمؤتمن أولاده فدعانى وهو خال وقال انى ذعرت لك لامر أهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف تعمل ثم قص على خبر الاموى وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة

الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بان يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب ان الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الارض لذة تكتسب من ماكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطاياه ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يعبدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كانه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن فى البحر دواب ربما مرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاغتنى بها واضعة الالحان بان شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا ورجما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها باصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب البحار وما فيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد وما زالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعالج به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لا سيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر رب سماع حسن * سمعته من حسن * مقرب من فرح

مبعد من حزن * لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من حيران مستطار الفؤاد تغنى بغزل جرير

وبضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وأنفذ هذا الكتاب الى نائب الشام ليركب فى جيشه ويقبضوا عليه وجئنى به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله فى شقة اذا قيدته وتقعد أنت فى الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تاتينى به فى اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه الى أن تاتينى به واياك ان يشذ عنك شئ من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت دمشق فى أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد الى أن فتح الباب فدخلت على هيئتى حتى أتيت دار الرجل وعليها

صفف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلمانى عنا فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن

قل للعبان اذا تاخرسرجه * هل أنت من شرك المنية ناجي

الاشاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه وما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله وارتحت أطرافه * واختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت انشد على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

ولا باس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسامه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لنابغة الجعدى أسمعنى بعض ماعفا الله لك عنه من هنات فاسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم وقد أجاز واتحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الالمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور * ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال رجل للحسن البصرى ماتقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الاتشويه وجهه وتعويجه فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج دواتا وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم

أولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت باهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال واسترببت به واشتد قلقى وخوفى من أن يتوارى الى ان رأيت شيخا بزى الحمام يمشى فى الصحن وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيا وسالنى عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فاخبرته كما وجب وماقضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يامنارة فكل معنا فقلت مالى الى ذلك من حاجة فلم يعاودنى وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم أرمثلها الا للخليفة فقال تقدم يامنارة فساعدنا على الاكل لا يزيدنى على أن يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه فما عاودنى وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتاملت أكله فى نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جاشه رابضا وذلك الاضطراب الذى فى داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين يديه شيأ قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه أخذوا المنازلات الدار جلى وجميع غلمانى بالمنع من الدخول فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدى ليس بين يدى الا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد وان امتنع على من الشخوص لم أطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا أطيق حفظه الى أن يلحقنى أمير البلد فجزعت جزعا شديدا لما نزل ورابنى منه استخفافه بى فى الاكل ولا يسألنى عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر فى ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا ببخور فتبخر وقام

المثل يضرب جوهرة فى مزبلة * وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فاخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فاسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا مايأتى أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فامر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فاقبل الكيال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يافتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكن بررت وحفظت * وكان عروة بن أذينة ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها المغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فاقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك ان تدخل وتسمع فابى فلم يزل به حتى دخل فغنته فاعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسول بين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وماصرحا

قال فاغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة مابينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشا يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم أنما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم) عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فانزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه مايستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع مافى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره أنى قادم عليه فذهب وأخبره فاقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان ياأمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان ياأمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فامر عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يابن جعفر قال أريحية أجدها ياأمير المؤمنين لو لقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا

الى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل على وقال ما أقدمك يامنارة فقلت أمر لك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما انتهى قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك انه يريد ان يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان فى مكان واحد ولا يظهروا الى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يامرنى بالتوجه اليه ولست أقيم بعد نظرى فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائى من الحرم خيرا ومابى حاجة من أن يصحبنى غلام هات قيودك يامنارة فدعوت بها وكانت فى سفط وأحضر حدادا فمد ساقيه فقيدته وأمرت غلمانى بحمله فى المحمل وركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن فى الغوطة فقال لى ترى هذا قلت نعم قال انه لى وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لى فاشتد غيظى منه فقلت له اعلم أنى شديد التعجب منك قال ولم تتعجب قلت أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ماتدرى الى مايصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لاتعلم فيم جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندى شيخا فاضلا

وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له اذني ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب * وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدي قالا بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فأقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فضحك صاحب المنزل وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك * وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصي

(أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء)

(قيل) ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نومة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غني به في الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى * كدت من وجدي أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وقتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الكرم ربيع باكر * فاذا ما وات الرء انتعش

وكان هرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهم وكان له زامر يقال له

فقل لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك فظننتك رجلا كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الابعد أن عرفوك بذلك فانا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصيتي ولا علاك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمري وعلم سلامتي وصلاحي وبعد ناحيتي وان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا علي الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمي وتحلل من أذاي وازعاجي وردني مكرما وأقامني ببابه معظما وان كان سبق في علم الله عز وجل أنه يبدر الي منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة وأهل الارض وأهل السماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه فلم أعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه واني حسن الظن بالله عز وجل الذي خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وان الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجري مجراها حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على نراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهينا الى الباب

له يوصوماوكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان *وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحى ثم أنثنى * على كبدى من خشية ان تصدعا * فليست عشيات الحى برواجع
عليه ولكن خل عينيك تدمعا * بكت عينى اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فامر له بمائة ألف درهم *وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لانكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بابى أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول لك واعلم انك ماسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دع عنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح واقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور وقط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق *وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبى عيسى ابن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى استفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى يا بغيض من يحتشم اجلس فجلست فاتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع فى زجاجة كانها كوكب درى فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن فى ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه * وأشرق الورد من نسرين وجنته
واهتز أعلاه وارتجت حقائبه * كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه * أستودع الله من بالطرف ودعنى
يوم الفراق ودمع العين ساكبه * ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

فى آخر النهار فخلعت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا منارة واياك أن تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسى من امتناعه والغضب يظهر فى وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموى من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومى ودفعى الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ما خاطبنى به عند توبيخه اياى لما ركبنا المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمرى لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتنى به قال فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فاجاب الاموى جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالى الا حاجة واحدة قال مقضية ما هى قال يا أمير المؤمنين تردنى الى بلدى وأهلى وولدى قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو أن يحتاج الى شئ من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فامورى منتظمة وأحوالى مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بامر ان عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك

بدرمن الانس حفته كواكبه * قدلاح عارضه واخضر شاربه * ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه
أو ينطق القول يوما فهو كاذبه * عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه
ثم سكت وابتدأ المشدود يقول يادير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فانى لست بالصاحى
ثم سكت وغنى دبيس دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح

واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا انضوا أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كأنها دمعة فى جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق لاتحفلن بقول اللائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح

كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لالاؤها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

يالجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ماحيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لاوالذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ماأرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ماانقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فاذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ماتراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ماأصيب به أهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قال له عد فانشد فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد مايبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا الصوت حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا اعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به فنسخر به فدعانى فصرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هولى فاخطأت الجارية فقلت لها أخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع مايقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فاصلح وترك كذا وترك كذا ففعلت وغنت شيأ ماسمع مثله الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فامر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتاذن لى فى بر أستاذى فقال الوليد ذلك اليك فقالت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هولاء ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فارادت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم ماترجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نتذكرها به فبعنى اياه فعوضنى عنه

وشربه راجعا الى أهله كما جئت به حتى اذا أوصلته الى محله الذى أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم (وحكى) فى الكتاب المذكور قال حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود قال كان فى جوار القاضى قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أباعمر حماه من السلطان فسالته عن الحكاية فاطرق طويلا ثم حدثنى قال ورثت مالا جزيلا فاسرعت فى اتلافه واتلفته حتى أفضيت الى بيع أبواب دارى وسقوفها ولم يبق لى حيلة وبقيت مدة لاقوت لى الا من بيع والدتى لما تغزله وتطعمنى ونأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة فى منامى كان قائلا يقول لى غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى دار أبى عمر القاضى وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان أبى قد خدمه أياما وسالته أن يزودنى كتابا الى مصر لاتصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسألت التصرف فسد الله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل ونفدت نفقتى فبقيت متفكرا فى أن أسأل الناس فلم أستح المسئلة ولم يحملنى الجوع عليها وأنا ممتنع الى أن مضى من الليل صدر صالح فلقينى الطائف فقبض على ووجدنى غريبا فانكر حالى فسألنى فقلت رجل ضعيف فلم يصدقنى وبطحنى وضربنى مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتى من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال مارأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم كان رجلا يقول لى ببغداد فى الشارع الفلانى فى المحلة الفلانية قال فذكر شارعى ومحلتى وأصغيت فتم الشرطى الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان

وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت الى
مصر بسبب منام قال فقوى قلبي وأطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة

ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم * وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذ نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برياك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغنا التراقيا
اذا ما طوال الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقطعوا معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوه اليه فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ما حكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ماكنت أعلم ما في البين من حرق * حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومي غيره وأتى علي خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه اني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فسار لنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجالس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزادنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لما اعتنه ثم قال خففوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال

وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف دينار فأخذتها وأمسكت يدي ودبرت أمري وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعته منها من ضيع وعقار الى الآن (وحكى القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتابه أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة) قال حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمة قال حدثني بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائي نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق الطرق لا ندري أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفرا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وألح علينا فاستحييناه من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا وأقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا يخدمنا حتى حملوه بأسره في أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت والاباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجلس حسن مفروش بأنواع الفرش التي

(١٨ - ف - ني) لم نر مثلها واذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور و بستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه
وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فادخلنا الى الحمام في الدار في غاية السرور ودخل الينا غلمان أمردان وصبيان في نهاية الحسن

جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضاء عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بابي يوسف القاضي ثم بابراهيم ابن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجزله جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم المهدي فوالله ما أدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتداه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق * وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جدد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قرى اقريكه لفعلت ولكني أجعله قراك فاني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فاروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها لي فاذا هي كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون في ذكر القينات والاغاني)

(حكى) علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لاتفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال علي بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هي جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفي حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني

كأنني قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني

حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمني

فخدمونا بدلا من القيم وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم الينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطعام والالوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شئ واذا بغلامين أمردين في نهاية الحسن والزي قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فامرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس في بستان حسن واخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شئ طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجواري اللواتي كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله اخرجن وهتكن الستارة قال فخرج علينا جوار لم نر قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية وزامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلي فغنيننا واحتطن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أنا نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يا سادة ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وان يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج اليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت اليكم نصف النهار الغلمان فاخبروني بعفافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فاخرجت هؤلاء فرأيت من انقباضكم عنهم مازدتهن مالو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا قال فقلنا يا سيدي أجللناك عن تبذل ما في دارك وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء مماليكي وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان يدمن أن يأخذ

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته لقنته وأكببت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان * قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب يرقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب يرقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فتركه وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا ان العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم * وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ابنت ثلاث عشرة سنة قال فلاعب عليها أبو نواس فتمنعت وقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له يا سيدى الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أباها دام فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فمازلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى يا غلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

(ومن ذلك) ما حدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظاهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

(وقال) أبو سويد حدثنى أبو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار

كل واحد منكم بيد واحدة يتمتع بها ليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لا كون قد قضيت حق الضيافة فلما سمعنا به هذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فاجلسها الى جانبه وأقبل يقبلها ويقرصها وعانقها وتزوجت أنا بواحدة منهن وغيرى ممن رغب فى ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فادخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت فى نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبخروه وناعاه وغنوا والجوارى الى جنوبنا وتركوا معنا شمعة فى البيت وما نحتاج اليه من آلة المبيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا فى أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا ما رأيكم فى الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا فمنا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرنا بالند الفتيق وأعطينا ماء الورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرآة المجلات وأخبرنا غلماننا أن صورتهم فى ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجوارى الخدمة الروميات فوطؤهن فاقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا يقول هذا فى اليوم نراه ونحن فى الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فاكبر بذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألناه عن خدمة الجوارى لنا فاجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج أو أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر فى الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فاحضر الينا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى أحضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فاكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المردان فغمزونا

فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبازيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبازيد ما يطيب في يومنا هذا فقلت أصلح الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تتناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشربها من كفها وأمسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبازيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صرارتان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها ولها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبازيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني اشعب ما سمعت اعلم أبازيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم أبازيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر قاني وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما نبهها السحر

في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر

لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر

لو كنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق واطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

وغيرهم منا من كان يدخل في ذلك وزالت المراقبة فلما انتهينا حملنا الى الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا في مجالسنا بالامس وجاء أولئك الجواري ومعهن غيرهن ممن هو أحسن منهن وقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة الاسبوع فقلت لاصحابي ويحكم أرى الامر متصلا ومن المحال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عني وقد طابت لكم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم في هذا فقالوا ما ترى فقلت أرى أن نستأنس الرجل فننظر أي شيء هو فان كان ممن يقبل هدية أو براعملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافأة في وقت ثان وسألناه أن يحضر لنا من يكرمنا منهم لنا فنقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشرب قلنا له قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد أحدا أحسن مما أضفتنا ونريد الرحيل الى مصر لما أردناه من طلب التصرف وأنا فلان ابن فلان فعرفته نفسي والجماعة وقد حملتنا من أياديك ومننك ما لا يسعنا معه أن نجهلك ونحب أن تعرفنا بنفسك لنأتي بشكرك ونقضي حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان أحد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا في الشرح فقال جعلت فداءكم ان اقتصاصي خبرا أظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت أن تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان أبي تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان مما كثرا وانشأت له فكنت متخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشراب فأتلفت مالا عظيما من مال أبي الا أنه لم يؤثر في ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعاني فقال

يا بني اني قد خلفت لك النعمة وقد منها مائة ألف دينار بعد أن أتلفت على خمسين ألف دينار وأن الانهماك لا آخر له اذا لم يكن بأزائه داخل ولو أردت أن أتلف هذا المال عليك في حياتي أو الآن حتى لا تصل الى شيء منه لفعلت (١٤١) ولكن هو ذا أتركه عليك فاقض حتى بحاجة

يروع لمنه صوته واعـله * الى أمة يعزى معا والى عبد

قال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا فقال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وأن الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك

(وحكى) أن الرشيد قصد يوما فارسات اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة الحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه * فاشرب بهذا الكاس ياسيدي
واهنا به من كف ذي الجاريه * واجعل ان أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قليـلا * على الرغم مني فصبرا جميلا * وكنت الخليل وكان الرسول
فصرت الرسول وصار الخليلا * كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة * وأهدى داود بن روح المهلبي الى المهدي جارية فطلبت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لا هجرن حبيبا خان موعده * وكان منه صفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * درا بكى أسفا عليها البائع

وكان للمامون جوبرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فطابت عنده فحسدها الجواري وقال لاحسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجواري فماتت فجزع عليها المامون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدي * أبكى عليها آخر الابد
كانت هي الانس اذا استوحشت * نفسي من الاقرب والابعد
وروضة كان بها مرتعي * ومنهلا كان بها مورد
كانت يدي كان بها قوتي * فاختلس الدهر يدي من يدي

(والمتوكل في قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فاحسن ذي دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرف بن فارس الهاشمي الى مذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك اني لذلك ولا لذة لي قال وما ذاك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فامر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحركت عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

تقضيها الى لا أضر عليك فيها فقلت افعل فقال أنا أعلم أنك ستتلف المال في مدة يسيرة فعرفني اذا افتقرت ولم يبق معك شيء أتقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا فقلت لا قال فعرفني من أين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لي الا أن قلت أصير قوادا قال فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بصارف عنك هذه الصناعة فانها ما جرت على لسانك الا وقد دارت في فكرك ولا دارت في فكرك الا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدي ولكن أخبرني كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد تدربت بكثرة دعواتي القحبات والغنيات ومعاشرتي لشراب النبيذ فاجمعهم على الرسم فيقيمون في بيتي ويعملون ما يريدون وآخذ أثمانهم الدراهم وأعيش بها فقال اذا يبلغ السلطان خبرك في جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادى عليك ويفرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا الى فلان كيف ينادى عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن اذا أردت هذه الصناعة فانا أعلمك وان كنت لا أحسنها فلا تستغني فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشيء فقلت افعل قال اذا أنا

مت فاعمل على أنك قد أنفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل على ما كان في نفسك أن تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وهبه عند اخوانك واعمل أنك قد أنفقته واجعل

رحضت فؤادى نخليتنى * أهيم من الحب فى كل واد

فاندفعنا تغنيانه فقال فى نفسه والله أظنهما افهمتاعنى وما أظنهما الامكيتين وأهل مكة يسمونه المخارج فقال ياحبيبتى أين المخرج فقالت احداهما الصاحبتها اما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت اليها من بطن مكة بعدما * أقام المنادى بالعشى فاعتما

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه لم يفهماعنى وما أظنهما الاشاميتين وأهل الشام يسمونه المذاهب فقال ياحبيبتى أين المذهب فقالت احداهما الصاحبتها اما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم لم يفهماعنى وما أظن القحبتين الامدنيتين وأهل المدينة يسمونه بيت الخلاء فقال ياحبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احداهما الصاحبتها اما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلاعلى بقاع الارض اذظعنوا * من بطن مكة واسترعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انالله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الابصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال ياحبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما الصاحبتها اما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعزصبرى فيهم * مااحتيالى ومايكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ماأراهما الاكوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما ياحبيبتى أين الكنيف فقالت احداهما الصاحبتها بعيش سيدنا مارأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت مايقول قالت يسالنى أن تغنى له

تكنفنى الهوى طفلا * فشيبنى ولا اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى يتقطع ضحكا فقال لهما يازانيتان ان لم تعلمانى به أناأعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمى وقد غشى عليه من شدة الضحك وقال ويلك ماهذا تسلح على وطائى فقال الرجل حياة نفسى أعزعلى من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفنى الملاح واضجرونى * على مابى بنيات الزوانى

فلما قل عن ذاك اصطبارى * قذفت به على وجه الغوانى

قال فانبسط الهاشمى ودفع اليهما الاومضى لى سبيله (وقال) على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

قالت تاتى من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف ان تذهب ولكن خذهذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لايشترونها * ومن يشترى ذاعلة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها فى بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنياله وقال ويحك قد ذكرت جاريتى فلانة فاقلقنى الشوق اليها فعسى ان تغنينى شيا فى معنى ماذكرته لك فاطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح اننى * أعار جناحى طائر فاطير

فما النعيم ليس فيه بشاشة * وما السرور ليس فيه سرور

وان امرأ فى بلدة نصف قلبه * ونصف باخرى غيره الصبور

والحكايات فى معنى ذلك كثيرة ولوأردت بسطها الاحتجت الى مجلدات ولكن ماقل وجل خير من كثير عل

مغنيتك ماتريد أن تجعله اذا افتقرت فانك تستفيد بذلك أمورا منها أنك تبتدئ أمرك بهذا فلا ينكر عليك فى آخره ومنها أنك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية فلا يطمع فيك سلطان وان طمع فيك سلطان بذلت وأعطيت من نوالك فتخلصت فقلت كيف أفعل قال تجلس اذا أنامت ثلاثة أيام للعزاء الى أن ينقضى المصيبة فاذا انقضت نفذت وصيتى وتحملت بذلك عند الناس وقضيت حتى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدى فتشترى من الجوارى المغنيات والسرارى بكل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ماتحتاج اليه وتشتهيه ودارك كما تحب فى السرور وتنوف على سرور من تريد أن تعاشره ولاتداخل الاالامير والعاقل وادعهما مرة فى شهر أو شهرين وهادهما أيام الاعياد بالالطاف الحسنة والقهما فى كل أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ فى دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ فى كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يتفق معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لايظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجون والشهوة على طريق التخالع أو مسامحة الاخوان والاكفاء لذة له فى ذلك وليس هو مجنونا ولامخنثا ولافقيرا ولامحتاجا الى هذا فبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك ولعل العشرة بينكما قد وقعت فيستدعى مغنياتك ويسمعهن فى منزله فيصير لك عنادمته رسم وجاهك باق بحاله فانك وفيما لهم فهم يحتاجون اليك ويحافظ عليك الامير فتصير فى مراتب ندمائه وفى جملته وتصير قيادتك نفعا اليك بغير ضرر وتخرج عن حد القوام

وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمدني منه بالالطاف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها في الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر

وفي الجليس الانيس لابي العالية الشامي قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفي في القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح حيلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكري فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس سيء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء في فلاحه قال وما الذي حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهذي الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبي الجارية فقال له اني مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فاعلمه أن ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنبته وتهجره فان استعلمها أعلمته انها لا تصلح الا لملك ثم لتعلمني خبرها وخبره ولا تطلعها على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بادبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت

المحض الذين يؤذون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت في الحال أن الصواب ما قاله ومات في علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته وفرقتها كما أمرني ثم بيضت الدور وهي هذه وزدت فيهما ما اشتهيت واستزدت في الآلات والفرش والابنية كما أردت وابتعت هذه الجواري والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمري على ما قاله لي من غير مخالفة لشيء منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقني منه ضرر ولا خسران ولا فاتني أكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهناه وأمر معاشي عليهم ودخلي بهم أكثر من خرجي ونعمتي الموروثة باقية باسرها ما بعت منها شيأ بحبة قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته الى ما خلف علي وأمري يمشي كما ترون فقلنا له قد فرجت والله عنا وأريتنا طريقا الى قضاء حقك وأخذنا نمازحه ونقول فضلك في هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا الامر الا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه *(وحكى أحمد بن يحيى ابن فضل العمري)* في كتابه المسمى مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسوي قال ذكر العم حسن الاربلي في تاريخه قال جلست مع صفي الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة بغداد فاخبرني أن هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على أمراء دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين

المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه أنه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الى ويسالنى ان أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بابيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت انت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق باخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته بصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به *(وكان)* عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فاقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية * وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * واننى قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب وانى ليرضينى الممر ببابها * واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارونى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول لو حز بالسيف رأسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها رأسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم * وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الى فقال أنا الزاد فمضيت به اليها فما زادا على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاءكما يقتصر على هذا فقالت أمسك يا هذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب ان أكن طامح اللحاظ فانى * والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما فى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس

أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذى كنت أسكنه فى حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانونوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان أول درب جاء اليه الامير الدرب الذى أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوى اليسار واجتمع عندى نحو خمسين جارية من أرباب المغانى وذوات الحسن والجمال فوقف نانونوين على باب الدرب وهو متترس بالاخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا الناراد خلوا فى الطاعة ولكم الامان والا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفى الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدى على أثواب وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا الينا كذا وكذا وطلب شيأ كثيرا فقبلت الارض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وصار كل ما فى هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لاجمع لك كل ما طلبت فشاور أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلا من خواصه فاتيت به دارى وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له فى الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاوانى المذهبة من الزجاج الحلبى وأوانى فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشر مغنيات كل واحدة تغنى بملهاة غير ملهاة الاخرى

فبينما

فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوله فانزل في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيتيه في عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له * ما لي بما تحت ذيلها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين في الجزء الاول فيما جاء في الكناية على سبيل الرمز * وعن أبي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اي والله فمن هو قال اني لارجو ان أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال اني لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسي بريبة قط * وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغي الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فارادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا أبي ونستبينه

فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر) وأحور مخضوب البنان محجب * دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها

بخلت بنفسي عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان في الحديث أوانس

ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

(وقال آخر) حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعي يستحسن بيتي العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدي في هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر وكانت تخدمه جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها في الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهي قائمة على رأسه

يا غزالا لي اليه * شافع من مقلتيه * أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي اليه فاعلميه أني قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فاكبت عليه فقال لها كفي فلست بخائن فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم

فغنين كاهن فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها في المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه في غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أواني الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيأ كثيرا سوى العليق ووهبت له الغواني التي كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الامير على غفلة لكن غدا ان شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت أهل الدرب من ذوي النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندي وكذا بعد غد وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح فلما طلعت الشمس الا وقد وافاني فرأى ما أذهله وجاء في هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له ولنسائه من الذخائر والذهب النقد ما قيمته عشرون ألف دينار وقدمت له في اليوم الثالث لآلئ نفيسة وجواهر ثمينة وبغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بأرواحهم فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس فما بقي عندهم سوى أرواحهم فقال قد عرفت ذلك من أول يوم ووهبتهم

 أرواحهم وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سلبهم لكن أنت تجهز معي الى حضرة الامير فقد ذكرتك وقدمت له شيأ من المستظرفات التي قدمتها الي فأعجبته ورسم بحضورك فخفت على نفسي وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجني الى خارج بغداد ويقتلني وينهب

الدرب فظهر على الخوف وقلت باخوند هلاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مغن أخشى منه ومن هيبته فقال لا تخف ما يصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت في ضمانك انه ما (١٤٦) يصيبني مكروه وقال نعم فقلت لأهل الدرب ما عندكم من النفائس فأتوني بكل ما تقدرون عليه فأخذت معي من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت مآكل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأواني فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت معي ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندي وأنفسهن لأضرب ولبست بدلة من القماش الخليفي وركبت بغلة جليلة كنت أركبها اذا رحت الى الخليفة فلما رآني نانونوين بهذه الحالة قال لي أنت وزير قلت لا أنا مغني الخليفة ونديمه لكن لما خفت منك لبست القماش نوميخ وأما صرت من رعيتك أظهرت نعمتي وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغي أن أدخل عليه الا بالحشمة والوقار فأعجبه مني هذا وخرجت معه الى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلني معه وقال اهلاكو هذا الرجل الذي ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين هلاكو على قبلت الارض وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار فقال نانونوين هذا كان مغني الخليفة وقد فعل معي كذا وكذا وقد أتاك بهدية فقال قدمها فقبلت الارض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له وللحواصه الهدايا التي كانت معي فكان قدمت شيأ منها يفرقه ثم فعل بالماكول كذلك ثم قال لي أنت مغني الخليفة فقلت نعم فقال أي شئ بطلها أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغني غناء اذا سمعه الانسان ينام فقال غن لي الساعة حتى أنام فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب

فلا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

(وقال آخر)

يقولون لا تنظر وتلك بلية * بلى كل ذي عينين لا بد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا اتق الله أفي مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ما ذاك لخني ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وان أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم تراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الي أخ محب * كبعض زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال * وروي عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحباك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت اني لاحسبه اياه فاقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فانشدها فقلت في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيري لاشد عليه فقال على رسلك اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة * وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي أمتعني بحبها وأشقاني

بلا ابها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى اثمها وأعصى الشيطان فى اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره انى اذن لئيم لم يلدنى كريم * ومر سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبى خليل الاعبه * فوالله لولا الله تخشى عواقبه
لحرك من هذا السرير جوانبه * مخافة ربى والحياء يعفنى * واكرام بعلى أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضى الله تعالى عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج * الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج * تنميه أعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج * لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف الراجى * ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى * وما نلت من عرضى عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى بالمكتين مقام * لئن غنت الذلفاء يوما بمنية
وبعض أمانى النساء غرام * ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالى حرمة فألام
فيمنعنى مما تقول تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام * ويمنعها مما تقول صلاتها
وحال لها فى قومها وصيام * فهاتان حالانا فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن ورويت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاى وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة

وربما قتلنى ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند الطرب بأوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا بأس بأن يشرب الامير قدحين أو ثلاثة حتى يقع الطرب فى موقعه فقال أنا ما لى فى الخمر رغبة لانه يشغلنى عن مصالح ملكى ولقد أعجبنى من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما اخمر وجهه أخذت عودا وغنيته وكان من مغنية اسمها صبيا لم يكن فى بغداد أحسن منها صورة ولا أطيب منها صوتا فأصلحت أنغام العود وضربت ضربا جالبة للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت تمن على فقلت أتمنى على الملك أن يطلق لى على السميكة قال وأى شئ هى السميكة قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لاصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة أو مدينة أى شئ هذا البستان فقبلت الارض وقلت يا ملك العالم هذا البستان يكفينى وأنا ما يجىء منى صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لى بالبستان وبجميع ما كان لى من الراتب فى أيام الخليفة وزادنى علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوى دينارين وكتب بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذ لى نانونين أميرا بخمسين فارسا ومعهم علم أسود وكان علم هلاكو الخاص به برسم حماية دارى فجاس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقى الامر كذلك الى أن رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلى فقلت له كم نالك من المغارم فى الثانية قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها ممن كان انزوى الى دربى من ذوى اليسار والباقى من نعم موفرة كانت

فى احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فاذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسالهم عن حوائجهم فاما الاثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فساله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألنى فانك لا تسالنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تامر جاريتك فلانة التى أكرمتنا بسببها أن تغنى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فاعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فامر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تامرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
ادعو الى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

تحملت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجانى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تامرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر * والله لا أسلوكم أبدا * مالاح بدر أو بدا فجر

فامرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ماحاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت * وحكى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى باعجب مامر لك فى هذه الاغانى ومارأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى ببيع ولا هبة فامسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وأنه يجىء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها فى تلك الليلة وجعلت أتامل موضعها وموضعه فاذا بها تسكته ويكلمها ولم أر بينهما الا عتابا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فاصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا باس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد نحول عظيم وتعاليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام * وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندى رأى أثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات * وذكر محمد بن واسع الهيتى أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفى

غندى من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذ منى أولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من أبينا والعلوفة قطعها عنى الصاحب شمس الدين الجوينى وعوضنى عنها وعن البستان فى السنة مائة ألف درهم (وقال) كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه الى قصده ثم تجنبه لما شهر به فحمل نفسه على ان جعل بينه وبين الرجل حالا بان دعاه وبره ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاء من يدعونه من جواريه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير اليه وأقشعر لشناعة لقبه الى ان لقينى بالقرب من منزله فحلف على ان لا أفارقه فكان ذلك صادف منى موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلمانى اذا كان فى غد بكروا فجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت بلى يقيم بعضهم عندى ويعود الباقون ليلا للانصراف الى منزلى فابى وحلف فاتبعت ما أراد فاحضر أحسن طعام وألطفه وأكلنا وأتى بانواع الاشربة والفواكه والرياحين وأخذنا فى أمرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولى الى الدار قد رأيت على بعض الابواب طبلا معلقا فظننته لبعض الجوارى فلم أسأل عنه فلما مر نا على حالنا وأخذ النبيذ منا أحضر عودا فجعله بين يديه فاوحشنى جدا وقلت رجل غيور كالقب وجوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن اعبث بهن فيضربنى بالعمود قال أخبرك يا أخى انى رجل غيور كما قد بلغك ويحضر منزلى قوم معهم سوء أدب فما هو الا أن تغنى الجارية

الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون لهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه أني أشتري له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا في بعض مسيرهم نزلوا واستراحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي بأسهام الاسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

(فأجابته تقول) لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل ماسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه أخذ الكتاب ففضه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقي يديا * مقرا بالقبيح وسوء فعلي
ولست بما رميت به بريا * فان تقتل ففوق القتل ذنبي * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق

حتى أرى الواحد منهم قد لاحظها وضحك في وجهها وضحكت في وجهه فأقول أقوم بهذا العمود فانما هي ضربة له وضربة لها فأقتلهما واستريح الآني على ما ترى رجل معي تأن شديد فأقول شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحك اليها قال فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسي وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الامر يزيد حتى أراه قد نافسا رها وسارته فنقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فأوضع السر ثم أهم بالعمود والثاني الذي في يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فأمسك فلا يطول الامر بينهما حتى أراه قد أدخل يده في ثوبها فقرصها وعبث بثديها فتداخلني الغيرة وأقول ما بعد هذا شيء وأهم بضربهما بالعمود ولكن على ما ترى عندي تأن فأقول بعد لم يبلغ الامر بهما الى القتل وهي أوائل وسيكون لها أواخر فاني بما يوجب القتل قتلتهما فاسترحت فأمسك فيطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل في أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فاسعى خلفهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فيسبقاني فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فأقول متى علمت حركتهما مت أو قتلت نفسي فلا يكون والله ما أخي لي اعتصام الا بذلك الطبل المعلق فأتناوله وأضعه في عنقي فلا أزال أضرب أبدا حتى يخرجا قال فانصرفت والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا (قال صلاح الدين الصفدي في الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة من خطه نقلت) حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان أخت أبي ثعلب سنة ست وثمانين وثلاثمائة فسقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزذ والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب وعلى الجمال

ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضى الله تعالى عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فاخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والباس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا لكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدمهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلما منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الهك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فاخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فاخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فاربكنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام والجارية فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطيء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا لخير كثير ثم قال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحك الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بي نوم فما زلت لا أرى أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا

وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستضج عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين وحج عبد الله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله أن يعتقني من النار (وكان) حكيم بن حزام رضى الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه (عمر بن ذر الهمداني) لما قضى مناسكه أسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت ما زلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا ونخفض أرضا ونرفع أخرى حتى أتيناك غير محجوبين فليت شعري بم يكون منصرفنا أبذنب مغفور فاعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فاعظم بها من مصيبة فيا من اليه خرجنا واليه قصدنا وبحرمه أنخنا ارحم املاق الوفد لفنائك فقد أتيناك بعيسنا معراة جلودها ذابلة أسنمتها نقبة أخفافها وان أعظم الرزية أن نرجع وقد اكتنفنا الخيبة اللهم وان للزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا يبخلك سائل (ونقلت) من خط الشيخ صلاح الدين الصفدي من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ما صورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلي رحمه الله تعالى ما صورته قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم

الجيس رابع جمادى الآخرة في سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطي فرجها ذنب طوله شبر (١٥١) ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولهن دون الشبر وعرض أصبعين وفي فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه كطعم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا) كتب الى زين الدين الرحبي انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها ويا عجبان حولها واللبن يخرج من أبزازها من الجانب الأعلى وأما الجانب الاسفل فانه يبس وكان الناس يمرون بها ويتعجبون فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير (وذكر الشيخ في حوادث سنة ٧٣٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفزاري قال في السابع من ذي الحجة سنة (٧٢١) أخبرني شخص أن كلبة ولدت بالقاهرة

وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت أني أنتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الي فأكلت وأكل معي الا أنه أكل من لا يريد الاكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا أنه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطاب وطائي فصليت وأعلمته أني أريد الهجوع لما بي من التعب بالامس فقال لي نم هنيئا فأظهرت النوم ولم أنم فقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوي فحركني فأوهمته أني كنت نائما فقال يا أخي هل رأيت الجارية التي كانت تتعهدني وجاءتني البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمي وأعز الناس علي واني لها محب ولها عاشق وهي أيضا محبة لي أكثر من محبتي لها وقد منعني أبوها من تزويجها الى لفقري وفاقتي وتكبر علي فصرت راعيا بسببها فكانت تزورني في كل ليلة وقد حان وقتها الذي تأتي فيه واشتغل قلبي عليها وتحدثني نفسي أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

ما بال مية لا تأتي كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل
نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عني ساعة وأتى بشيء فطرحه بين يدي فاذا هي الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جربت حقا لك الشرا
وخلفتني فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخي الا ما قبلت ما أقول لك فاني أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتي هذه فكفني فيها وضم هذا الجسد الذي بقي منها معي وادفنا في قبر واحد وخذ شويهاتي هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز وهي والدتي فأعطها عصاي هذه وثيابي وشويهاتي وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا مني السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصاني به فغسلته وكفنته في عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقي جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهي كالولهانة فقالت لي هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فأخذت تصيح وتبكي وأنا ألاطفها الى أن أقبل الليل وما زالت تبكي بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هي مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هي ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال فأخذت الغنم ومضيت الى الحي ابني عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلي وأنا متعجب مما رأيت في طريقي (ومن ذلك) ما حكي أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جملها خفية ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر كثير ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حييتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحي ويحك من حياك يا جمل

لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أصيلة * تركت فؤادي هائما مخبولا * لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا

حتى أودع قلبي المتبولا * ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا * جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لأعرفن بذلك هشاما ثم تواعدا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لننظر عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيأ أفزعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدي لا در دره * وأزجره للطير لا عز ناصره * رأيت غرابا قد علا فوق بانة

ينتف أعلى ريشه ويطايره * فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد * (وحكى الاصمعي) * قال بينما أنا أسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته يداري هواه ثم يكتم سره * ويخشع في كل الامور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى * وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شيء سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعي رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحي فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم في الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمي هويته فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فأنشد بيتي شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لاندبنه حتى أصير مثله في قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لي ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما لامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات في ذلك كثيرة وفي الكتب مشهورة

ثلاثين حروا وأتم ما حضرت بين يدي السلطان فلما رآها أعجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا أنهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدي خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدي فأنشده أضحت يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صورة الجود

من حسن وجهك تضحي الارض مشرقة * ومن بنانك يجري الماء في العود

فقال المهدي كذبت يا فاسق وهل تركت في شعرك موضعا لاحد مع قولك في معن بن زائدة * ألما بمعن ثم قولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا * فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا * ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا * ولكن حويت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا * وما كان الا الجود صورة وجهه * فعاش ربيعا ثم ولى فودعا * فلما مضى معن مضى الجود والندى * وأصبح عرنين المكارم أجدعا * فاطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضي عنه وأمر له بألفي دينار (قال سعيد ابن مسلم) لما ولى المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صار ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الامير وفد من أهل العراق قال من أي أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن في هيئة زرية ووثب على أريكته وأنشد يقول اذا نوبة نابت صديقك فاغتنم * ترمها فالدهر بالناس قلب * فأحسن ثوبيك الذي هو لابس * وأفره مهريك الذي هو راكب * وبادر بمعروف اذا كنت قادرا * زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب قال فوثب اليه رجل من

مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجعنا فى هـذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هـذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لاتشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ماجئته متهللا * كانك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسب مابوب أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبع الذى وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف ونخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب *ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ماتيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر (ابن نباتة)

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل * وبيض رقاق من جفون فواتر
وسمر دقاق أم قدود قواتل * وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل
بروحى أفدى شادنا قد ألفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل * أمير جمال والملاح جنوده
يجور علينا قده وهو عادل * له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل * شكوت فما ألوى وقلت فما صغى
وجد بقلبى حبه وهو هازل * طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل * ويرفع وصلى وهو مفعول بالهوى
وينصب هجرى عامدا وهو فاعل * تفقهت فى عشقى له مثل ماغدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل

فياما لكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما أنت فاعل
فانى حنيفى الهوى متحنبل * بعشقك لاأصغى وان قال قائل

(كمال الدين بن النبيه)

الله أكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب * صبح الجبين بليل الشعر منعقد
والخد يجمع بين الماء واللهب * تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدى عن حبب
لافى العذيب ولافى بارق غزلى * بل فى جنى فمه أو ريقه الشنب * كانه حين يرمى عن حنيته
بدر رمى عن هلال الافق بالشهب * ياحاجب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فى ويلثمها سهم من الخشب * من لى باغيد قاسى القلب مبتسم
لاعن رضا معرض عنى بلاغضب * فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب * أشار نحوى وجنح الليل معتكر

القوم فقال أصلح الله الامير ألا انشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات فانشد يقول ولاناس نارات تحل بهم العرى * وتسخو عن المال النفوس الشحائح اذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه * أقل اذا ضمت عليك الصفائح لأية حال عنع المرء ماله * غدا فغدا والموت غاد ورائح فقال معن أحسنت والله وان كان الشعر لغيرك ياغلام أعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم الى أن يتهيأ لنا فيهم مانريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لاتكون همتك أرفع من همتى (مدح) مطيع بن اياس معن بن زائدة فقال له معن ان شئت مدحتك وان شئت أثبتك فاستحى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب مغنم وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومامثل الدراهم من دواء

فامر له بالف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فاتاه ابن أبى جفنة فاذا المجلس غاص باهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أحجم الاعداء عنك تقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما * أبا الله الا أن يضر وينفعا

فقال معن احتكم ياأبى السمط فقال عشرة آلاف فقال معن ونزيدك ألفا (أتى) اعرابى الى معن بن زائدة ومعه نطع فيه صبى حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبى بين يديه وقال

سميت معنا بمعن ثم قلت له * هذا سمى فتى فى الناس محمود
أنت الجواد ومنك الجود نعرفه * ومثل جودك فينا غير معهود
أمست يمينك من جود مصورة * لابل يمينك منها صورة الجود

فال كم الابيات قال ثلاثة قال أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك فقال

حسبك ما سمعت وحسبي ما أخذت (أخبرنا) الشيخ الجليل العدل الاصيل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن غانم بن وافد المهدى قال أخبرنا المشايخ الثلاثة الامام فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد البخارى وأبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب الشيبانى وأم حبيبة زينب بنت مكى بن على بن كامل الحرانى قالوا أخبرنا أبو حفص عمر بن عمر بن محمد بن أبى نصر الجيدى قال أنشدنى أبو غالب محمد بن سهل النحوى الواسطى المعروف بابن شيران بواسط قال أنشدنى الامير أبو الهيجاء محمد بن شاهين قال أنشدنى على بن زريق الكاتب البغدادى لنفسه هذه القصيدة الى آخرها وقد أنشدنيها جماعة بالمغرب وقال لى أبو محمد على ابن أحمد بن سعيد وغيره يقال من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف وهى

لا تعذليه فان العذل يوجعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدا أضربه * من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا * من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله * فضاعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد ان له * من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالرغم أيتبعه
كأنما هو فى حل ومرتحل * موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه بالرحيل غنى * ولو الى السد أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع الا أن تجشمه * للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان واصلة * رزقا ولادعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم * لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملؤا حرصا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى المرء والارزاق

يعصم بشعاع الكاس مختضب * بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * فى حجرة الدن أو فى قشرة العنب

(البهاز هير)

يعاهدنى لا خانني ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلنى يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بى ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاى انى فى هواك معذب * وحتام أبقى فى الغرام وأمكث
فخذ مرة روحى ترحنى ولا أرى * أموت مرارا فى النهار وأبعث
فانى لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظن الناس فينا فأكثروا * أحاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من أراد ويبحث

(النابلسى)

ما كنت أعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذلك أسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لى للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بله ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
نعمى عيونى أن ترى لك سيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

(أبو الحسن الجزار)

فى خده من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش لذاك الصدغ تشويش
ظبى من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
اذا تثنى فقامات الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت أطروش
كم ليلة بات يسقينى المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش رتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
فى مجلس ضحكت أرجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)

ترى منى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لى خصره المضنى فناسبنى * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفى الردف عنى من تثاقله * فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانها فيه قلبى أمره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور وفقم * قبل الفوات فاوقات الهنى غلط

(القاضى مجد الدين بن مكانس)

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا فى سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وترددت فضلاته فى خده
أسكنته قلبى فأعدت خده * نيران أحشائى عليه ووجده
من لى به حلو الشمائل أهيف * روت العوالى عن مثقف قده
ياعاذلى فى حبه لو أبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم فى حبه * وعلمت أن ضلاله فى رشده
فوحق مونى فى هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهى وورده
ماجادغيث الدمع الامن هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يارسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

(عز الدين الموصلى)

نطس عن الحب ما أعفت وما غفلت * باى ذنب وقاك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت * ما قدمت من أسى قلبى وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى أنها كحلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسول يتعاس فى لواحظه * أما تراها الى كل القلوب حلت
من لى بالحاظ ظبى يدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت

وحمرة فوق خـديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت * أما كفانى تـكحيل الجفون أسى
حتى المراشف منه باللمى كحلت * أستودع الله أعطافا توت كبدى * وكلما رمت تجـديد الوصال قلت
ومهـجة لى كم ألقت بسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت

(غيره للفاضل) شرخ الشـباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كلف بكم قضيته
وأنا الذى لومر بى من نحوكم * داع وكنت بحفـرتى لبيتـه * كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بايام الشباب شريته * لله داء فى الفـؤاد أجنـه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته * أأروم من كلفى عليه تخلصا
لا والذى بطحاء مكة بيتـه * ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

(للشيخ بدر الدين الدماميني)

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلا مرحت قتيلا * صح عن جفنه حديث فتور
وهو مازال من قديم عليلا * مر أبدى لنا من الخصر دقا * فارانا مع الخفيف ثقيـلا
ذو قوام كانه الغصن لـكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا * كامل الحسن وافر طل وجدى
فيه يا عاذلى مديدا طويلا * فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشـقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفـه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

(وقال آخر) لو ان قلبك لى يرق و يرحم * مابت من ألم الجـوى أتألم
ومن العجائب أننى لا سهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم * ياجامع الضدين فى وجناته
ماء يرق عليـه نار تضرم * عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عندما تتـكلم
ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهـر سمح والحوادث نوم

(وقال آخر) تصدق بوعدان دمعى سائل * وزود فؤادى نظرة فهو راحل
فـدلك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل * أيا قمرا من شمس طلعة وجهه
وظل عذاريه الدجا والاصائل * تنقلت من طرف اقاب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فالفت جيده * خجـلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فـكانى استقطرت ورد خدوده * بتصاعـد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر) وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببـدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فه * قد تعديت وأسرفت فه

(وقال آخر) بابى غـلام است غير غلامه * مذ جادلى بسـلامه وكلامـه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصـدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكرا لحمى فصـبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى * تجرى مدامعـه ويخفق قلبه
مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى * واذا تالق بارق مـن بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
خذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وماغوى * وبمهجتى رشأ أطالت عذلى
فيه الملام وقـد حوى ماقد حوى * قالوا أفيه سـوى رشاقة قـده * وفتور عينيه وهل موتى سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى

قـد قسمت * بغى ألا ان بغى المرء يصرعه والدهر يعطى الفتى ماليس يطلبه * حقا و يطمعه من حيث يمنعه أستودع الله فى بغـداد لى قمرا *
بالكرخ من فلك الازرار مطلعه ودعته وبودى لو يودعنى * طيب الحياة وأنى لا أودعه (١٠٠) كم قد تشفع بى أن لا أفارقه وللضرورات
حال لا تشفعه وكم تشبث
بى يوم الرحيل ضحى
وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العـذر
منخرق عنى برقته لـكن
أرقعه * انى أوسع عذرى
فى جنايته بالبين عنه وقلبى
لا يوسعه * أعطيت ملـكا
فلم أحسن سياسته كذاك
من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شـكر عليـه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلى بعد
فرقته * كأسا تجرع منها
ما أجرعه كم قائل لى ذنب
البين قلت له * الذنب والله
ذنبى لست أدفعه الا أقمت
مكان الرشد أجمعه * لو اننى
يوم بان الرشد أتبعه أن
لا أقطع أيامى وأنفـذها
بحسرة منه فى قلبى تقطعه
بمن اذا هجـع النوام بت به
بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن بجنبى مضجـع وكذا
لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر
يفجعـنى * به ولا أظن بى
الايام تفجعه حتى جرى
البين فيما بيننا بيد عسراء
تمنعنى حظى وتمنعه وكنت
من ريب دهرى جازعا فرقا
فلم أوق الذى قد كنت أجزعه
بالله يا مـنزل الانس الذى
درست
آثاره وعفت مذ بنت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا
أم الليالى الـتى أمضيت
ترجعـه فى ذمة الله من أصبحت منزله * وجاد غيث على مغناك يمرعه من عنده لى عهد لا يضيع كما * عندى له عهد ود لا أضيعه ومن يصدع
قلبى ذكره واذا * جرى على قلبه ذكرى يصدعه لاصبرن لدهر لا يمتعنى * به ولا بى فى حال يمتعه علما بان اصطبارى معقب فرجا * فاضيق الامر

ان فكرت أو سعه عني الليالي التي أضنت بفرقتنا * جسمي فجمعني يوماً وتجمعه وان تنل أحداً منا منيته * فما الذي بقضاء الله نصنعه
* يحكى أنه وقع في ليلة الجمعة خامس عشر (١٥٦) المحرم سنة (٨٣١) أن حضرت صلاة العشاء بالجامع النوري بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم أتمها الى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم قرأ سورة النحل و بني اسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين *حكى الدينوري في المجالسة في ترجمة أبي عبد الله سعيد ابن يزيد البناجي قال سمعت أبي يقول قال خالي أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد ابن يوسف يقول كان أبو عبد الله البناجي مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو في بعض أسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة له في الطريق رجل عائن قلما ينظر الى شيء الا أتلفه وأسقطه وكانت ناقة أبي عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتي سبيل فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فأتى أبو عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهي كما تراها تضطرب قال دلوني على العائن فدل عليه فقال بسم

يروى الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

(وقال آخر) عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشا تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

(وقال غيره) يا حسنا ما لاح لم تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه
رقمت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتني * منه وقد ألسعني عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسني * وبالذات اللفظ ما أعذبه
قلت له كل ما عندي سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
تفوق السهم ولم يخطني * ومذ رآني ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبني * وحبه اياي قد أتعبه
يرحمه الله على أنني * قتلته لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر) مليح بغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فافيه معنى ناقص غير خصره * ومافيه شيء بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)
دنا هاجري نحوي بعقلته الكحلا * فلما رأى ذلي ثنى عطفه دلا
فتيمني شوقا وأعلني أسى * وأفقدني صبرا وأعدمني عقلا
شكوت فما ألوى ولي ودلوى * وأعرض مزورا وأسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمي لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضا) بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب و بين شطي بارق
وسألت منه زورة تشفي الجوى * فأجابني عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا في خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكي لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لممه ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بان أراك مفارقي

(وقال ابن نباتة) بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالحاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لاني * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتي * وأشكر من صنائعه الجمالا

(القاضي فخر الدين بن مكانس) يا غصنا في الرياض مالا * جلاني في هواك مالا
يا رائحا بعد أن سباني * حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا) أجارك الله قد رثت لي * مما ألاقي عدا وحسد
وعاذلي مذ رأى ضلوعي * تعد مما بكى وعدد

ابن رفاعه يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا الناغوص واعلى قده وما * بحا كي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطي)
وو ردي خد نرجسي لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا * ووارات صدغيه حكين عقاربا

الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه في كليته رشيق وفي ماله يليق فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها (وله في من

من المسك فوق الجلنار قد التووا * وو جنته الحمرا تلوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشائى على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطى أيضا)

شبه السيف والسنان لعينى * من القتلى بين الانام استحلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وقال أيضا)
بابى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

(وقال آخر)
علك ترى شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(ومما قيل فى الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البدرى)

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب * وذكرها أنس روحى وهى نائية
والقلب ما زال عنها غير منقلب * لم أصغ فيها للاح راح يعذلنى * ولا لواش خلى بات يلعب بى
عذابها فى الهوى عذب ألذ به * ومر هجرانها أحلى من الضرب * فان نات أو دنت وجدى كما علمت
تشبب فيه الليالى وهو لم يشب * دعها فامر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)

سقى طللا حلته سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد * فربع به سلمى مصيف ومربع
وأرض نات عنها قفار جلامد * وحيث ثوت أرض فاعذب مورد * ولو صدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد * وقد غفل الواشون عنى ولم أزل
ويقظان طرف البين عنى راقد * وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد * وكم قد مرحنا فى مروج صبابة
ولم يطرد فينا من البين طارد * نجر ذيول اللهو فى قمص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند * فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى
كما كنت لى أم حاد بالقلب حائد * وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد * وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى
وقولك لا عاش الخؤن المعاهد * وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقينى بالوفا منك شاهد * وانى ما بدلت عهدك فى الهوى
ولا اختلفت فيما علمت العوائد * ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد * وان قلت ان الحب غيره النوى
لعمرى وجدى بالحشاشة واقد * وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كونى اننى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد * ومنك تساوى عندى الوصل والجفا
وفيك لقد هانت على الشدائد * ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقاد زمامى نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد
وجل مناى القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

أسماء لولائم) ولبناء اعراس وخرس ولادة * عقيقة مولود نقيعة قادم وضيمة حزن والبناء وكيرة * عذيرة ختن مادبات المكارم (وله أيضا فى أسماء أيام العجوز على الترتيب) بصن وصنبر وو بر معال * بمطفى جر آمر نعم مؤتمر توات عجوز ثم أعقب بعدها * شباب ربيع ظهره يانع نضر (ولغيره فى أسماء خيل الحلبة) * سبق المجلى والمصلى والمسلى بعد تاليه ترى المرتاحا وبعاطف وبفسكل وحديه حلب اللطيم على الكميت صباحا (لابى العلاء المعرى) سالن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الامير لهن فالا اذا ما الغيم لم يمطر بلادا فان له على يدك اتكالا ولو أن الرياح تهب غربا وقلت لها هلا هبت شمالا وأقسم لو غضبت على ثبير لازمع عن محلته ارتحالا (نبذة لغوية يفتقر كل متادب اليها) * (البلج) هو أن ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) فجملة العين المقلة وهى الشحمة التى تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس يخلق له حجم وانما وجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشئ رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما عرقان على حرفى الالف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الاجفان وهى غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الاشفار وهى حروف الاجفان التى تلتقى عند الغمض الواحد شفر والشفر الذى ينبت فيه الاهداب الواحد هدب فاذا طالت الاهداب قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء وكذلك أذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ما خرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن

(وقال عفا الله عنه)

تهددني بتبريح وبين * وتوعدني بتفريق وصد * وتحلف لي لتلبسني سقاما
تهي جلدي به وتذيب جلدي * وترميني بنبل من جفون * فتضنيني وتصميني وتردي
وتحرقني بنار الصد حتى * تذيب حشاشتي كمدا وكبدي * نقلت لها ودمعي في انسكاب
يفيض دما على صفحات خدي * ومن لي أن يقال قتيل وجد * واذ كرني هواك ولو بصد

سلوى عنك شيء ليس يروى * وحبي فيك سار مع الركاب (وقال عفا الله عنه)
ولم يمر رسوالك على ضميري * ووجدي فيك أيسره عذابي * ومالك عن سواد العين يوما
وما لسواد قلبي من حجاب * وما اخضرت دواعي الشوق الا * هزرت اليك أجنحة التصابي

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وأنحلنا بعد البعاد ادكارها * وعوجا بأطلال محتها يد النوى
فاظلم بالنأي المشت نهارها * فقد نابها رعا من الانس ان رنت * بمقلتها يصمي القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها * ويهزأ بالاغصان لين قوامها
اذا مال فوق الغصن نهاخمارها * وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو للاحجال وسوارها
منازلها مني الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها * يمثلها بالوهم فكري لناظري
وأكثر ما يضني النفوس افتكارها * وهيج دمعي حر نار صبابتي * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدني بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي * بلطف وقل عن حال صبك سائلي * لقد صار بالاسقام صبا معذبا
قريح جفون من دموع هوامل * صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلي * الا يا سليمى قد أضر بي الهوى
وهاجت بتبريح الغرام بلابلي * رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشى ومقاتلي
كتمت غرامي في هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعي برسائلي * سليمى سلي ماقد جرى لي من النوى
فقد عادلي حاله رق عاذلي * اعل تجودي للكئيب وتسمحي * بوعد وبعد الوعد انت ماطلي
عسى تنطفي بالوعد ناري وأشتفي * فيا اسقم أعضائي وهت ومفاصلي * خفيت عن العواد لولا تأوهي
وعظم أنيني لا يراني مسائلي * فرقي فقد رقت عداي لذلتي * وفاضت على حالي عيون عواذلي
قطعت زماني في عسى ولعلها * وما فزت في الايام منك بطائل * فما آن أن ترضي علي وترحمي
ضنى جسدي فالوجد لاشك قاتلي * توسلت بالمختار في جمع شملنا * نبي له فضل على كل فاضل

(وله رحمه الله تعالى)

يا ربة الحسن من بالصد أوصاك * حتى قتلت بفرط الهجر مضناك
ويا فتاة بفتان القوام سبت * من في الورى يا ترى بالقتل أفتاك
لقد جننت غراما مذ رأى نظري * في النوم طيف خيال من محياك
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلا حزينا لم يزل باكي
عذبتني بالتجني وهو يعذب لي * فهل ترى تسمحي يوما بلقياك
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناك

الاسفل وفي العين الحماليق والواحد حملاق والحماليق النواحي وفيها اللحاظ وهي مؤخرها الذي يلي الصدغ والموق طرفها الذي يلي الانف وهو مخرج الدمع وفي العين الحوص وهو ضيق في مؤخرها يقال رجل أحوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخفش وهو ضعف في النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد في العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر الى شزرا وذلك اذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره وفي النظر الاغضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفي الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلي الانياب الى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهي ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفي الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفي الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة في المذاق والفلج تباعد ما بين الاسنان (ثم اللثة) وهو اللحم ينبت فيه الاسنان وفي اللثة اللعس وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمرة المعلقة على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدي) ان شهاب الدين أحمد الحموي النقاش وردالى القاهرة سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من أولها الى آخرها متصلة الاجزاء والسور وأخبرني بذلك الموالي السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها لمولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال في سنة ٦٩٩ وله نظم رائق (عن) علي بن أبي طالب رضي الله

ما آن أن تعطفي جوداء لي فقد * أضحى فؤادي أسير الحظ عيناكي
ما كنت أحسب أن العشق فيمضني * ولاعذاب نفوس قبل أهواكي
حتى تولع قلبي بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى في حسن معناكي
رقي لعبدك جودا واعطفي وذري * ولا تطيلي بحق الله جفواكي
ياهند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت ياهند ما أقساكي
رقي العذول لحالي في الهوى ورثى * وأنت ياهند لاترثي لمضناكي
والله لومت ماأسلاك ياأملي * ولوفنيت غراما لست أنساكي

(وقال آخر) كأن فؤادي يوم سرت دليل * يسير امام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكي أرى * فؤادي سرى في الركب وهو يجول * وقائلة لي كيف حالك بعدنا
لتعلم ما هذا اليه يؤل * فقلت لها اقدمت قبل ترحلي * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلي طال هما فانشدت * ومازال ليل العاشقين طويل * فقالت وجسمي لم يزل متر جفا
فقالت وجسم العاشقين نحيل * فقلت لها لو كنت أدري فراقنا * بيوم وداع ماالبه سبيل
قلعت لعيني في هواك باصبعي * لكي لا أرى يوما على ثقيل

(وقال الواوا الدمشقي عفا الله عنه)

يامن نفت عني لذيذ رقادي * مالي ومالك قد أطلت سهادي * فبأي ذنب أم بأية حالة
أبعدتني ولقد سكنت فؤادي * وصددت عني حين قد ملك الهوى * روحي وقلبي والحشا وقيادي
ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا * قلبي أسيرا ماله من فادي * لاغرو أن قتلت عيونك مغرما
فلكم صرعت بها من الآسادي * يامن حوت كل المحاسن في الورى * والحسن منها كف في بادي
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعي السيوف تقر في الاغمادي * وتعطفي جودا علي بقبلة
فبميم مبسمكي شفاء الصادي * ماتت أطال الله عمرك سلوتي * ولقد فني صبري وعاش سهادي
ومن المنى لودام لي فيك الضنى * ياحبذ الارائك من عوادي * وأجيل منك نواظري في ناضر
من خدك المترقرق الوقاد * وأقول ماشئت اصنعي يامنيتي * مالي سواك ولو حرمت مرادي
الامديح المصطفى هو عمدتي * و به سألقى الله يوم معادي

(وقال البهاء زهير)

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففي القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

(مجنون ليلى)

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا * فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي
فما للنوى يرمي بليلى المراميا * أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا * ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
علينا فقد أمسى هوانا يمانيا * عينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا * خليلي لا والله لا أملك الهوى
اذا علم من أرض ليلى بداليا * خليلي لا والله لا أملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ماقضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا * ولو أن واش باليمامة داره
وداري باعلى حضرموت اهتدى ليا * وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا

تعالى عنه عشر تورث النسيان كثرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفأرة وقراءة ألواح القبور والنظر الى المصلوب والمشي بين القطارين والقاء القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل *(وهذا تذييل آخر)* (بسم الله الرحمن الرحيم) * أما بعد حمد الله على نعمائه * والصلاة والسلام على خير أنبيائه * فيقول العبد الفقير الى عفو مولاه الكريم ابراهيم بن الحاج علي الاحدب قد رأيت أن أذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما يحكى) ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذي دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فاسكنه في منزل قريب منه فاقام على ذلك مدة ثم ان الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوي غرامه فيه فشكا يوما له حاله فقال له ماحيلتي وأنا لا أستطيع مفارقة أخي لا ليلا ولا نهارا أما الليل فان سريري بجانب سريره وأما النهار فكما ترى تلازمنا فقال الشيخ ان منزلي ملاصق لداركم فيمكن اذا غمضت عين أخيك أن تقوم لتستعمل ماء فتأتي الى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندي لحظة لطيفة من غير أن يشعر أخوك بشيء فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فهيأ له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق في النوم وأمن انتباهه قام الشاب ومشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه الى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده في المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤس الشراب ممزوجة ببرد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ في الغناء وقد رمى القمر حرمه عليهما وانتبه

الصاحب فلم يجد أخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذى استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه ووصل الحائط فوجد
نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على (١٦٠) هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد باحسن صوت سقانى خمرة من ريق فيه

وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقى خدا بخد
غزال فى الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا
سلوه لا ينم على أخيه
فكان من لطافة الصاحب
أن قال والله لا أنم عليكما
وتركهما وانصرف انتهى
(ومن بديع ذلك ما حكاه
ابن خلكان فى تاريخه)
فى ترجمة شرف الدين
المعروف بابن المستوفى
قال قد وصل الى اربل بعض
الشعراء وهو الشريف عبد
الرحمن بن أبى الحسين بن
عيسى بن على بن يعرب فى
سنة ثمان وعشرين وستمائة
وشرف الدين يومئذ وزير
فسيرله مثلوما على يد شخص
كان فى خدمته يقال له
الكمال بن الشعار الموصلى
صاحب التاريخ والمثلوم
عبارة عن دينار يقطع منه
قطعة صغيرة وقد جرت
عادتهم فى العراق وتلك
البلادان يفعلوا مثل هذا
لانهم يتعاملون بالقطاع
الصغار ويسمونها القراضة
ويتعاملون أيضا بالمثلوم
وهذا كثير الوجود بايديهم
فجاء الكمال الى ذلك الشاعر
وقال له الصاحب يقول لك
الحق الساعة هذا حتى
يجهز لك شيا فتوهم
الشاعر ان الكمال يكون
قد قرض القطعة من

الدينار وان شرف الدين ما سيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه يا أيها المولى الوزير ومن به رق
* فى الجود حقا تضرب الامثال أرسلت بدر التم عند كماله * حسنا فوافى العبد وهو هلال ماعابه النقصان الا أنه * بلغ الكمال كذلك الآجال

على أننى راض بان أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولاليا * اذا ماشكوت الحب قالت كذبتنى
فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا * فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وقال آخر قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق شيمته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

(كمال الدين بن النبيه)

أما وبياض مبسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى * ورمان من الكافور تعلو
عليه طوالع الند الندى * وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ريى * الى كم أكتم البلوى ودمعى
يبوح بمضمر السر الخفى * وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

(صفى الدين الحلى)

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء * أصفتك من بعد الصدود مودة
وكذا الدواء يكون بعد الداء * أحييت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * در ببساطين خيمة زرقاء * أمست تعاطينى المدام وبيننا
عتب غنيت به عن الصهباء * آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشاشتى * أمصيبة منا بنبل لحاظها
ما أخطأته أسنة الاعداء * أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى واست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

(وله رحمه الله تعالى)

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى * قضيت وما أودى الحمام بمهجتى
وشبت وما حل البياض بمفرقى * قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تطرقى بين المنعم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق * قبلت وصايا الهجر من غير ناصح
وأحببت قول الهجر من غير مشفق * قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذممى أفعاله وترفقى

(وقال عفا الله عنه)

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج * جلت علينا محيا الوجه ليلتنا
فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج * جورية الخد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها بغنى عن الحجج * جادت لعرفانها أنى المريض بها
فما على اذا أذنبت من حرج * جست يدى لترى ما بى فقلت لها * كفى فذا الجوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * والصمت فى الحب أولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى فجادلنا * وكان أبخل من عوز بالمطر * رأت غداة النوى نار الكليم وقد
شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر * رشيقة لو تراها عند ما خطرت * والبدر ساد اليها وهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر * رشفت در الحباب من مقبلها
اذ نبهتنى اليها نسمة السحر * رنت نجوم الدجى نحوى فانظرت * من يرشف الراح قبلى من فم القمر

راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

(وقال ابن الساعاتى) قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر) بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(الواوا الدمشقى تضمين)

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة) عذولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر غما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر) ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثى عال فى السهاد لاننى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

(السراج الوراق)

يالائمى فى هواها * أسرفت فى اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال آخر) وعدت أن تزور ليلا فالوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلى) قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بالجمال تمتن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

(وقال آخر) قالت وناولتها سواكا * سادبفيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريق * قلت لها ذاقه سواكى

(وقال آخر) سألتها أن تعيد اللظا * قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

(ابن نباتة) ومليلة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال أبو الطيب المتنبى)

بابى الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا * الناهبات عيوننا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا * الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا * وبسمن عن برد خشيت أذيبه
من حر أنفاسى فكنت الذائبا * ياحبذا المتحملون وحبذا * واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن أنشبن فى مخالبا

(وله أيضا من جملة قصيدة)

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم

(الشريف الرضى)

وعيس بين من عطر ومعصفر * ومعنبر ومسك ومصندل * هيفاء ان قال الشباب لها انهضى
قالت روادفها اقعدى وتمهلى * واذا سألت الوصل قال جمالها * جودى وقال دلالها لا تفعلى

موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهودى فقيل له فى ذلك فانشد
تركت هوى موسى بحب محمد هديت ولولا الله ما كنت اهتدى وما عن قلى تركى هواه وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد وكان ابراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له فى صباه ان الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله بن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت اعلامه سودا لانه كان بايع الخليفة ببغداد فارسل اليه بالتولية والالوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الاندلس قبله ولا بعده بايع بنى العباس قط فوقف ابراهيم ابن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلانى والبيت الفلانى أعلامه السوداء اعلام بسوددة كانهن اتخذ الملك خيلان فقال الهيثم أهذا البيت شئ ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون أشعر أهل الاندلس (ومنه ما اتفق) سنة ثمان وستمائة ان الملك المعظم عيسى سار الى أخيه الملك الاشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان فى نفسه موجدة عليه فازالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هنالك من سنة أربع عشرة بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم فى نظيرها أن يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه فى الساحل

ويبثر كوادمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى ان ضاقت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فاخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضي دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج أن ينصرفوا بأنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى أضيق الاماكن فعند ذلك انابوا الى المصالحة من غير معاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده أخواه المذكوران وكانا قائمين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته ومد سماطا عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام الحلي الشاعر وأنشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا به المنى * مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغا البحر الخضم باهله الـطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج الا كل شلو مجدل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الارض رافعا * عقيرته فى الخافقين مشيدا
أعباد عيسى ان عيسى وقومه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى

(ومنه ما حكى عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه وبين السلطان مداعبة ومنادمة فاتفق انه حضر فى بعض الليالى عنده

فاجبته

(ابن امرئيل)

نشوانة خصباء منهل ثغرها * حوراء ناظرها حسام مرهف * وعدت بوصل والزمان مسوّف
غصنا يميس به النسيم مهفهف * وتخال بين البدر منها والنقا * درور يقتها سلاف قرقف
يا بانة قد أطاعت أغصانها * وعدت ولكن الزمان يسوّف * لا تحسبن الخلف شيمة مثلها
ويعير ناظرها الحسام الاوطف * وغزالة يحكى الغزالة وجهها * ورداجنيا باللواحظ يقطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * أجفانك المرضى ولا تستعطف * ما تأمرين لمغرم تسطو به
مالى الى أحد سواك تشوف * وبهز غصن البان منك على النقا * وسواد شعرك وهو ليل مسدف

(ولنذكر) ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البدرى)

علقت باخرى غيرها امتلاهيا * وأيقنت أنى بالغرام أذوب * ولما نأت سلمى وشط بها النوى
لمن هو فى الاولى الى حبيب * وكان هيامى والهوى وصبابتى * ليطفى ضرام فى الحشا ولهيب

(وله فى المعنى) تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتى * فاضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

(وقال أيضا) سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى * وتخلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار) يقولون هذى أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

(وقال غيره) وقالوا ابع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخر تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف آتمن الجديدا

(وقال آخر) لم أنس ان قلت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

(وقال آخر) أمن الروأة ان أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسى بدموعى
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

(وقال آخر) الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالى من يديه خلاص
جرحت بعينى خده وهو جارح * بعينيه قلبى والجروح قصاص

(وقال آخر) قد كنت أسمع بالهوى فاكذب * وأرى المحب وما يقول فاعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

(وقال آخر) سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت فى العد وضاع الحساب

(وقال آخر) يا من سقامى من سقام جفونه * وسواد حظى من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال بفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

(وقال آخر) صبحته عند المساء فقال لى * تهزا بقدرى أو تريد مزاحا

فلما رجع الى منزله قالت له ز وجته أين انعام السلطان فقال ما أنعم على الليلة بشئ فقالت أنا اعوض عنه وقامت اليه هي وجواريها فى الحال وتناولته بالخفاف الثقال الى أن ألانت أعطافه وأدارت فى حانة الصفع سلافه فكتب للمعظم رقعة فى ذلك منها وتخالفت بيض

الاكف كانها التصفيق
عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كانها
وقع المطارق من يدى نحاس
وقال أجب عنها فاجابه بما
فى آخره
فاصبر على أخفافهن ولا تكن
متخلقا الا بخلاق الناس
واعلم ان اختلفت عليك بانه
مافى وقوفك ساعة من باس
(وضمنه أبو جعفر الاندلسى
فقال) ومورد الوجنات
دب عذاره * فكانه خط
على قرطاس لما رأيت
عذاره مستنع لا * قد رام
يخفى الورد منه بآس
ناديته قف كى أودع ورده
مافى وقوفك ساعة من باس
(ومن البديع ما يحكى) أن
الشيخ ابن كثير صاحب
التاريخ كان له صفة على باب
داره يجلس ويطالع فيها
استئناسا بالمارة لسآمة
الوحدة والى جواره جارية
رث الثياب وكان اذا رأى
الشيخ جالسا على الصفة
يجىء ويركب أكافه فتفوح
له رائحة فيتأذى منها
ويستحى أن يصرفه فاشتد
غيظه يوما فقال له يا شيخ أما
تستحى كلما ترانى جالسا
تجىء تركب أكافى وأنت
لست تعرف ما أطالعه ولا
لك شعور به فلما أخجله
بهذا التعنيف قال له يا سيدى
الشيخ ما هذا الذى تطالع
فيه من العلوم فقال شئ فى

فاجبته اشراق وجهك غرنى * حتى توهمت المساء صباحا

(أبو عبد الله الغواص)

من عذيرى من عذول فى رشا * قام القلب هواه فقمر
قمر لم يبق منى حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل ناب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عنى بقلب العقرب

(وقال آخر) لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعى بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا ولا نظرت * عينى لغير محياك وجهك القمر

(ابراهيم بن العباس)

نمر الصبا مطمعا بسماكن ذى الغضى * ويسرع قلبى اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(وقال النوفلى) اذا اختلجت عينى رأت من تحبه * فدام لعينى ما حييت اختلاجها
وماذقت كأسا مذ عاقت بحبها * فاشربه الا ودمعى مزاجها

(وقال آخر رحمه الله تعالى)

يا ذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا قام بباب الدار من تيهه * ما ضره لو دخل الدارا

(وقال آخر) ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

(ابن نباتة) أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فو العصران العاشقين لفى خسر

(أمين الدين بن أبى الوفاء)

يا نازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو * يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجبى) ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقالت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

(وقال ديك الجن) ولى كبد حرا ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظمأ وردا فهزت جناحها

(وقال عبد الله بن طاهر)

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتعاقبى

(وقال ابن المعتز)

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها * وارحم المقلة التى
كنت فيها سوادها * كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

الاقتباس فقال له أنشدنى منه شيأ فاقبل ابن كثير ساعة يقتبس فى مطالعة الحال وقال كيد حسودى وهنا * ولى سرور وهنا الحمد لله الذى * أذهب عنا الحزن فلما فرغ من انشاده قال له هذا الذى أفكرت فيه وتتكبر به اسمع ما أقول فانشد ارتجالا من غير وقفة قلبى الى الرشد يسير *

وعنده النظم بسير الحمد لله الذى * فضلنا على كثير فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له وقال له اياك أن تزدرى باحد فانه واهب الله تعالى في الصدور لا في الثياب اه (ومن اللطائف (١٦٤) ما حكى) أن بعض الملوك حاصر ملكا وأطال في حصاره فلما اشتدت به المحاصرة استدعى

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

(وقال آخر) ولى فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شئ فداك به

(وقال آخر) وما هجرتك النفس يا مى انها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

(وقال المحاربى) اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * باهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بانضج من كى الغضى المتلهب

(وقال الاقرع بن معاذ)
أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها * بحقك أخبرنى أما تأثم التى
أضر بجسمى منذ مرخيالها * فقل بلى والله أو سيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقات ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضابى وقولا فى حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه * فان تبسم قولا عن ملاطفة
ما بال عبدك بالهجران تتلفه * وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وقال عبد الله بن أبى الشيص)
ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كانى قد قتلت لها قتيلا * فسامنى بغير الهجر ترضى

(وقال الحسين بن الضحاك)
بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

(وقال آخر) وأجيل فكرى فى هوا * ك بلا لسان ناطق
أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

(وقال آخر) يا ويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يتيه * أنظر الى جسد أضر به الهوى
لولا تقلب طرفه دفنوه * من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العاذلات تسل عنها * وداوِ عليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

(وقال اسحق مولى المهلب)
هبينى يا معذبتى أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فاين الفضل منك فدتك نفسى * على اذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت
سقام على جسمى كثير موسع * ونوم على عينى قليل مفوت
اذا اشتد ما بى كان أفضل حيلتى * له وضع كفى فوق خدى وأسكت

(وقال بشار) يا قرة العين انى لا أسميك * أكنى باخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم غيران يرمينى و يرميك * لولا الرقيبان اذ ودعت غاديا

برزرائه فقال ما ترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا و يفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لى رأى أرى انهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ما هو قال يجمع مولاى ما فى خزائنه من الذهب ويحضره فلما أحضروا استدعى بالصياغ وأمرهم أن يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الامر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر أن تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بان يأخذ كل واحد سهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى أدهش العيون فامر الملك أن تجمع فلما جمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب
ومن جوده يرمى العفاة باسهم
من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح فى دوائه
ويشترى الاكفان منها قتيلها
فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لا يحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكى) أن الشيخ شمس الدين المعروف

بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق ملحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فساله فقال دمل فى ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع فى أضيق المواضع وهذا على ذ... قبلت

قبات فاك وقلت النفس تفديك * ياأطيب الناس ريقاغير مختبر * الاشهادة أطراف المساويك

قدزرتنا مرة فى الدهر واحدة * بالله لاتجعلها بيضة الديك

(وقال آخر) ألم تعلمي ياأحسن الناس أننى * أحبك حبامستكنا وباديا

أحبك مالو كان بين قبائل * من الناس أعداء لجر التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بطارفه قلب الكمى

ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فادزكاة منظرك البهى

وذاك بان تجود لمستهام * لرشف من مقبلك الشهى

فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لازكاة على الصبي

(وقال آخر) سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنا فى روضة الحسن ضاحك

أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر) ألم تعلمى ياعذبة الماء اننى * أظل اذالم اسق ماءك صاديا

ومازلت بى يابين حتى لوانني * من الوجد استبكى الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق

ماأنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بابى شجاع)

لاعذب العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أوفاضت دما * ولا هجرن من الرقاد لذيذه

حتى يعود على الجفون محرما * هى أوقعتنى فى حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما

سفكت دمى فلاسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

(وقال العتبي) أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(الرفاء الاندلسى) ومهفهف كالغصن الأنه * تحير الالباب عند لقائه

أضحى ينام وقد تكال خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

(وقال آخر) اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف

كان نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف

رشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

(وقال آخر) مازال ينهل من صرف الطلا قمرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق

وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق

فمائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق

جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق

وقال لى بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

(وقال آخر) أر كان هذا البيت انى لطائف * وفى الكون أسرار وفيه لطائف

رعى الله أياما ونا ساعهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف

وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى * يريد امتحانانى وما أنا زائف

يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فياذهبى اللون انك حائف

(وقال آخر) أسنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمالى

فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

(ومماقيل فى الرقباء) لوأن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الامر فى التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

(وقال اعرابى) بسهم الحب كلم فى فؤادى * ولا كالكلم من عين الرقيب

القياس جاء فى أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى (لطيفة) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فاخذه ابن المنير الطرابلسى يوما واضافه وجلس فى طبقة له فذهب اليهم على غفلة وقال يامن هم فى الطبقه * هل عندكم من شفقه لسائل متيم * يطالبكم بصدقه فاجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله يامن أتانا سرقه * بمهجة محترقه جدك ياذالمجز * أخذك منا صدقه فخجل الشريف وذهب انتهى (ومن المستعذب مايحكى عن الفضل) قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جارية له مارية وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال يافضل قل فى هذا الورد فانشدته بديها كانه فم محبوب يقبله * فم المحب وقد أبدى به خجلا فقال الرشيد ماتقولين يامارية فانشدته كانه لون خدى حين تدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا فقال الرشيد قم يافضل فقد هيجتنى هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التى لاتدرك) ماحكاه الشريف المقرى فى شرح بديعته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب به الى أبيه وقال له اقرأ ماعلى هذا الخاتم فلما قرأه حصل فى نفسه تاثير فارسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضى وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ماذنبي وأنتم تروون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أوتتكلم وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيى فقال والله ماكتبت الاما تتبركون به فى كتابكم فكتبت نجم عشق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام

هذا من الاتفاق العجيب اه (ومثل ذلك) قول أبي نواس يهجو خالصة جارية الرشيد لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع در على خالصه
فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الا ضاء فاستحسن مواربته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عيناه فأبصر اه

تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب * ومن حذر الرقيب اذا لتقينا
نسلم كالغريب على الغريب * ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

(وقال آخر) من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت في بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

(وقال أحمد بن أبي سلمة) يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بأمر عجيب
أظن نفسي لو تعشقتها * باتت فيها بملام الرقيب

(وقال آخر) وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

(وقال آخر) وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا بانت خليطته بكاها

(وقال آخر) وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا هذه الذي بي
ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عند ماشاب مفرقي
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتي وتحرقي

(وقال آخر) ولم أر مثلي غارما من طول ليله * عليه لان الليل بعشقه معي
ومازلت أبكي في دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

(وقال آخر) رجوت طيف خيال * وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

(وقال آخر) يا نازح الطيف من نومي يعاودني * لقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لا تسل * عن حالها يا ما جرى

(وقال آخر) أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم ما لا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجري به دمعي دما وكذا جرى

(وقال آخر) ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

(وقال آخر) يقولون لي والدمع قرح مقلتي * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جمر قلت لا تعجبوا * فكل وعاء بالذي فيه ينضح

(وقال البدر الذهبي) قالوا انبا كي بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمي لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

* (وقال ابن مطروح في الغيرة) *

ولو أمسى على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني * أغار عليك منك فكيف مني

(وقال آخر) أغار عليك من نظري ومني * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أني خبأتك في جفوني * الى يوم القيامة ما كفاني

* (المظفر بن عمر الآمدي) *

قل للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(حكي) عن أبي العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي انه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله في المسلمين اه (وقيل) زنى رجل بجارية فأحبلها فقيل له يا عدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام (وقيل) لاعرابي كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكي) أن علية بنت المهدي كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك

وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وقال
وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال

أندر ون مافالت المرأة فقالوا ما نراها فقالت الاخـبر افقال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة واذا أسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فاخذته من قوله تعالى حتى اذا

فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فاخذته من قول الشاعر اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة فى نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فاكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون بشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيئا من الدنيا يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أى ليشكوا أحوالهم ومانزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم يرالراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يامولاى هذه

(وقال غيره) لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مرحلوا الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضى) علالانى بذكركم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر) قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم * أنى أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر
ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر فى أولى نساره
كانما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

(وقال آخر) ليل المحب بن مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الالان الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره) فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

(وقال آخر) ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(وقال آخر) ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره) رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عينى فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت ياليلى أما فيك سحر

(وقال آخر) ياليل طل أولا تطل * لابد لى أن أسهرك لو بات عندى قمرى * مابت أرعى قمرك

(وقال بشار بن برد) خليلى ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل النهار المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر) كأن الثريا راحة تشبر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ) لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال آخر فى ليلة ممطرة) أقول والليل فى امتداد * وأدمع الغيث فى انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

(ومما جاء فى الاشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب * بكر اذا زوجت بالماء أولدها
أطفال در على مهد من الذهب * بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب * باكرتها برفاق قد زهت بهم
قبل السلاف سلاف العلم والادب * بكل متشح بالفضل مؤتزر * كان فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غداق الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب * بذلت عقلى صداقا حين بت به

وتوجه فغلام لفيروز فقال فيروز الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتني بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله (١٦٨) فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد

دبره الملك فانه لما توجه فيروز وقام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتيني فقالت يامولاي لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل في قولهم سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه اذا سقط الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه وتجتنب الاسود ورود ماء اذا كان الكلاب ولغن فيه ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه وما أحسن يامولاي قول الشاعر قل للذي شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب والله لاقال قائل أبدا * قد أكل الليث فضلة الذيب ثم قالت أيها الملك تاتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسي نعله في الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه

في رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه وقال

أزوج ابن سحاب بابنة العنب * بتنا بكاسهم اصرعى ومطربنا * بعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم الهرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

(وقال أيضا) تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور ورقتم بنا ياصاحبي * نستدرك الماضي بنهب الآتي * توج بكاسات الطلا هام الربا
في روضة مطلولة الزهرات * تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتي * وفراغ راحاتي على الراحات * تركي لاكياس النضار جهالة
من ذا أحق بها من الكاسات * تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد بكف فتاة
تابع الى أوقاتها داعي الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تمم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا) حي الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح * حاش الانام وعاطني مشمولة
ظنت فسادي وهي عين صلاحي * حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلالؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح * حجب الحباب شعاعها فكأنه
شفق تلهب تحت ذيل صباح * حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لاتقنع بانك صاح

(وقال آخر) قد قلت اذ أضحى بعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
بالله ما أنصفتها ياسيدي * تاتيك باسمة وأنت تعبس

(عز الدين الموصلي) انى شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فميزما قد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاويه) وشمسة كرم برجها قعر دنها * ومطلعها الساقي ومغربها في
مدام كتبر في اناء كفضة * وساق كبدر ومع ندامى كانجم

(وقال آخر) كان الندامى والسقاة ودننا * وكاسا تنافى الروض تعلى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر) فكأنها وكأن حامل كاسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم) صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم ياغلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح * خفيت تباشير الصباح فاسقني
ما ضل في الظلماء من قدح القدح * صهباء مالمعت بكف مديرها * لقطب الانهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح * هي صفوة الكرم الكريم فاسرت
سراؤها في باخل الاسمح * من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذران خلع العذار أو افتضح

(وقال غيره) وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا مازلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

(عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى * فاولها شمس وآخرها بدر * مقطبة مالم يزرها مزاجها
فان جاءها جاء التبسم والبشر * فياعجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(وقال ابن نميم) وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس) نزل الطل بكرة * وتوالى تجددا والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازى)
كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

(صفى الدين الحلى) كيف لا تخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوافى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

(غيره) صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن نميم)
نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى معدنى

(تقى الدين بن حجة) حبابها عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

(أبو الطيب المتنبى) ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضىء لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ماندىمى هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر) بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم دار واحكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر) عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين بن المعمار) يا كرام الكرم العنب الجنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج انا ماءه * لكى تزيل الهم عنابه

(جولان العاذلى) اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تراجعت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)
يامن يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخسر لا قدرا ولا حطبا

(وقال أيضا) وعتيقة قرقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب باعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره) لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرق بان بالتصريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذا يعصر من جسم بلا روح

(وقال غيره) عابوا على مداما * أخرتها الصبوحى واستنكروها وقالوا * تحلات قلت روحى

(وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق)
أماترى الرعد يبكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا * فاشرب على غيم كصبغ الدجى
أضحك وجه الروض لما بكى * وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

(وقال آخر) ياليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا * بتنا بها نسقى سلافا قرقفا

عائشة دينارفضى فيروز الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يا فيروز اما أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطالبوه الى الحكم فأتى معهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضى قد استلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة

يسيرة وخرج من غير باس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضى ولا غيره بشئ من ذلك اه (وحكى) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من

جلتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المتقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره اضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها زدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فمن العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شانه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل وقال

بذر الصحيح بعقله مرتابا * من كف غانيـة كان بنانها * من فضـة قد قمعت عنابا

(وقال آخر) أما ترى الغيث كالباكى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده * مـن الزمان وما نأتى الى القـدح

(ابن نباتة) أما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طالعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

(ومن شعر عضد الدولة) طربت لى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * ونارى بين نارنجى وراحى * فمشموى ومشروبى ونارى
وثلجى والصباح مع الصباح * لهيب فى لهيب فى لهيب * صباح فى صباح فى صباح

(ابن وكيع) وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عـدو أو لقاء صـديق
كأن الحباب المستـدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

(وقال آخر) وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بـين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

(وقال آخر) اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال * وحركت الغصون فشابهتها
قدود معقاتمايل كل حال * فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبـل ارتحالى
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

(وقال آخر فى الشراب على الغيم)

أرى غيما تؤلفـه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى أن تدعو برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

(وقال آخر) فيا بكر باكر بكرة بكر كرمة * تفز ببكر وربا كرتك بها ابكر
وداو خمار الخمـر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

(الصنوبرى) لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن * بكرا معتقة عـذراء واضحـة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن * حمراء وقـت وصـفراء فاقعة * كانما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغـره فلج يمنى الى اليمـن * فى ريقه عسـل قلبى به خبـل
فى مشيه ميل أربى على الغصن * كأنه قمر ما مثـله بشر * فى طرفـه حور يرنو فيجرحنى
سبحان خالقـه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن * فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت
كانما افرشت من وجهها الحسن * يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعد ناعم منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)

طاب الصبوح لنافهاك الـ هات * واشرب هنيأ يا أخا اللـذات * كم ذا التوانى والزمان مساعد
والدهر سمح والحبيب موات * قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافيـة توقد نورها * فعجبت للنـيران فى الجنات * يتسل فى قار الظروف حبابها
والدر يجتاب من الظلـمات * عـذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاتى
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات * يهوى فتسبقه ذوائب شعره
ملتفة كاساود الحيات * لو قسمت أرزاقنا بيمينـه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الاعلى المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشته وتكدرت عليه حياته

(وقال أيضا) باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره

والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره

حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره

ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره

بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره

مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره

مهفهف القد يبدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره

تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره

كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره

فلو رأت مقلتاه اروت آيته الكبرى لآمن بعد الكفر ساحره

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره

واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

(وقال آخر) شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعالى بالكؤس وبالقنانى

ولولا ضيقة الاحرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطى) أرى جوار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب

جئنا لخمار وقلنا له * اجمل البياجوة كى نطيب

قال زبيبا فقد تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب

قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى حوة عشرين قلنا الزبيب

(وقال أيضا) صرف الزبيب اصرف همى * نص على نفعه طبيبى

آها لى سكرة على * أن أخلط الهم بالزبيب

(وقال) قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعد الحرام حدا

قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

(ومما قيل فى شرب الفقهاء)

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق

وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الاباريق

(فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده)

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات

يطيل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

(ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو)

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا

يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

(وقيل فى شجاع السكر) اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان

وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

(وفيه أيضا) يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز

وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز

ومن لى بحرب لبس تخمد نارها * لعمرى انى لست فيها بعاجز

ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال فى شرب الثلاثة) ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير

هذا يغنى ذا وهذا الذى * يسقى وذا بالشرب مسرور

وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأنفرهن أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى أظنك لا تقول له ما قلت وكأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الامير ساحدد له لسانى وأجرى به فى ميدانى فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فاخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فاخذها وانصرف راجعا فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام

عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك

لا توصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال أكره أن يكون لي اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فاين تريد قال أمشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الشعر الفار فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتني الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طاعت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان ابن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لاظنك حروريا قال اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني أظنك والرحمن شيطانا

أتيت قبته أرجو ضيافته * فاظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث فاجبتم

(وقيل في شرب الاربعة) ألا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغني وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

(وقيل في شرب الستة)

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنية
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * والئن أتيت به فاملك جانيه

(ومما قيل في الشرب مع التجار)

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضور ناديهم وداعا
فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذي بعت الذراعا
وهذا قال عندي كل شيء * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهم وأبدا نداما * فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب) وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل ارتعدت يداه
نديم دأبه في الشرب أكل * فلا يبقى على شيء يراه

(وقيل في قدح) غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى * مهانا فاضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصاري يستدعي بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشي أو حرير
وقد صفي دنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهي نور
ومن برد السرور يعش هنيا * اذا العيش الهني هو السرور
وعندي اليوم فتيان كرام * وجوههم شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لامر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك في الحضور رخي يومي * عليك وقد دعاك له الحضور

(وقال آخر) باكر صبوحك واشرب بها مشعشعة * واهنا بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن في كأسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لا صاحبتني يد لم تفن ألف يد * ولم ترد الفدا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندي من اللوم

(سيف الدولة بن حمدان في ساق)

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فما بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي النجوم مطارفا * على الجو كنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر في أخضر تحت مبيض
كاذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(ابن نباتة) سقى وواعدني وصلا الذبه * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبحه الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

(وقال آخر في ساق) وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ما سودت * عبثا بلام عذاره ونونه
جد الذي بيمينه في خده * وجرى الذي في خده بيمينه

(في جارية ساقية) ندمي جارية ساقيه * ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

(فيمن حبس الكاس في يده) قالوا الذي تهواه يحبس كاسه * في كفه من غير ذنب موجب

وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان
قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلتها لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك

فاجبتهم كفوا الملام فانه * قمر ينزه طرفه في كوكب

(وقال آخر في مجلس أنس)

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقي وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

(صفي الدين الحلي في عود) وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرب في تغريده فكأنه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم

(وقال آخر في زامر) وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(ومما قيل في فانوس لابن تميم) انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس في غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

(ولبعضهم في شمعة) حكتني وقد أودى بي السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

(ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره * وبدا البنفسج والشقائق مونق
والورد يضحك بينها بهاره * فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا أوانك وهذه آثاره

(وقال غيره) غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الاباريق تسفك
فلم نر شيئا كان أحسن منظرا * من النور يجري دمعه وهو يضحك

(وقال آخر) أما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

(غيره) ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شيء من الزهر
والارض لا تنجلي أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص) أيا حسنها من رياض غدا * جنوني فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

(وقال آخر) انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

(وقال أيضا عفا الله عنه) لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

(وقال آخر) قد سعينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا بالالطاف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

(ومما قيل في الازهار والاثمار) قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب * الورد ضيف فلا تجهل كرامته
فهاتها قهوة في الكاس تلتهب * سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأني بصوت خلاخلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فكان ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فاعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فاحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم
الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وقيل) بينما
كثير عزة مارا بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك من تكون قال أنا كثير

عزة قالت فحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل وما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت (١٧٤) بالجمر اللدن نارها ويحك ياهذا لو تبخر بالجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحهما ألا قلت
مثل سيدك امرئ القيس
وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب فقطعته ولم يرد جوابا (وحكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى) قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها رحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت

(وقال آخر فيه) طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * ما دام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت للئام الناس أعمار
(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا
(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب
(وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق
(ومما قيل في البنفسج) وقال ابن المعتز
ولازوردية وافت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت
(وقال آخر) اشرب على ظهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن باثمد
(ولبعضهم في الورد) للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص بدا في خد ذي غنج
(وقال آخر) يا مهديا لي بنفسجا أرجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح
(وقال غيره في النرجس) وقضب زمرذ تعلو عليها * عيون لم تذق طعما لغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض
(وقال آخر فيه) أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست
(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي المام
أيارب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام
(وقال أيضا فيه) لما تعادى الورد في زهره * وراح من اعجابه يرأس
تلون المنثور من مابه * واصفر من غيظ به النرجس
(ومما قيل في اللينوفر لابن المعز المصري)
وبركة تزهو باينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب * مفتح الاجفان في نومه
حتى اذا الشمس دنت للمغيب * اطبق جفنيه على خده * وغاص في البركة خوف الرقيب
(وقال تميم بن المعز المصري)
رأيت في البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك * فقال لي غرقت في أدمعي
وصادني ظبي الفلا بالشرك * فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك
(ومما قيل في البان) قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا
(وقال آخر فيه) أما ترى البان الذي يزهو على * كل الغصون بقده الميأس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال في السنجاب والبرطاس

(وقال في الشقيق) حييته بشقائق في مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فانبت خده * أضعاف ما جاءت يداي اليه

(وقال آخر) لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ماانشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومي الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فانشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق
فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل في المنثور) تخال منثورها في الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد في أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا أنه فاني

(وقال آخر) قد أقبل المنثور يا سيدي * كالدر والياقوت في نظمه
ثناك لازال كأنفاسه * ومن يشناك مثل اسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الاحبة مرة * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وأقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لايدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل في الياسمين) والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر) رأيت الفال بشرني بخير * وقد أهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

(ومما قيل في السوسن للاخطل الاهوازي)

سقيا لارض اذا ما نمت نبهني * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

(ومما قيل في الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربي)

أفدي الذي زارني سرا فاتحفني * باقحوان يحاكي ثغر مبتسم
فبت من فرحي أفني مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(ومما قيل في الجلنار) وجلنار مشرق * على أعالي شجره * كأنه في غصنه
أحمره وأصفره * قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

(ومما قيل في الآس) أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الانفاس

(ومما قيل في الريحان) وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصني نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه أيضا) وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

(وقال آخر) قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى في سوالف أغيد

(ومما قيل في الفواكه والثمار على اختلافهما) في الاترج قال ابن الرومي

لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فانخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اركبي قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل

فيسخط بها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان (١٧٦) ابن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله معن بن زائدة الذى زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان
فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله
ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل ... ...
فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع (ووفد) ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله
اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها
قال بل أنا الذى يقول أبى
لا تسأل الناس ما مالى وكثرته * وسائل الناس ما جودى وما خلقى
أعطى الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس انى من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق
فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله فقال منذ هتك سترك (ومن ذلك) ما يحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق
(ولبعضهم فيه)
حباك من تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه
(وقال آخر)
يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب
(فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)
يا حسن ليمونة حبابها سافر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب
(وفيه أيضا)
وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا
ترضى بعيش نكد * واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتسيت ناهبا * من خده المورد * ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد * كأكرة من فضة * مملوءة من عسجد
(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)
نظرت الى نارنجة فى يمينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس
(وقال آخر)
ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد
(وقال آخر)
ونارنج يلوح على غصون * ومنه ما ترى كالصولجان
أشبهها نديا ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران
(وقال آخر)
وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
تطالعها بين الغصون كأنها * خدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لا يدرى
(فى التفاح لبعضهم)
ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق
(وقال آخر فى تفاحة)
وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق
(ولبعضهم فيه)
تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدى واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا
(وقال آخر)
وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أصولها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * ونور بخديه وطيب نسيمه
(وقال آخر)
حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح
(وفيه أيضا)
أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده
(وقيل فى السفرجل)
حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا

كالراح

ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ماولى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداءك أوتعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة (وحكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحي) قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني والحقوا بالشط فاول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتوني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقني ياملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والاضربت عنقك قال فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أرمثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى داري لئلا يفشوا الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين فاخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال أين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فامر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها

كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكي بلونها * محبا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب للمنى ومعناق
وطيبة عند المذاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

*(وقيل في الكمثرى)م وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتلنا * مغبرة بلون الزعفران

(ابن بوغش متغزلا) وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما تأتى * نهود السمر في معنى وقد

(ومما قيل في المشمش) بدا مشمش الاشجار يذكو شهابه * على غصن أغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد

(ماقيل في الاجاص) انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الازر

(ماقيل في الخوخ) أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه في مثلها دقيق * حمراء صفراء مستعير
بهجتها التبر والعقيق * كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

(ماقيل في الفستق) تفكرت في معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجني فانه * زهي بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد

(ماقيل في البندق) ولقد شربت مع الحبيب مدامة * خمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبي البهي ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

(ومما قيل في النبق) وسدرة كل يوم * من حسنها في فنون * كأنما النبق فيها
وقد حلا في العيون * جلاجل من نضار * قد علقت في الغصون

(ومما قيل في اللوز) ومهد الينا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فاز بخلوة * على رقبة في مجلس فتعانقا

(في العنب لبعضهم) هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب جا آعلى طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فابيض العين يحكي لون أبيضه * وأسود العين يحكي لون أسوده

(في قصب السكر) ورماح لغير طعن وضرب * بل لاكل ومص اب ورشف
كملت في استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

(ومما قيل في البطيخ الاصفر)

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدرا يقدد أهله * من الشمس ما بين النجوم ببارق

(وقال آخر) وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام

فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاي من أعلمك أوحى اليك بهذا الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية نير الثياب وهو ينادي يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليها الحد ولا يفتك فكان ما شهد ثم *(وحكى)* ان بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا في لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعي احفظ على فرسي حتى أبول فعمد الراعي الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطرف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي قدم الى فرسي فانه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبي دواد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميري لأبيك الرشيد رحمة الله تعالى عليهما وقال

المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(ومن محاسن الاخلاق)

تخيل لي شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

(ومما قيل في البطيخ الاخضر)

وظبي أتى في الكف منه بمدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت في أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

(وقال آخر)

وبطيخة خضراء في كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمدية وقد * فرى طرفه الساجي القلوب مع المهج

(ومما قيل في القثاء)

انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرذ خضرا ما لها ورق
اذ قابلت أسمها بانت ملاحتها * وصار في عكسه اني بكم أثق

(ومما قيل في الباذنجان)

وكأنما الباذنجان سود حمائم * أوكاره خضل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرذ مسمما * فاستودعته حواصلا من عنبر

(ومما قيل في الانهار والبرك والنواعير)

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس في حافاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماوية فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا يقابله * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى

(وقال آخر في بركة)

يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بالقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

(وقال آخر)

وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت ورافت * في الارض جزء من السماء

(وقال محمد بن سارة المغربي)

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وقال آخر)

يوم لقيا بالنيل مختصر * وكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر

(وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان)

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم في المجره

(وقال آخر في النيل)

النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعي
في غيظ من طاب العلا * عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعي

(وقال آخر)

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

(وقال آخر)

وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذي أصابع ذي أيادي

(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

(وقال آخر) ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعا له فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بما فيأخذها ويجرى

(وقال آخر فى ناعورة) وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ودمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلاعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

(وفيها أيضا) وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد * ولكنها تبكى بغير صبابة
وأبكى بافراط الصبابة والوجد * وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدى

*(وفيها أيضا قال الخطيرى)
رب ناعورة كان حبيبا * فارقته فقد غدت لى تحكى أبدا هكذا انثنى بشجو * وعلى الفوائد دور وتبكى

(ابن تميم) تامل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كان نسيم الجو قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجرى وذا يدور

(فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

(لابن عفيف فى قاض مليح) ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لى بسهم لحظ * فانما له دائم النفوذ

(وقال فى فقيه مليح) وبمهجتى ظبى غدا متفقها * وهو المهذب فى لرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

(وقال فى محدث مليح) علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن
حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

(وقال فى امام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت ان وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

(ابن الرومى فى عروضى وأجاد) بى عروضى مليح * موتتى فيه حياة
عاذلانى فى هواه * فاعلاتن فاعلات

(فى مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريم الوجه * لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذلك أعيش بالتسبيح

(لابن عربى) وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف يصغى لما يقول حبيب * واضع أصبعيه فى أذنيه

(وقال آخر فى مريد)
مراد قلبى مريد * مخبا فى الزوايا وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

(وفى فقير مليح)
بى فقير يثنى * بسنا وجه منير * لا تلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

(فى أمير شكار لابن دنيال) بى من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

ما حكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته قد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان (١٧٩) نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائفا لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتاهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فامر لى بالف دينار فاخذتها وانصرفت (قال) وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غابه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلموه فانتبه (وكنت) معه يوما فى بستان ندور فيه فجعل يمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى ان أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولاكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت ان أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى

ا قال وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت أنا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف
اه (وحكى) ان أحمقين اصطحبا في طريق فقال أحدهما تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما

(في مليح مغن) أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنها الجامود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

(في مليح عوّاد) غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(في مليح كاتب) بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

(غيره) وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقي * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

(وفيه أيضا) ياحسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان أعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه أيضا)
فديتك أيها الوراق قلبي * لما لك بالوصال يكاد يبلى
وقد طاب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

(في مليح صيرفي) ياسائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

(في مليح بخانقي) تسلطن في الملاح بخانقي * ولا يرضى بصدر النجم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

(في مليح فراء) قلت لفراء أذيبي * وزاد صدا وطال هجرا
قد فر نومي وفر صبري * فقال لما عشقت فرا

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين)
حبي المزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبي * بكاس راح وبطه

(في مليح قصاص) أشكو الى الله قصاصا يجر عنى * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص يوما فقلت له * أيضا تقص علينا أحسن القصص

(في مليح صياد) ومولع بفخاخ * يمدها وشراك قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكى

(في مليح رامي بندق) وأهيف القد ذى دلال * طائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال * يرمى الى البدر بالكواكب

(وقال آخر في راع) أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيعني بالجدي ناديته * ما القصد يا مولاى الا العناق

(القيراطي في مليح طحان)
حسن طحان سباني * بلحاظ وبقامه * خاف من واش فاضحى * يجعل الغمز علامه

(القاضي بدر الدين البلقيني في تراب)
رب تراب مليح * أورث القلب عذابا * قلت لما أن بدا لى * ليتني كنت ترابا

(وقال آخر في مليح عوّام) ياحسن عوّام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بان * يريهم الارداف ان عاما

(ابن نباتة في مليح حبشى) بروحي مشرط على الخد أسمرا * دنا وفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وله أيضا) ومن عجب تدعى للطفل سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر

أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بألبانها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين (وقال الاصمعي) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول يامن يجيب دعا المضطر في الظلم
ياكاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت ياحي ياقيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا
فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم
ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول ألا أيها المقصود في كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يارجائي أنت تكشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي أتيت باعمال قباح رديئة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي أتحرقني بالنار ياغاية المنى * فاين رجائي ثم أين مخافتي ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي

وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخداك ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر فيمن به صفرة) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد)

وزائر قال قلبى * لا طرف بالطرف شاهد * مدحته فتجنى * تيها على بزائد

(وقال آخر فى مليح أرمد) شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه) تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمى محبيه باسهمه * فياله من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبى حجلة فى أعور) ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين باسرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر فى مليح راهب) رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

(القيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق فى حسنه وتما وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(آخر فى مليح اسمه حمزة) متى يبدو لحمزة مابقلبى * ويرثى لى وينظر فى بلائى
وأشفى بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائى

(وقال آخر) كلفت به ولم أبلغ مرادى * غزال قد تحكم فى قيادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه * وفى معسول فيه وفى فؤادى

(فى مليح سروجى) فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجى
اذا جذب الغرام له عنانى * يلذلى الركوب على السروج

(وقال آخر فى مليح محموم) قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذى كنت فى حمائه السببا
عانقته ولهيب النار فى كبدى * فاثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لابى نواس فى مليح ألثغ) ومهفهف دنف الصبا ذى لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح
قبلت فاه فقال لى متخوفا * من كاشح متمرد للا باشا اتحى

(وقال فى مليح خباز) ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال فى مليح حائك) وحائك باصاح أبصرته * كالبدر فى كفه ماسوره
فلم أرح الا ورجى لما * عاينت فى كفه ماسوره

(وقال فى مليح لاعب شطرنج) لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال) تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وأنشدنى مالى أراك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

(فى مليح خياط) خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

(وقال غيره) فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس

الله تعالى عنهم أجمعين فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبدك الاصمعى سيدى ماهذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات يا أصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون انتهى (وكان) أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان ابن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا وورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت ياخالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال اخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم

الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فالله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصي والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبناء عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال المنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهم جميعا (وحكى أن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن

تراه على الكرسي للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسي

(الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه)

لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء بقلع ضرسك بالمحال
أعاق القلب في كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

(وقال في مليح سلم عليه)

تنبأ فيك قلبي فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بي * وقالوا ان معجزه محال
وقد سلمت سلمت البرايا * الي وقيل كلمه الغزال

(وقال في مليح يرمي بالسهام)

وظبي بشعر فوق طرف مفوّق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنا بأنجم

(وقال في مليح يضرب بالعود)

فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه في فيه

(وقال أيضا فيه)

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال في مليح مشبب)

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأي الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر

(وقال في مليح ساق)

وساق من بني الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

(وقال أيضا في رسول مليح أتاه من عند من يحبه)

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله * يا طلعة الشمس الذي
جاء الصباح دليله * لم يبد وجهك قبله * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتني * بل الفؤاد غليله

(في مليح قارئ)

نفسي الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا في المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبي وتضني كل صب مدنف
فتلا علينا جل سوره يوسف * وجلا علينا مثل صورة يوسف

وقال آخر في مليح مكمل العذار * وكامل العارض قبلته * فصدني وزور من قبلتي
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت مستكثر في لحيتي

(وقال آخر في مليح حجام) كانت يحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواطي
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل في الالغاز)

(في غزال) اسم من قد هويته * ظاهر في صروفه * فاذا زال ربعه * زال باقي حروفه

(في كوز فقاع)

ومحبوس بلا ذنب جناه * له في السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

(في زربوزة)

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تأكل

(وقال في طاحون) ومسرعة في سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشي ولا تتعب

وفى سيرها ماتقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لاتشرب
ومافطعت فى السير خمسة أذرع * ولاثلث ثمن من ذراع ولاأقرب

(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن مالذ قط الشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مذخورة للنوائب

(فى دواة أيضا) وما أم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاع فى أماكنها رقود

(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بلغزه ولايتكلم

(وفيه أيضا) بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولاقلب ولاهو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ماحركته الاصابع

(وفيه أيضا) وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مطووما كما كان تحتمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

(فى مرملة) معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكى دماء على ماسطر القلم

(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير باثح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين مادمت تبصر

*(فى سلطان حسن لابن أبى حجلة)

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان * تصحيفه أمسى حبيبا كلما
صحفت أحرفه بحسن بيان * لوجادلى يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

(فى شبابة) وما صفراء ناحية زان كن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب * تصيح لها اذا قبلت فاها
أحاديث تلذ وتستطاب * ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

(وفيها أيضا) ومقروحة الاجفان مثلى شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذاك محرم * ولاحرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطيها القوم تصرخ صرخة * يلين لها القلب لو أنه صلد

(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثمالينظرها شزورا
وتحمله فيها فى كف حاملها فقل * اذا شئت فى اليمنى وان شئت فى اليسرى

(فى دملج) الى النساء يلتجى * وعنده ن يوجد الجسم منه فضة * والقلب منه جامد

(فى خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

(فى شعر اللعبة) وذى عدد كالرمل سام محله * جليل على كل الملاح له حق
يحاذر من يوشى ويرهب باسمه * وفى قلب هرون له الملك والحق

(فى التين) أى شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين كيف لايبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين

(فى الموز) ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا

تلقاه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الالانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجار بى فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لايخزينى فى ضيفى فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لابد أن ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد ابن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبى أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما نحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد

وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك (١٨٤) ان تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى (حكى أبو علي المصري) قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الي زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي (في
وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها * وفارقتم الدار الانيسة فاستوت *

تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

(في جوزة) من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان اينع قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه اشده قصده

(وفيه أيضا) اسم الذي أنا أهواه وأعشقه * وطول دهري أخشى من تجنبه
تصحيفه في فؤادي دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

(في ساقية) وجارية لولا الحوافر ما جرت * أشاهدها تجري وليس لها رجل
وترضع اطفالا ولا هي أمهم * وليس لها ثدي وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكي اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

(في زر وعروة) وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

(في راوية) وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرد يد
ولون لها مثل لون اختها * وثنتاهما واحد في العدد
وتحبل في الوقت هي واختها * وفي ساعة تضعان الولد

(في شطرنج) يا ذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة دائما * ثلاثة منها له شطر

(في فيل) أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان وانقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لي ثلثاه

(في بجع) ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب منقاره في بطنه * والعين منه في الذنب

(في نار) وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر * يمد لسانا يختشي الرمح باسه
ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر * يموت اذا ما قمت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فنم عنها ونبه لها عمر

(وفيها أيضا) وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

(في يد الهاون) قل لي فما شيء يرى نائما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفتول الرأس قوي الجنان
يسمع في القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

(وفيه أيضا) خبروني أي شيء * أوسع ما فيه فمه * وابنه في بطنه
يرفسه ويلكمه * وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

(في خشخاش) وماقبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكي الملاحة بالطرف
وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عمدا على راحة الكف

(في كوز زير) وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

* رسوم مبانيها وفاح كلاها كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لاتصيب كراها ولو كنت شحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا
بعد كم بدماها براني بساما خلتني يظن بي * سرورا وأحشائي السقام ملاها وكم ضحكة في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو

(في اسم علي) اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره ان فاتني أوله * فان لي في آخره

(في موسى للصفدي) وما شيء له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلاقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

(في حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى)

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثها ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم

(وقال في سمرقند) وما اسم سداسي اذا ما حذفته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتي به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر * وثلث رعاك الله يا صاحبي له
على مدد الايام نشر معطار * وفي نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا اذا اللغزان كنت ذا حجى * فليس على ذي العقل لغز معسر

(وقال في كمون) يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شيء قل في سومك
تراه بالعين في يقظة * كما ترى بالقلب في نومك

(وقال في قالب الطوب)

وما آكل في قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

(في العين) وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفي من ذلك ما أشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها (وانذكر) ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

(فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح)

(لابن المبارك) قد أكحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

(دور) أميل له فلا عل * يحول وعنه لا أحول * أقول اذا زاد بي النحول
أما حل عقد الصدود يحل * ويرحل عن نجم المزحل

(دور) كم أبعد وكم أبيت مكمد * ويعمد هجره لا نقد * وأجهد لا انصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * نحل والوعد منه ماحل

(دور) متوج بالحسن هذا الابلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه الادعج
مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر مجمل

كشفت غطاها رعى الله أياما بطيب حديثكم تقضت وحياها الحيا وسقاها فما قلت ايها بعدها المسامر من الناس الا قال قلبي آها (قيل) لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا اطعم ضيفاني الغاثت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا فوقفنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فاني لا آخذ على اكرامي ثمنا وان لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال اذا قدمت واسط فائتنا ان شاء الله

 تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا
أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الى يزيد وقال ايه

باعقل فقلت أفاض القوم فى ذكر الجوارى * فاما الاعزبون فلن يقولوا قال انك لاتبقى عزبا فلما رحت الى منزلى اذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تاذن لى فى الرجوع فاكبت عدوى وأسر صديقى فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغننى أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالنى من فضله مالا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فامر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضى الى أم فلان أخبرها أنى قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف اخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال انه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذو والحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما السرور بعد عزك بهجة * وما الجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التى جمعت لنا ودع الحجاج ولحمى يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق

(دور) برغمى من يستحل ظلمى * ويرى بحر به لسلمى * وجسمى من التزام سقمى
منحل وقد غدا امر حل * فمن حل سفك دمى وما حل

(دور) قلانى واشتط ذا الفلانى * غزانى بطرفه اليمانى * ترانى أنشد لمن يرانى
قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذحل

(لابن سناء الملك) كلى يا سحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك المنعطف الجدول

(دور) يا سماء فيك وفى الارض نجوم وما * كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهى ما تنهطل الا بالطلى والدما
فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

(دور) تنقد كالكوكب الدرى للمرتصد * ويعتقد فيها المجوسى بما يعتقد
فاتئد يا ساقى الراح بها واعتمد
واملى حتى ترانى عنك فى معزل * قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور) لا ألم فى شرب صهباء وفى عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا أهيم الا بهذين فقم يا نديم
واجل لى من أكؤس صبرت من فوفل * ألذ لى من نكهة العنبر والمندل

(دور) خذ هنى واعطانى كاسى مثل كاسك هنى * واسقنى على رضاب الفطن الملسن
والهنى ببعض ما صيغ من الالسن
لو تلى مدح سناه مع رشا أكحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسبيل

(دور) أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت * أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت لها طالما قد قصرت
طولى يا ليلة الوصل ولا تنجلى * واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

(دور) من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم * فالاثم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة والحسن لم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الاكحل

(وله أيضا) ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

(دور) لقد أسرفت فى هجرى وصدى * بلا سبب سوى كلفى بوجدى * وماذا فى سلو عنك يجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

(دور) لئن شحيت عنى بالسلام * وطيفك قد جفا جفن المنام * فقد جادت باربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أشف به النحول

(دور) لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم * فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يلم بها نزيل

(دور) تلقته الموالى والموالى * بالحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هنالك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

(وله أيضا) شمس المحيا أم القمر * أم بارق الثغر يا بشر أم الهاء حفه الخفر * بطرز خديك مستطر
(سلسلة) قم تباها تباها ولا تلاها
(قفلة) فكل أحبابنا حضر * والعود يشجيك والوتر
(الدور) أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى

بدر بدا فى دجى الشعر * قد دلّنى حبه سهرى

(سلسلة) ذاتجلى وقد تجلى عليك يجلى

(قفلة) تحير فى وصف الفكر * والعقل والسمع والنظر

(الدور) فهات حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب

اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

(سلسلة) فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

(قفلة) الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

(وقال رحمه الله تعالى)

والنسيم السحر هل للمخبر * عن عريب همو بالمنحنى * فارقونى ولم أقض الوطر

من لقاهم ولا نلت المنى * قلت يا قلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا

ما كتمت الهوى الاظهر * من شهود المدامع والضنى

(دور) ايش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك

راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك * لست ألقى لدائى من طبيب

غير رشفى حبيبى من لماك * لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

(دور) ياقمر فوق غصن من نقا * اتخذتنا مطالك والصدود * يارعى الله ليلات اللقا

ليتها يا خل يوما لى تعود * ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود

صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

(غيره) جلت مذ سارت الحول * وجدا مضى العمر وهو باقى

(دور) ساروا وسار الفؤاد لكن * جسمى مقيم على المساكن * وعنى الحب صار ظاعن

ما لى لوصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

(دور) وغادة كالقضيب قدا * والورد والياسمين خدا * كأنها البدر اذ تبدى

وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

(دور) هونا أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا * فقلت شمس تزور ليلا

ومادرى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

(دور) وسدتها ساعدى لسعدى * وبت أرعى رياض ورد * وخمر ريق كذوب شهد

لو ذاقها مدنف عليل * اعاش والروح فى التراقى

(دور) لما رأتنى أذوب سقما * ومن ورود الرضاب أظما * قالت كمت الخدود لثما

ما يشتفى مثلك العليل * بغير لومى وشيل ساقى

(فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت)

(لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى)

أهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق

تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثناياه وبينى فرق

(وقال أيضا) أهوى رشأ كل الاسى لى بعثا * مذ عاينته تصبرى ما لبثا

ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

(وقال أيضا) عرج بطويلع فسلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى

واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

هذا الذى خدشت منها سامعتك من دخولك عليه فاخذها وانصرف (ومر) يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بعجوز اعرابية قد بحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهى لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى (وقال أبو العيناء) تذاكروا الاسخياء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن داود أسخى منهم جميعا وأفضل (وسئل) اسحق الموصلى عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفى يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى عن والد بعد والد (وفى الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة رأيت بها غيث السماحة ينبت فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت (وفى محمد يقول القائل) سألت الندى والجود مالى أراكما تبدلتما عزا بذل مؤبد وما بال ركن المجد أمسى مهدما فقالا أصبنا بابن يحيى محمد فقلت فهلا متما بعد موته وقد كنتما عبديه فى كل مشهد فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لاصون وجهه عن المسئلة (وجاءه) رضى الله تعالى عنه اعرابى فقال له يا أمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى أن أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير

(وقال أيضا) روحي لك يازائرا في الليل فدا * يامؤنس وحدتي اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

(وقال آخر) ياشمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لوفعلت ماشئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

(وقال آخر) أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واوصدغه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

(وقال التلعفري) قلبي ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فسرت لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

(وقال المنشد) احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعد خالقي الاهو
ان أبعدك الزمان عني حسدا * مولاي خليفتي عليك الله

(وقال آخر) ان جئت ربا الحمى وتحت نجد * فاذكر وأهي وما جناه البعد
قد كنت أقاسي الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

(فصل في الفن الرابع وهو الزجل)

(حمل للبغاري) قل لغزلان وادي مصر والشام يقصروا اذا النفار لهم أجعل حشاشتي مرعى وفؤادي قفار

(دور) مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لوعيون نجل سود وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قده قد الاغصان جهار وذا بدر الكمال قد ظهر في الليل وذا شمس النهار

(دور) ندر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود وتخضب نفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم ياعشاق لكم قلنا والمسود راح بنار أنتم التفاح وما نقصد منكم الا الخيار

(دور) وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الاخلاق في الحلاوة مباح احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفي الالفاظ والظرف والمعنى ليس لاحد صار وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

(دور) حسن حي الفراريجي فرحه بدر في السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر رد جفني بنار وجفاني وخد بياض جسمي خلطوا بالصفار

(دور) وقع الطل خط بالابيض في اخضرار الطروس
قم ياساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس هاتها شمس راح شمول فرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار قد جلوها في كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

(دور) خمر فيه سر لوجعل أشياف رد الاعمى بصير
اقطع القطاف أسود يحاكي الليل شفق أحمر بصير ياترى ذا السر في كرمه أو يكون في العصير
وترى النور داعليه يلمع ذاك من ايش استنار وكذا الكاس يحاكي ياسمين من كساه جلنار

(دور) فهو عطار عندو شراب هندي وبراني جفاه
كل من مص من اسانو ريقو يلتقي فيه شفاه ورد خدو حبتو سودا شبه خال في صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبي والكبار والصغار في المحبة غار وأعلى حسنو وكل من حب غار

(دور) دور وفي الملاح على كعبي ونصو النصوص

فقال ياقنبرا كسه حلتي فقال الاعرابي كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا ايه أباحسن قدنلت مكرمة *
ولست تبغي بما قدمته بدلا ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا لا تزهد الدهر في عرف بدأت به *
كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا فقال ياقنبر زده مائة دينار فقال ياأمير المؤمنين لوفرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه ياقنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وسئل) اسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ياابن علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم (وشكا) سعيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان مولى ابن شهوان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني ياأمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك تهجو سعيدا قال ياأمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك قال فأتيت ياأمير المؤمنين سعيد بن خالد
فذكرت له حالي فقال ياجارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لي في زاويته مائتي دينار فخرجت وأنا أقول أباخالد أعني بلا
بسعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبوه خالد بن أسيد عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى

* فان مات لم يرض الندى بعقيد ذروه ذروه انكم قدر قدر غو * وماهو عن احسانكم برفود فقال سليمان قل ماشئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود * بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ما

سد فقرا فهو محمود فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله (ودخل) طلحة بن عبدالله ابن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل فذعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مئة فقال هى لك فقال يا طلح أنت اخو الندى وعقيده * ان الندى مادات طلحة مات ان الندى ألقى اليك رحاله * فحيث بت من المنازل بات (ووفد أبو الشمقمق) الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج بباب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال واقد قدمت على رجال طالما قدم الرجال عليهم فتولوا أخنى الزمان عليهم فكانما كانوا بارض أقفرت فتحولوا فقال أبو الشمقمق الجود أفلسهم وأذهب مالهم فاليوم ان راموا السماحة يخلوا قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام ثلاث السنة واسقاط ماعليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكى

بلادعوى التف لف اليسير فى هواهم خصوص وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ماراوا خاف له هموا واصطبار قمر ونى فى عشق هذا القمر والمحبه قمار
(دور) لحبيبى ثغر من جوهر والشفاه عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق وخدود وردمن غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت أهداب غزار فى صناع وجهوا نزه طرفى عند خلع العذار
(دور) فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لاترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف وعجب من النهر اذ صفق لو من الموج كفوف
والغيوم نغمت وحين جا النسيم طار أعلى مطار باختلاف الالحان يحرفى الروض صاح على عود وطار
(دور) أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الما الزلال
ولوأن النبات جميعه أقلام والمداد البحار والخلائق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار
(دور) خلف أستاذى الفن ماينطاق ذاق عداه المنون
مابعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار مرفوع فوق روس الكبار وأهل الفنون تجرى وماتلحق للغبارى غبار
(غيره الناصر الغيطى)
كنز روضى طالبو سعد ياخليع قم فى دجى الاسحار تلتقى در الندى برهج فوق فصوص غرائب النوار
(دور) كنز روضى نزهة الطالب جوهر وبين الندى برهج
ولجين الماء بينكسر ياخليع هيا نعا اتفرج بين غناير نلتقى الخلع كل أحد مع الفو يدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وماو أطيار فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده حكت لنا دينار
(دور) وترى الياسمين بحال فضة ضربت لاهل النزه صلبان
والشحارير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان وكذ الكتان وهو أصفر بعد ما أزرق للناس بان
والنجات بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار والقطيع الراهبى يحكى لشماس لابس الزنار
(دور) الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم بعشق
داحبيب قلبو عليه راضى ودا محبوبو عليه يشفق والهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشنق
والمليح عندى وأنا مطمن وسط روض ازهرها معطار فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح فى نار
(دور) وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور أنغام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كثر وجده هام والنخيل باكمامها ترقص وأقبل الريحان بحال أعجام
والعصافير شيخهم زيق لوطريق بين الازاهر طار والبلبل بالغنا يشجى فكانو ناى أو مزمار
(دور ناصر الغيطى) ياأخلايا صحبت انسان أنكر الصحبه وعادانى
وبغضى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى فى بلادقبلى وأرض الشام يشكرونى سائر أقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لوتذكار والبلط بوقع لوتعلق مايحصل شئ مع الشطار
(للغبارى) جار حبيبى فقلت ذا الحجاج جايب جور أو يزيد
لوعدل عشت بوسرور ويكون الرشيد
(دور) اقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار كنت أحسب قلب معو ريس غر تؤذى البحار
صحت لماوحات يامحبوب بحر عشقك يزيد خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

عن أبى العيناء انه قال) حصلت لى ضائقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال يا أبا العيناء

بالالهة والحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فأنشدته لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * ففي العلا لك أخلاق هي السبب فقال يا سلامة انظر أي شيء في بيت المال دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الاعمش) كانت عندي شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ وحكى أبو القدامة العشيري قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتي به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادي بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب) ما حكي أن قوما من العرب جاؤوا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر في المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعني بعيرك بنجيبي

(دور) أنا يوم في الغروق باتفرج على شط الغدير
اذ رأيت عا الشط واحد واقف شب صياد صغير نظرت مقلتي الى منظر ما حسنو نظير
قلت يا عيني ان غزلك الصياد بالجمال الصيد يوقعك في فخاخ شباك عشقو وكراكي يصيد

(دور) من نحبو حديد حبيب قلبي يوم صدفتو وصدف
قلت ابن يا قاسي ان دمعو سال وحالو وقف دار وقال لي ما الاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال عليا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد في الحقيقة من لا يكون داود ما يلين لو الحديد

(دور) لك عوارض في الخد مرقومة ليس لها من مثال
وجفاك صار حاجبي وباب وصالك كان وكان يا غزال وأنت دوبيت موشح القاما يا عز الدلال
ولك ألفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد

(دور) عن محرم شربنا صمنا ونفطر بالثمار
حين وجدنا فصل البستان يذهب الاصفرار وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
في ربيع حزر أى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

(دور) من لهيب مدمعي جرى الطوفان للهيب ما طفي
وأنا هو الغباري في العشاق ما جرى لي كفى حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جا وأبو يزيد لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

(غيره) حين سكنت القلب يا عيسى أمسى من بعدك الحزن فرحان
وتقدس بك ولكنو ما جرت فيه يا ابن عين سلوان

(دور) عارضو لما نبت في خدو غرت من وجدي بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو أحرسو وكون عليه ناظر بعد حين نظرت في خدو الشقي العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقة جيت لطرفو قلت يا كسلان هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني أنا نعسان

(دور) بدر شعبان منيتي لما في بروج السعد لاح نجمو
قلت لو اقضي بفيض دمعي الطاقو واجراه على رسمو قلت لو دام الله اطلاقك فالحزن قلبو المشؤوم قسمو
ايش قد أذنب حين قطرتو دا تغلط قول بالبهتان
قال لي صوم عن الوصال ناديت ايش أصوم يا بدر في شعبان

(دور) حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسباني
ضحك فايض وابتسم واسوداد شعري وأبكاني وحين أضحيت باصفراري لوني أشعث أغبر في هواه عاني
قال لي لونك قد صبح حايل وقد أبصر مدمعي طوفان ذقت تبريح الغرام ناديت في هواك ذقت الهوان ألوان

(دور) قلت لو حين عني تخلف الله كن لي يا رشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك وتجري اليوم على خدي دار الى انسان مقلتي قال لو أنت ما عندك نظر بعدي
ما ترى ما قد جرى منك على الخدود وقال لو أيا فتان جرى الما من تحت بعدك راقب الله فينا يا انسان

(دور) ذا الغزال النافر الانسي * للغزاله قد أعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور وبخمر الدن قد عربد وادعى اني أنا المخمور
وابتسم لي عن نقا ثغرو وخطر والبشر قبابان صحت يا قلبي صفا وردك أنت ما بين النقا والبان

(للصفي الحلي) أنت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

(دور) أنت شاما بين الانام الله يحرس شمايلك

قد يزيدك

وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فانشد شعرا يقول فيه سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا اننا العبيد فقلت ومن مولا كما فتطاولا الى وقالا خالد ويزيد فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول كريم كريم الامهات مهذب * تدفق كفاه الندى وشمائله هو البحر من أى الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله جواد بسيط الكف حتى لو انه * دعاها القبض لم تجبه أنامله فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب وأنبت ريشا فى الجناحين بعد ما * تساقط منى الريش أو كاد يذهب فانت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبى ما أخذت وانصرف (وجاء) الى خالد بن عبد الله بعض

ويزيدك بالدوام كى نعيش فى فواضلك ماينطوى ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين قد بقينابك فى أمان الله يحييك طول السنين
(دور) مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم
كل من جاليسالك ليس تقول له سوى نعم أملك أنت أوملك ضاعف الله لك النعم
أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين درغيثك فى انسجام عم كل السائلين
(دور) لاعدمنا كل صوم ذا السحور رفيك والهنا
كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى
(دور) حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين
(غيره) خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم ثغر معشوق الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم داللى قدهواه قالبى صاد وبا ويا
مليح مارأيت مثله ظا وبا ويا ماحلاه عندما يلبس قاف وبا ويا
ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خا ولام وصاد وأصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال اعدل فى الذى صبرو نون وفا ودال
ولا تهجر العشاق باوعين ودال ماأفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

(جمل فى الالغاز)

(المطالع فى العين)

وماطير أكلوا الجر يا كرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح
ولبس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح
(دور فى السراج) ومابحر ماهو ماوفى الليل يزيد * وينقص ولاهو خوض ولاهو غريق
وفيه شئ صفات حبه بلا وكر استفيد * لها جوهره فى فهايار فيق
بلاشك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن اذا جا الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

(دور فى جوزة الكنافة)

وماهى التى تركب على ستين ألف * ومامثل ذاك فسرلنا ياخبير * مليحة وقصفة وتلبس ترف
وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير * لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير
لها خل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز فاتو ومن غير مزاح

(دور فى الغربال)

وماهو الذى يا معدكله عيون * ولا يعقل ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب صلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيى أصول الحيا
اذا غاب عن أهله فرد يوم مايهون * ولا حد يعوض موضعه لو عيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكايد عجايبه فى المسا والصباح
ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

(الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى) فمن تلك الاربعة واحدة (لصفى الدين الحلى)

الشعراء ورجـله فى الركاب وبدا الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشد يقول ياواحد
العرب الذى * ما فى الانام له نظير لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير فقال ياغلام أعطه عشرين ألف دينار فاخذها وانصرف

يا طاعن الخيـل والابطال قد غارت * والخصب الربع والامـواه قـد غارت
هو اطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضوائك قد غارت

(وقال أيضا) ـل ء قلتيك الكحال عن ـلا سلها * ومر شفيك من رشف نهاـلا سلها
وعارضـيك التى مدت سـلا سلها * كم من أسود ضوارى فى سـلا سلها

(وقال آخر) قد أوعـدونا الغضا بأننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالثمر نخـلو
والعاذل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومـن كلام الاعادى قط ما نخـلو

(وقال آخر) قسماً وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بسجدها وجامعها
لوحـل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)

قوم اسـقنى ما تبقى فى أباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقو * سـقى المدام وان عزت سقى ريقو

(وقال) البارحة رأيت بعينى فى الدجاجين * اثنين مثل البدور وفى الدجى جبين
ناديتهـم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعـدنا فى الخفاجين

(وقال) قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكـدر قلب من حبك * ماظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

(غيره خرى عاطل) كاس الطلا طالما طال السامر * وصار السامر احوى خمرا مكمل در
مدام لوطـعم كامل لو ماهو مر * ماحل مملوك الاسرار مال الأسحر

(غيره حربى) لك يا امام الوغا فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفنى وكفك لا تعل الضرب

(الصفى الحلى فى المدح)

أغنت وأفنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعـد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب يفرج وهذا قدرمى فى الكرب

(وقال أيضا) من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ماجـدت الا وثغرك مبتسم بازين * وذاك ماجاد الا وهو باكى العين

(وقال فى التهنئة)

رأيت ذا العيـد أول يوم فى عصرك * ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
ورأيت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

(فى المعاتبة) عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تناسيت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضا) يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نخن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقـرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر) حلف عليا حكاره أن يقاطعنى * وصـد عنى وأقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعنى * ان كنت آنا الطالق لا يراجعنى

(وقال آخر هجوا)

قطع قفا ابن اخت خالك وابن أخو عمك * والحق بصفع أبو بنتك وابن امك
وان تكلمت تصـطع بل يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

(وحيث ذكرنا) نبذة من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء (فمن ذلك) أن رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثـل ذلك ثم التفت الى ابنتـه فقال لها ما أكثر السؤال فى هـذا المكان فقالت يا أبت مادمت متمسكا لهـم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا أم قـلوا (وألام اللئام وأبخلهـم) حميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله من قصيدة ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد اظفور (وقال فيه أيضا) تجهز كفاه وتحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليـه الانامل (وأكل) اعرابى مع أبى الاسود رطبا فاكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الاسـود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزل من السماء ما تركتها (وقال اعرابى) لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم

وللعمدونى رأيت أبازرارة قال يوما * لحاجبه وفى يده الحسام لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاختطفن رأسك والسلام (وقال
فقال سوى أبيك فذا الشيخ * بغيض لبس يردعه الكلام فقام وقال من حنق عليه * بيت لم يرد فيه القيام أبى وابنا أبى والكلب عندى *

(وقال آخر) ان ردت تسلم بطول الدهر ماتبرح * لا تيأسن ولا تقنطوا ولا تفرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك فتذكر في ألم نشرح

(وقال آخر) ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع أذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

(وقال آخر) يا قلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عد وعن قصة السلوان لا تخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ما خاب الذي يصبر

(الفن السادس كان وكان) له وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثاني
فمنه هذه الوعظيات

يا قاسي القلب مالك تسمع وما عندك خبر ومن حجارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك في كل مالا ينفعك ليتك على ذي الحالة تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل فكيف يا متخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه يا فتى وافهم مقالي واستمع في المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلم وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولي ونصحي لمن تدبر واستمع مافي النصيحة فضيحة كلا ولا انكار

(وقال أيضا)

صرح بذكر المحبة مافي المعمى فائده وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر أنا عاشق لحبيب كل المعاني فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسي وان حضرت نديمي وان شربت مدامي فالكاس هو ساقيه
فمنه روحي وراحي اذا سكرت وراحتي وفيه عزي وذلي بمهجتي أفديه
قولوا لمن يلحاني في الحب قصر واعتبر هذا الذي قد عشقته قد حار وصفي فيه

(الصفي الحلي)

شاهدت في الليل طيري وقت حتى انصب شركي ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيري الذي كان الفي لو ردت مثله ما حصل وهو على معود وانا عليه معتاد
قد كان شرطي وخاتي ابرج غيري ما عرف كاننا في الصحبة جينا على ميعاد
من قبل ما أبصبص له يجي ويدخل صوري وانا أرصده في مطاره خائف عليه ينصاد

(وقال آخر)

ماذقت عمري جرعه أمر من طعم الهوى الله يصبر قلبي على الذي يهواه
الناس تعلم مني حال الجلادة والقوى وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لي حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه ما أكثر مغابن حبيبي وما أقل وفاه
أنا عارفته وحظي وكل ما احسن لو يسىء لو كنت أعشق ظلي ما كنت قط أراه

(وله في الفراقيات)

يا سادة هجروني وهم نزول بخاطري لا أوحش الله منكم في سائر الاوقات
أوحشتم العين مني وأنستم في خاطري والقلب في النور منكم والعين في ظلمات
قد انتهى الصبر مني وما بقي في قارمق هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالي يلوح كالشبح الخفي أعد بين الاحيا وأنا مع الاموات

الكتاب انها صدرا
فقبلها عشرا وشام بحبها
فلما ذكرت الهرطلة ها عشرا
(ومن أخبار البخلاء)
ما حكاه بعضهم قال كنت في
سفر فضللت الطريق
فرأيت بيتا في الفلاة فاتيته
فاذا به اعرابية فلما رأتني
قالت من تكون قلت ضيف
قالت أهلا ومرحبا بالضيف
انزل على الرحب والسعة
قال فنزلت فقدمت لي طعاما
فاكلت وماء فشربت فبينما
أنا على ذلك اذ أقبل صاحب
البيت فقال من هذا فقالت
ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا
ما لنا وللضيف فلما سمعت
كلامه ركبت من ساعتي
وسرت فلما كان من الغد
رأيت بيتا في الفلاة فقصدته
فاذا فيه اعرابية فلما رأتني
قالت من تكون قلت ضيف
قالت لا أهلا ولا مرحبا
بالضيف ما لنا وللضيف
فبينما هي تكلمني اذ أقبل
صاحب البيت فلما رآني
قال من هذا قالت ضيف
قال مرحبا وأهلا بالضيف
ثم أتى بطعام حسن فاكلت
وماء فشربت فتذكرت
مامر بي بالامس فتبسمت
فقال مم تبسمك فقصصت
عليه ما اتفق لي مع تلك
الاعرابية وبعلها وما سمعت
منه ومن زوجته فقال لا
تعجب ان تلك الاعرابية
التي رأيتها هي اختي وان

 بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت ببعض طرق الكوفة
فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب

دارى أتجمل بها خفاه هذا فاخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذى اشترى الرأس وقال رجل من البخلاء لاولاده اشتروا لى لحما
فاشتروه فامر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة

ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم ايش ضر لوكان جسمى من جملة التبعات
مامر ماريت ضدى يقول لى من فرحته هنا تشق المرائر وتسكب العبرات
لولم أسلى روحى وأرض نفسى بالمنى لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين أطعانكم أخفض جناح المذله وأرفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا أقطع الدمع منى وأصعد الزفرات
ماأطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه وماأقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت وسيآت الاعادى اتبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكمو ويفعل الله مايشاء والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ماقاله قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات أنا بنى ابن نقطه * تعيش أبويا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

(ومنها للصفى الحلى)

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور بالبيض والصفر يسخو * وقد جاس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور يسمع ولا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور أشرافها فى المعاجر * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيرى يلازم الصدور * وأنا عليكم أدور وأصطلى الصدود وأنا * من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور يصون سره والا * يبقى من أهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور ومن هتك سر حبو * يمحى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور ان ردت تلك وتظفر * ولذاتهم والحور
قم فابذل المذخور * وفى العطا لاتجور تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * وفى الهوى معذور يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولاتبيت مغرور واجعل تراب أعتابهم * لاجفان عينك ذرور
طرق المحبه وعور * كم بها مذعور من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم مغفور * كالظبى آنس نفور من أهل بدر دينه * ايش ماعمل مغفور

(ومن ذلك) مانظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد ولابرحت مهنى * بكل صوم وعيد

حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا ادع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط الوكها يا أبت والحسها حتى لايدرى أحد لعام هى أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت امصها ثم أدقها وأسفها سفا قال انك صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج اعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فاقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه اعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسال عن أهله وقال ماحال ابنى عمير قال على ماتحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة باهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الارض نباحا قال فما حال جملى زريق قال على مايسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يساله وقال يامبارك الناصية أعد على ماذكرت قال سل عما بدالك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أو مات جملى زريق قال نعم قال وما الذى أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وقال فى

في الدهر أنت الفريد * وفي صفاتك وحيد والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يا من جنابه شديد * ولطف رأيه مديد ومن يلاقي الشدائد * بقلب مثل الحديد
لازلت في تأييد * في الصوم والتعييد ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * وفوق جودك مزيد وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لا زلت في كل عيد * تحظى بجد سعيد عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد ولا برحت مسوقي * كما يوقى الوليد
ما زال برك يزيد * على أقل العبيد ولا برح جود كفك * منا كحبل الوريد
لا زال برك مزيد * دائم وبأسك شديد ولا عدمنا نوالك * في صوم فطر وعيد

(ومما قيل في فن الحماق)

أنا ماء بوري الحمام * لجسمي لكي ينظف الا لدمع جاري * على الماء ولا يوقف
وذيك المجاري تجري * ودمعي يسابقها تقول الانام في الحمام * له أحباب فارقها

(وقال آخر) نوى كل من نعشقو علينا يقيم أنفسه فالاه واترك هواه * وسدا طريق خلفه
وان زاد على عشقو وزادني الهوى والذل تركته ولو كان يحيي * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله في الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والسبعون في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول)

(الفصل الاول في النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم النساء بركة أحسنهن وجوها وأرخصهن مهرا فينبغي للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب في ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لا بد أن تشير علي قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بايهم تقتدي وقال رجل للحسن ان لي ابنة فمن ترى أن أزوجها له قال زوجها ممن يتقي الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطي ما لم يركب وأحب اللآلئ ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطي الي ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

دعبل) كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لاكره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله ما قلت عنده من يأكله انظر في أي مكان رميته فأتني به فقال لا أعرف أين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته قد رميته في بطنك الله حسبك (واشتكى رجل مروزي) صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدفع الآلام أتاه بعض أصدقائه فوصف ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة (وعن خاقان ابن صبيح) قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فاذا نحن بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا مخيطا فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد لا عودا ولا شيئا ونخشى أن يشرب الدهن قال بينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ

(فاجابته امرأة) ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

(وقال خالد بن صفوان) عليك اذا ما كنت في الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال له سل سليمان واخبرني بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر في أي شيء تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وانشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

(وقال بعضهم) وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدي وقيل ان جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فتزوج بها لك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لاولي الالباب مختصرا * صبية ذات دين زانه أدب
بكر ولود حكت في نفسها القمرا * غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التي أجلو لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهي ثابتة * أحاط علما بها من في العلوم قرا

(وقال آخر) مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

(وقال آخر) فاياك اياك العجوز وطأها * فما هو الا مثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروي أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان في المال قل فان المال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * ولما خطب عمرو بن حجر الكندي الى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أي بنية انك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكون لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا أما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصي له أمرا ولا تفشي له سرا فانك ان خالفت أمره

من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لا تتخذ مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين (وقال الهيثم بن عدي) نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف ضيفك قد جاء بزاده * فارجع وكن ضيفا على الضيف (وكان) أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدي فوزنتها فرجحت درهما فاشترى لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان * واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب الى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها اربعة دوانق (ومن الموصوفين بالبخل آل مرو) يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفران يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى او غرت جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق (وكان) عمر بن يزيد الاسدي بخيلا جدا اصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل

أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمني غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصيتها أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر

*وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى ياشعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت ومارأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن مارأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ماتيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينها قالت ان كنت كفأ ولم تقل كفؤا وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لاقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ماشأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال مابها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شئ صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ماأحب والا كان ذلك فلو شهدتنى ياشعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبسننى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لاعلم لى بأخلاقك فبين لى ماتحب فآتيه وماتكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ماأمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتنى والله ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لى وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا ومارأيت من حسنة فابثثيها ومارأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ماأحب أن يملنى أصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بأنعم ليلة ومكثت معى حولا لاأرى منها الا ماأحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك ياأبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا قالت أبا أمية ان المرأة لاترى أسوأ حالا منها فى حالتين قلت وماهما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاؤا فكانت تأتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية فمكثت معى ياشعبى عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لى جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت فى ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفى ألف فى السر وخمسمائة ألف فى العلانية فاجابه الى ذلك وحملها الى العراق فاقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك

مافى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به (وكان) المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادى فى طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال ياربيع أعطه نصف درهم فقال نصف درهم ياأمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة وأخبار البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية *(نادرة)* قيل لابى الحرث ماتقول فى الفالوذجة قال وددت لوأنها وملك الموت اختلجا فى صدرى والله لوأن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه لقيه بعصا *(ودخل)* ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعونى الى الفوز باكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ماالذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنما حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل القشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل (وسمع) رجلا يذم الزبد فقال له ماالذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه (وقيل) له ماتقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لوحشى بالتقوى والمغفرة ماأفلح (وصنع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى

ابن مروان وافدا نزل بدمشق فاتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها على عبد ثقيف يتخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه بكلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فادركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) ان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا لمال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فاي خير في اجتماع عمياء وأعور * وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفته فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق * فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير شيء يطلق * لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا * فتى طول عمري ما أرى مثله فتى
أكر وأحمى في الهياج وأصبرا * اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته وتولى فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فائذن له يا أمير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها الا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير فقتله عمرو بن جرموز بوادي

مثلها فاستعفاه فاقسم عليه فقال أولم عند كسرى فاقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس ان بعدها من الملوك شرفا (وقال) معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر) اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كان أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك (ودعت) أبا الحرث صديقة فدنت منه ساعة فجاع فطال الاكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداءك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر ابن عبد العزيز الى وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي كاعظم ما يكون سمنا قال عجل به فاتيته به كانه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذا قال هلم يا أبا حفص فقال اني صائم فأكله ثم قال يا شمردل ويلك أما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فاتيته بهن فاتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شيء قلت سويق كانه قراضة الذهب فاتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ما هو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر قدر فاتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وقعد يأكل مع الناس (ونزل رجل) بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب

السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لاحسبنى أنى لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة ابن سنان أترى أنى اخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث ثم قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استحمقنى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتنى وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ما طلبت قال فركب فى أثرهما قال خارجة ابن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمنى هذا أوس فى أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث اربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة ابن سنان فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أى بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان فى خلقى رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة عمه فيراعى رحمى ولا هو بجارك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة قال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بابنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فاجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فابتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله انى الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتى هيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن تهيئها وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذاك قال لما مددت يدى اليها قالت مه أعند أبى واخوتى هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث ان لحقنى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بى كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلى فقلت والله انى لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فاحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد أحضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك فى أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت أخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فان يفوتك ما تريد فقلت والله انى لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا باجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فاقامت عنده فى ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبى قال حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بنى سعد مرت به جارية لامية بن خالد بن عبد الله بن أسيد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فساله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا أساله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) أن زيادا أمر بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لى بك حرمة قال وما هى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولهن قال قل فانشأ يقول

زعموا بان الصقر صادف مرة
عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه
والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتم لقمة
ولئن شويت فاننى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده
كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج يامره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن فاذا

وسائلة ماحرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * امام رعيل الخيل أحمي حقائقي
أصبر نفسي حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فانشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فقالت من نسائك وأنشدته تقول

ألا انما أبغي جوادا بعزله * كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا ابلغ أم البنين بأننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة الجرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما وردعليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره مني السلام وقل له * غنينا وأغنتنا غطارفة المرد
اذا شئت أغناني غلام مرجل * ونازعته في ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأي والبعد
فعجل الينا بالسراح فانه * منانا ولا تدع ولك الله بالرد
فلا قفل الجند الذي أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما وردعليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى اعلم

واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا ابنته فاسمع يا حجاج مني ما أقول ثم قالت أحجاج اما ان تمن بتركه * علينا واما ان تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا أحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا
فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة (وحكي) ان رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن انه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع في أن يبذل له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر هم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فاشرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى *(ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم)* ما حكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغني ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تردوا

أعلم بالصواب

(الفصل الثاني في صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها الا أنها عظيمة الثديين فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفئ الضجيع وتروي الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لي أحسن النساء فقال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها في خالص العرب وفي خالص فارس * وقال حكيم عليكم بمن تربت في النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر * وقال رجل لخاطب ابغ لي امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعني لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفي مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عجزاء غامضة الكعبين معطار

خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

(وقال الاعشى) لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك في الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لاني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة وقال بعضهم رأيت في طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجي قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخود يجري وشاحها * تزف الى شيخ باقبح تمثال

دعاني اليه أنه ذو قرابة * بعز علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحي فان مدائحي * نوافق عند الاكرمين نوامي

نوافق عند المشتري الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخي وأبلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن بسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخي لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون * وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء فقال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته

(قال علي بن زيد في وصفه) حمرة خالطت صفرة في بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال علي بن عبد ربه) بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت

هذه الخرابات فاستتروا في بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندم وأنشد شيئا فائتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي جديد واذا بشيخ وسيم له جلالة ومهابة ووقار

قد أقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول ولما رأيت السيف جندل جعفرا ونادى منادي للخليفة في يحيى بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا مع أبيات أطالها ورددها فلما انقضى قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندي أيادي خضيرة أفتأذن لي ان أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثويبات لي كنت قد أعددتها

لاستتر بها من الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا

بصرك فيما زادك حسنا وقالوا ان أردت أن يحب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به فى ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) فى حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابى كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء واست فى الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشى السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس فى قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى * ولكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير) أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هى أعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذلك يقين

(وقال ابن بشار) رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما أن تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

أقدم وأؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو بعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد قد عذر خداه أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان ما بين المشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى أكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت ألتفت الى ورائى مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى اذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم أمرنى بالجلوس فجلست فقال لى ممن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتى به فقال يا بنى وقال

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال علي رضي الله تعالى عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل وقال السمعاني

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

(وقال غيره)

لا تركنن الى النساء * ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن جميعهن * معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله تعالى عنه لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ذل من أسند أمره الى امرأة * وقيل ان صيادا أتى ابرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخطأته شيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكر فاطلب منه الانثى وان قال لك انثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال ائتني بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ما شئت وقال عمر رضي الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر

(ومما قيل في الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضي الله تعالى عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان عاوده * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

(وقال آخر)

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الي وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانه اياها فأجابها يقول

أنا شيخ ولي مرأة عجوز * تراودني على ما لا يجوز
وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمني تأتيني بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها بهذه القتلة وعلي اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا واعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك أنه ليس في الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهي أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الخامس في الطلاق وما جاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد بن أخي الاصمعي قال قال عمي للرشيد في بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغني أن رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن

هذا رجل غريب نخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وأدخلني الى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت

اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطفوني فلما جاءتهم البلية

ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما

متنازعان وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الامن قبلك يا ولادة لامرأة من نسائه هي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق قال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا الطلاق لنسائك في ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلفة فيما لا يعنيك طالق ان أجازني بعلك فاجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعي وليسمع من حضرني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك في الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

(ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدي كانت تحت ابن الغربان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول) ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفي الليالي وفي أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فانشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يواتي * بموت من حليلك أو فراق

قال فاتاها أشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب فقال يا سيدتي أرسلني اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتي انه دفع الي عشرة آلاف درهم فهي لك وأعتقيني لوجه الله فقالت والله لا أعتقك أو تبلغه مما أقول لك قال يا سيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت فاخذه وألقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت

أتبكي على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظامة فقال لاشعب اختر مني احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدي ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله *ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت بها يميني * لكان علي للقدر الخيار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فانشد يقول

فني صبري وعاودني رداعي * وكان فراق لبنى كالخداع

أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم لزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال برد له كل ما استفاديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خرابا تهم وأندبهم حتى اتصل خبري بامير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر (ومن ذلك) انه خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فكشفت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين فنظرت اليهما ثم أنشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه يجول بهذا القبر يا فتيان

واني لاستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه وهو يراني

(ومن ذلك ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشا كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرباه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش تكفني بخمارويه به فاحذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له انت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي اني آخذ

تمكنني لو شاة فازعجوني * فيا للناس للواشي المطاع * فاصبحت الغداة ألوم نفسي
على أمر وليس بمستطاع * كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاي غير متعمدة لذلك كنت اعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا يقوى بدني على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاي ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وأنشأ يقول

يا شيخ يا شيخ من دلالك بالغزل * قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها)

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله تعالى عنه فاخذ لحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام * أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا
وكيف حياة أصداء وهام * أيعجز أن يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه انتهينا انتهينا * ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال * وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا * وممن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ما صنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه * وممن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال ما لي هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم * ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فاعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما يتنادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني

العهد على كل أحد عرفه أن لا يخونني في شيء فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى أحواله متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في أمور بيوته عليه فقال له يوما أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رآه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعدما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكرها للامير فأقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على نائبه لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي

بحالسنك وفاكانك ولم يوصلني الى ذلك الاعقلي فأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم عن شئ ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة * فلا تقربوا منها اذا لست بفاعل

فاني رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ

اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم

فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكنني بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائي) تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعي صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

(وقال الصفدي) دع الخمر فالراحات في ترك راحها * وفي كاسها للمرء كسوة عار

وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار في مدارع قار

(نكتة) اجتمع نصراني ومحدث في سفينة فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداءك انما هي خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي وحلف انها خمر فشربها المحدث عن عجل وقال للنصراني يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها الا لضعف الاسناد * ومن المجون في ذلك ما حكي أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال له خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وسخنا أيضا بارك الله ولذوق لحالة السكارى ثلاثة فرد حول رأسه فرقص وكلب هرش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال ابن مالك بمردس بن خدام الاسدي فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشرب وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بمعقول الكاهلي عقلي

قرعت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالي

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

* الفصل الاول في النهي عن المزاح)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح

فلما سمع الامير ذلك استشاط غضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقال على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شئ فلما ثمل بين يدي الامير وأخذ منه الشراب شرع في التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم وقال أنا ماض في حاجة الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير ففتح عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت

فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر و بذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى أمى لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فاخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
و يذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم) لا باس بالمزاح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالى أراك عابسا كأنك آيس فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بى و يروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال لا باس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل فقال يارسول الله احملنى على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لا أحملك الا على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى أبول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر أن أضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المسور هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس و يقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم و يبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع فى قلبى أن أتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى

الاعراض عن غلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السحة الجوهر فدعا الامير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فاعطاه (٢٠٧) اياها وأمر بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه (قلت) و يقرب من ذلك ما حكى ان ملكا من ملوك الفرس يقال له اردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا باس شديد وقد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أردشير فى جيشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقد اواعتد الافهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرنى فى جملة الاسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها ان يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فارسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو انى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فاخذها للتسرى

التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه مكتاج تصحيفه نك ناج فرميت الكتاب من يدى وحلفت أنى لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذى تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسا فى ليلتى هذه فبلغ بى ما ترى فقال ان بديعا مولاى أرقى الخلق منه فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديع ارق رجلى فقال يا مولاى أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتونى بها تكتبها لئلا يهيج بى الوجع بالليل فقال بديع الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بعد جيل جائزتى فامر له باربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتى الى بيتى قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

أألان ليلى العامرية أصبحت * على البعد منى ذنب غيرى تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها على فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) أما النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروى يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات * وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لا باس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين خرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ربما كانوا يرون القتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار * (ومما جاء فى لعب الغلمان) * ما حكى أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فاخذها فجعلوا يطلبونها منه فابى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فابى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول) *

* (الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) * خرج المهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع فى خباء

وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث فى يمينى باخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غايتى أبى وأنا غالبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت انك أقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما سمعت ولا تن هذا ولدك فى بطنى فلا ينهينك قتلى فعظم ذلك على أردشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى أن يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها امرأة ومحل الملك معها وهى أولى فى الستر ولا أرى فى قتلها أهون ولا أستر عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيئا فى البحر أوهم من كان معه انه الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك انى نظرت مولدى فرأيت أجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك هذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك ان يقسمه بين

اعرابى

اعرابي فقال يا اعرابي هل من قرى فاخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدري من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك في موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكني أمير المؤمنين قال فاخذ الاعرابي الركوة فأوكاها وقال اليك عني فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل * ووجد اعرابي يأكل ويتغوط ويفلي ثوبه فقيل له في ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا * وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قد قدم فقال والله لابددنه بالاسفار * وسمع اعرابي قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابي على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا للاخ فقال الاعرابي لا حاجة لي بافراجكم ان أطنابي طوال يعني سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع * ورؤي اعرابي يغطس في البحر ومعه خيط وكلما غاص غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها في الصيف * وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا فما تصنع قال أبول وأرجع أنام * وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج * وحكى الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حي من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي أعلم
فان كنت يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعي فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربي أن أصلي عاريا * ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فأعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا علي ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتي
فما لي ببرد الماء يا رب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يا رب في وجه صيفتي
وان أنا لم أفعل فأنت محكم * بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابي مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فقال الاعرابي أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من

أولادي بالسوية فانه ارثي الذي قد ورثته من أبي وايش عندي شيء أكتسبه منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب في عمرك وملك الملك ولا ولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير ان يجعل الحق عنده وديعة فاخذه الملك وودعه عنده في صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الادب في تسميته فرأى أنه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن في السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمي وضعفت قوتي واني أرى أني ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه بعدي من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما

شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندي حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان في الولد علامة تشهد بأبوة الأب في الوالد وعلامة تشهد ببنوة الابن

شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا أختاه ما زال الامام يامرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا علي وصلى اعرابي خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان في الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجده بعض الاعراب فقال له ما لك يا مجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد أن يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم * وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فانشد يقول

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * تراخت بلا شك مرابع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوي الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا يقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك في أنه كلب فقال انظر واما هذا فعوى عوي الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا فأقبلت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فامر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * وولج في عطيته السبابا
أما في مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لي هذ النصابا

*وحكى الاصمعي ان عجوزا من الاعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابي خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابي أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابي يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك في هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابي سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء يسافر قال له سفيان يا اعرابي ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم في السفر وقيل لاعرابية ما صفة الاير عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجني الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره في قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه في لحيتك أجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته * وخرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لي لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور

لا يكاد ذلك ينخرم أبدا واني آتي بهذا الغلام بين عشرين غلاما في سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء مغر وفين خلا أباه واني أعطي كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك في مجلسك هذا وتتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسك وروحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذي قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شابور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تاخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك فقال شابور فقال له صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفتح ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك أن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه وفضله لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه الى

وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائتة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حماري في حرامه وارجع الى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي أتى بك يا أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء في غير أوانه فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما علي ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

(الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان بن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم في أي سورة * ومر بعضهم بقارئ يقرأ ألم غلبت الترك في أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية في أي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه *وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا عبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة اذ أحسست ببلل في سراويلي فتلمسته فشممته فاذا رائحة كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب * وجاء رجل الى فقيه فقال أنا رجل أفسو في ثيابي حتى تفوح روائحي فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك * ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه * وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه رقة فيسجد

(الفصل الثالث في نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما في المصحف وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الى ظاهر المدينة فأحضرهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا أليس الناس نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غني وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والمدارس والاوقاف فقال لهم القاضي أمثلي يقال هذا أنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار والصيح وثمن الاصلاح وما تروحون من هذه البغلة بلاشي جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشي ولا تدعنا نروح بلاش * تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء

أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى وفاه الله تعالى (قال ومن بديع ما جاء في المكافأة على الصنيع) ما حكي عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلى في مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بني ان لابيك مع أبي هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلي هذا فذكرني احدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الاحول قال نعم يا بني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد بي الامر الى أن قال لي من في منزلي انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ما عندنا شيء نقتاته قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلي وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابني جوابا فرجعت الى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد فقالوا بئس والله ما عملت توجهت

الزنيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق ولواع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وطلاب الشطار كل من شنقوه هم سلبه *وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثني على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل *وأحضر رجل ولده الى القاضي فقال يا مولانا ان ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي فانكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدي أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني أقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى اسمع فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر أحفظ آية منها وهي فارحمي مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به *وتقدم اثنان الى أبي ضمضامة القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فانكر فقال للمدعي ألك بينة قال لي شاهدان فاحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدي عن صناعتهما فاخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره *وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوذينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فامر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدي أبي يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته *وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال يا سيدي ان امرأتي قحبة أنا فقال له القاضي طلقها أنا فقال عشقانا قال فقودها أنا *وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حجتي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عبد والله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها * ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذا أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكي) أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسال عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الجرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضي وأخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قاتل الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولم أفرغ غسلها وأما

الحد رجل كان يرشحك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا فما زالت بعد اليوم الابه نده العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني صاحب أبي خالد فقال لي أين تكون قد أمرني أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان الحناطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهنيء فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما أعلى زاقتماه على ماذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فاصلحت شاني وقلدني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من

المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا و يبيعه و يصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي انه بلغ فانا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

(الفصل الرابع في نوادر النحاة) وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالاعسل والاخلل بالابقل فقال بالاصفع في الارؤس والاضرط في الاذقن * ووقع نحوي في كنيف فجاء كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا وشدني شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالامس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج فصاح أبوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي * وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال يا عم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وبحشويه * ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية

(الفصل الخامس في نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ماهذه فقال عندي صغار أوباش فاقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان وأضربه فاشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي و يخلصوني منهم *(وحكى)* الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه و يسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم و يهرب و يدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن انه صوت الكلب فيخرج فامسكه * وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهي والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه و يتوب فقام وفعل بها أمام ولدها * وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعوك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه * وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافوك اذا فرغت من الصلاة *(وحكى)* عن الجاحظ انه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده و باحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت

نعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه فقال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكى عن العباس صاحب شرطة المأمون) قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فامرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال و يحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فمازلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا باس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عنده فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هاهنا فصاحت بهم المرأة

وشتم وشتمه فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرتجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى

فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجلها وأفرد لي مكانا في داره ولم يحوجني الى شئ ولم يفتر عن تفقد أحوالي فأقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لي في الخروج حتى أتفقد حال غلماني فلعلي أقف منهم على خبر فأخذ علي المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال لي ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت علي هذه المدة ولك علي عهد الله اني لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فأقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال لي يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما أكري به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا

فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الجارية وقالت ما تريد فقلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا قلت وما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن اني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم اني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردي علي فؤادي أينما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو وهذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت يا هذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي على ابقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس في نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فأي شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة * وتنبأ انسان فطلبوه بحضرة المامون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المامون وأجازه * وتنبأ رجل في أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ * وتنبأ رجل في أيام المامون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المامون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه علي أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق * وتنبأ آخر في زمن المامون فقال له المامون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله * وتنبأ آخر في زمن المامون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المامون منه وخلى سبيله * وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد

يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبي الله وانما يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه * وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فاتي به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وانا ضامن لك أن لا تعود * وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتي اني أعلم ما في نفسك قال وما في نفسي قال في نفسك اني كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتي بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها * وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق فنهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصل لك من السفينة الا على الصاري

* (الفصل السابع في نوادر السؤال) * وقف أعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلم الشر صغيرا * ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك الى وليمة * وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال اني جائع فقالوا له كذبت فقال جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم * ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا ليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فانتم أحق مني بالسؤال

* (الفصل الثامن في نوادر المؤذنين) * قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال اني أسمع صوتي من مسيرة ميل * وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم عدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب ان أسمع اذاني أين بلغ * واختصم رجلان في جارية فاودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا * وسمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان تسحروا وافتدوا أمرتكم وعجلوا في أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضي فاتوه فقالوا السلام عليكم فاخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن * وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة * ومر سكران بمؤذن رديء الصوت فجاذبه الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله مابي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

* (الفصل التاسع في نوادر النواتية) * حكي أن بعض النواتية تولى أحد الكراسي السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته اني أسمع غاغة في البر حلي قلوعي واعملي اسطيرتي على جاموري وقد مضى الى اسقالة الرجل وقيني بمدراة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت المرتبة حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالي فقال له تعالى يا شيخ مالي أرى ارطمونك في حلقك وشابورتك مكسورة وأنت بتراعه متغير وتقيم الهيلا في الساحل دخل عليك شرد غربي والا دخلت على بواجي فقال الشيخ والله يا سيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا أولاد جيبوا

فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ورفع الى نسخته ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذي كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الي من التقصير في أمري وركب معي يشيعني وانصرفت الى بغداد وانا أتوقع خبره لاني بعهدي له في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ ان أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا انا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال انا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذي آل بك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى ان أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين وأمري عنده عظيم وخطبي لديه جسيم وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف الى أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت لي بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه

غرعو بخنسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت يغوص بسفر البحر أنت الذي قطعت القاس وخرجت في الشعث حتى لقيت هذا الرجل نطعت مخطمته وكسرت اسقالته لوانصلح كنت علمتك في بدرواة وعلمتك في الصاري فلما سمع الرجل كلام الوالي علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخونده وكارزني في معاشي احطن على الوحسة وأنا عايم في الليل الاوشردجاني من الشرق كابس هزأطرافي وكسرشابورتي وقلع البانى وهاهو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شئ فانا بمرسوم الامير أجيب له القلفاط أسدفتحه وأعيدله وسقه وأخليه يروح في طريقه فقال له الوالي أنت بتقدف في وجهي وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الجبر يارجالة الصاري ساسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلواشينة البان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر حتى تلعب الميه على بطونسته هياقوا ملك خلواجنب بر وجنب جوا قدام الخن وراء الصاري فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخونداه وخفست عليه الطامية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال ياخوند سالتك بهبوب الرياح وطيب النسيم لرب لا يبليك بحر اللبان في الحلافي وأنت حافي في الصيافي ويكفيك شر الاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللباب الحلفا بذ بخنسة الريح وفروغ لزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر في أيام النيل لولا شفاعة لركاب لكنت أهدسة النك وأقعد في زوايدك حتى أخلي ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند مابقي جنبي يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت أعبر بهذا الوجه اخسف من أضلاعي لوح وغرقني بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج في دي الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لي ياعملات على أبوس

(الفصل العاشر في نوادر جامعة) سمعت امرأة في الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفيني كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان * وأسلم مجوسي في شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقي يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس * وسئل بعض القصاص عن نصراني قال لا اله الا الله لاغير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف * وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذي لي واشتري به النصف الآخر لتكمل لي الدار كلها * وسئل جامع الصيدلاني عن عمر ابنته فقال لا أدري الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها في أيام البراغيث * وقيل لطفيلي أي سورة تعجبك في القرآن قال المائدة قال فأي آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلي يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلوني وقيل له أتعرف بستان فلان قال اي والله انه الجنة الحاضرة في الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح في أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ماهذه الصفرة التي في لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابني يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي اني أرقت في هذه الليلة وضاق صدري ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له ما يضحكك أستهزاء بي أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مافعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت

فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة (٢١٦) آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرط خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطبي جسيم وان أنت احتججت باني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فارادوا قتلي فقال لي انج بنفسك ودعني أدبر أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم مايكون من خبرك فان احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ماتقول فليكن في موضع كذا فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله علي عهد لئن ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ماهرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شانك وماتريد ان تفعله في أمري فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انني أريد ان أوفي له وأكافئه على مافعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين فرأيت

فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتني الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلي فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط أنه اذا انعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي فقال له بل اجعل لي النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لي ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكني أضرب بك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحققت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة زنتها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لي من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولي فيه الثلث وما أجابني الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبي منها واحدة ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبي وبقي نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول في الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف في سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء في رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادي عني فاني قريب وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أي أقبل عبادة من عبدني فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة في الدنيا واما أن يكفر عن الداعي واما أن يدخر له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له ثوابها واما أن يكف عنه من السوء مثلها وروي أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره واذا الملائكة من عنده ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعو وقد ادخره لك *(واعلم)* ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وان الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا لأكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان

أمرين اما أن يضطجع عني فأكون قد وفيت وكافأت واما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد حفظت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا وقد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسي فدخلت

وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لايجاب

وقيل ان الله تعالى لايستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط * ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة و يرفع يديه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روي عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا و ينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون الخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما * وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث أن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين و يوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا أفشيت سرك فافشه الي فاني وفي واذا أقرضت فاقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي و يتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه و رفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام * ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلاتك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشئ فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فاتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الي فقلت له يا هذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء بك فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فاخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشئ أظرف من هذا فاتيته فاستأذنت عليه فاذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه ذلك وأمر لي بالفي دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال

وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله تعالى عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم انى أسالك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك أذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضى أن الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من الترك كان ساكتا لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا أحسن شيأ من الدعاء فاسألك ما يطلبون منك بعاده فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك الترك كانى لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعى حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وركب ابراهيم بن أدهم فى سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم انى أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد الهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار سمعت أناسا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابى أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى أن الله تعالى يقول كيف أرحمه من شئ به أرحمه وقال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على على بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها فى كرب الا فرج عنى ودعا اعرابى فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسالك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت

اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاصمعى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الاصمعى فدفعت اليه ألف دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافاك على احسان أبيك وكافانى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن ذلك ما حكاه القاضى يحيى بن أكثم)* رحمه الله تعالى عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرنى عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقرب به فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى

أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم ومن دعاء اعرابي فقال اللهم امح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أمالك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقي في السماء فنزله وان كان في الارض فاخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لي فيه (وقال أبو نواس)

أحببت من شعر بشار وكنه * بيتا لهجت به من شعر بشار

يارحمة الله حلي في منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ويعني بها منارحمة الله التي وسعت كل شيء وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة يامن لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك مل ء السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضي الله عنه اللهم صن وجهي باليسار ولا تبدل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من أعطاني وافتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليماني قط الا وجدت جبريل قد سبقني اليه يقول قل يا محمد اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهو من مواقف الخزي وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يادائم المعروف رد على ابني فقالها فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراساني اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذي اشتد بلاؤه باحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم اني أسألك من خير ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فربنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعي على الكلب آنفا فقال رجل من القوم أنا يارسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فاتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو ياعلي ياعظيم ياحليم ياعليم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يارب يارب يقول الله عز وجل لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن علي بن أبي زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا قال دعوت الله أن يريني الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يارحمن ياذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ما روي عن وهب ان ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يامن يعلم حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك

الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فقلدتها وسلكت سبيلي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يثبها علي ثم فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا الغنائم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فاخذت شيئا من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فاخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله واخذتني حيرة وجعلت أضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ماعنده من ذي رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه

حتى اذا ما الليل غاب غيهبه * عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فانخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادي

ألا تخبرني بالله خالقنا * من الذي جاء بالمعروف في الوادي

وارجع حميدا فقد أبلغتنا منا * بوركت من ذي منام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادي

بجدت بالماء لما ضن حامله

علمانا طقا محيطا أسالك بدوام بدلك الصادقة وأياديك الفاضلة و رحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به في الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم اني أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الاركان كلها أن تكشف عني ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فاوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدي الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناده هذا متصل الى معروف الكرخي ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف الكان كافيا في قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفي رضي الله عنه قال وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عني فاتيت بخيلي ورجلي فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الامير فقال أي الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أراني أعزه لان العز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدي الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال وم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد ما دمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلي سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذي لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافي باسم الله المعافي باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسي وديني باسم الله على أهلي ومالي باسم الله على كل شئ أعطانيه ربي الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربي لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم اني أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو * اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك مما قصرت فيه لي أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا الاخائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم مع غناك عني وأتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلي لكن الثقة بك حملتني على الجراءة على الذنوب فاسألك

نكر ما منك لم تمن بانكاد * فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد * هذا جزاؤك مني لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي * فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة)

حكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بابي عبد الله الاندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فاقبل علينا وقال يا قوم اعلموا ان الجارية التي

بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلي على محمد وآله وأن تفتح لي باب الفرج بطولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفي باسناده عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني استغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلي فأيما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها اياه في مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها لم أستطع أن أتحللها فاسألك أن ترضيه عني بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لي من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب ما تصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل شيء فاتسعني رحمتك فاني لاشيء وأسألك يارب أن تكرمني برحمتك ولا تهني بذنوبي وما عليك أن تعطيني الذي سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام * وقال صالح المري قال لي قائل في منامي اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم اني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت به في شيء الا عرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني أسألك بالعزة التي لا ترام والملك الذي لا يضام والعين التي لا تنام والنور الذي لا يطفأ بالوجه الذي لا يبلى وبالديمومية التي لا تفنى وبالحياة التي لا تموت وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية التي لا تستذل أن تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا فاني لا أرجو غيرك يا أرحم الراحمين * وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة مقمرة وأظن اني قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم اني أسألك بانك مالك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط في شيء الا رأيت نجحه * وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال روينا عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن مناع الفزاري خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن الامام أبي محمد ابن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا نهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابي وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما نمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي يا هذا انسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد أتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طارق ولا سبع ضار وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وانه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البوني الى قوله شهابا رصدا وو الشمس و انهم محيطا الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعدوا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوني هذه الآيات سرها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ وقد رسخ وهي على ما رويناه بل ما رأيناه أولها

رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القدر بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت مني عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا من هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام في الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخواني ليس لي من الامر

الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات * وقال أبو العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشى يقول سمعت أبا زيد القرطبى يقول فى بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لاهلى وعملت أعمالا ادخرتها لنفسى وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول ياعم هذه أمى فى النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمنى الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر فى نفسى ان قال ياعم هذه أمى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان امتحانى لصدق الأثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول يا شديد المحال يا عزيز أذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه انه كان يقول لولده يا بنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجى موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يامؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا انك على كل شئ قدير * وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذا المنى * لابد أن ينشر ما كان طوى
جودا وأن عطر ما كان خوى * ورب ما ينشر ما كان زوى * ورب ما قدر ما كان لوى
وكل شئ ينتهى الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى * لطائف الله وان طال المدى
كلمحة الطرف اذا الطرف رمى * كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجى فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا * سبحان من نعماؤه وبعفوه دائما
ولم يزل مهما هفا العبد عفا * يعطى الذى يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذى الخطا

(ومن المنظوم أيضا)

يامن يرى مافى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع * يامن يرجى للشدائد كلها
يامن اليه المشتكى والمفزع * يامن خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى ادفع * مالى سوى قرعى لبابك حيلة
فلئن رددت فاى باب أقرع * ومن الذى أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله * خير الانام ومن به يستشفع

وقال آخر
ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل ادعونى

شئ سيدى أتصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد ان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صله الشيخ الى جواره الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى ذلك هذا ثم جعل يبكى وأشرفت و يبكى ونادى ياشبلى اسمعها بغيرك فنادى الشبلى باعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بعلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دوت منها الجبال قال الشبلى فظننت ان القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلى فقلت له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد ان كنت أرعى القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وماهما قال قوله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم اعطونى ثوبا طاهرا فاعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى رد لك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان أمرك

انى دعوتك مضطرا لتنقذنى * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجنى
واطلق سراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملنى * وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سوالك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن يحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحى ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى * يامن له حسن العوائد
فخفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
انت الميسر والمسبـ * ـب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريـ * ـبا يا الهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئسـ * ـت من الاقارب والاباعد
ثم الصلاة على النبـ * ـى وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ما خر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك يارب العالمين

*(ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض) * دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من نعمة صادق باق ودعاء صالح واق ودعا اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا أبلك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله من الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده * وعزى شبيب بن شبة مهموما فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

*(ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) * دعا اعرابى على ظالم فقال لا ترك الله له شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب قمأه الله قمأ وحتمه حتما وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نوالك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثت لك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا اعرابى على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب ابنها ودعا اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

فقال يا قوم الوليتم من عندى فالنه بالوداد القديم وقلت له يامولاى انا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وبسط بره عطائى فقلت له بالله الا ما هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ما قدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلى ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الايام بعد صلاة الصبح اذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان أحببت ان تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال اغمضى عينيك واعطينى يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما وما

وما دعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليتني قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطابته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم في البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فأحطه به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل واختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا في بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهي ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهي ما عصيناك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولت لنا نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا في عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهي ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالي الهي أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا الا بالذي دلنا عليك أمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون في القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور وليس الطريق في تحصيله أنه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد يحفظونه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو بريء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكوت وحمل الرطب اليها فيها وأنشدوا في ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه

فاذا أنا بشاطئ دجلة فقال امضي الى تلك الزاوية وأقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اهـ (فليتامل) العاقل في ذلك ولا يرى له فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطي من يشاء ويمنع فالكل منه واليه (موعظة) قيل عشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لي ولد يذكرون الله تعالى من بعدي فاخذها الرجل بامر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل ان يصعد الشجرة اعترضه سائل فاطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام

بالغدوّ والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان جعل في واحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كل يوم احتسابا بالله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجتمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد يدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا في ذلك على الله واتكالا به ان تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالي أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيئا وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو في بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا حية في فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدي الى هذا وعن عبد الله الهروي قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قبيس فقال لو ان رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن * وفي الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله في ذلك وقال له تمهل علي بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلاني فان لي مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بيني وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فاني ما أعطيك مالي الا أن تجعل لي كفيلا ان لم تحضر طالبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال للرجل فأخذه ومضى الى البلد الذي ذكره فلما قرب الاجل الذي بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر في البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها في خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم اني جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها في البحر وتوكلت عليك في ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها في البحر بيده وأقام في البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار في خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الي والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجلك أو أجد من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الي ولم أرها طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما بها فأخبرني بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل * وقيل ان سبب بداية ذي النون المصري رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والرعي فبينما هو يتفكر في أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فالتقط القمح وشرب الماء ثم غاب بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت * وحكى ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد في صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكان المعلم السلطاني وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة مما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصانع الغريب الى أن بقي من أحد الصناع الذين في دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة فلما فرغ النهار دفع له

فقال الشيطان ألم تفعلا ما أمرتكما به فذلك الاعتراض املكان فطرحاني الخادقين اه (وكان الحسن بن صالح) اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء أعطاه كحلا أو اخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل (وحكى) ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الاول فقال لها أنا والله ذلك السائل (ومما وقفت عليه) ما حكى ان بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قومي
وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها
فمن أنباك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء
فلا أدب يفيد ولا أديب

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا   درهم بن
الله سارق العلانية يقطع سارق السر (ومن ذلك ما حكى) ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على

درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوي عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلاده كانت في يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له اجلها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه في عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسه هذا وقت المروءة أعملها اولا وأؤاخذه ببخله علي وعدم انصافه ولعله يحسن الي بعد ذلك فحط يده في درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فأحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقي الصانع يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار ما زاده على الدرهمين شيئا فلما مضت الأيام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه في تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى أن عمل الزوجين وهو لا يزيد شيئا على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتحمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفي * ان لم تكفي فعفي   خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفي
فلا برزقي أحظى * ولا بصنعة كفي   كم جاهل في الثريا * وعالم متخفي

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع وما زاده في آخر النهار شيئا على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فأخذهما الملك يعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لأضربن عنقك فاصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر و رحم الله من قال

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

(وقال آخر)

ما سلم الله هو السالم * ليس كما يزعم الزاعم
تجري المقادير التي قدرت * وأنف من لا يرتضي راغم

(وقال كعب بن زهير)

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر * يسعى الفتى لامور ليس يدركها
والنفس واحدة والهم منتشر * والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

روي في الاسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال

حرمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم احتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع الكتاب اليه وقال له امض به الى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك و يعطيك ألفي دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فقال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وان البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له

له الطائر يا نبى الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدنى به وأنا أنظر اليه قال فذهب عند ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر فى الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبى الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين * ويروى أن رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيئا ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مسرورا وعالما محزونا وما علمت أن التدبير ليس للعباد * ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء فى الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا فى ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر)

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها

وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وان ألقى رداها

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها

ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

(ولما قتل) كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما فى قوله وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * وحكى الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته أياما ففى بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة ذات سرداب يمشى الماشى فيه قائما فنزل الرجل يمشى الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر * لا نلت خيرا ان بقيـ

ـت ولا عدانى الدهر شر * ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون * ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة * وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى

أنت قلت للناس عنى انى أبخر فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث بمجالسى لى به علم انما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم اتخذ البدوى وزيرا وراح الوزير بحسده انتهى (وحكى) ان معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه بعض بنى هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمى فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبى ذؤيب الهذلى من قصيدة رثى بها أولاده ماتوا بالطاعون

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع

فأجابه الهاشمى على الفور من القصيدة المذكورة بعينها

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

(ومما يشاكل ذلك) ما حكاه لى سيدى ومولاى عمدة العلماء الاعلام ونخبة فضلاء الادباء الفخام الشيخ عبد الغنى أفندى الرافعى حفظه الله تعالى انه حكى له عبد الله أفندى ابن قاضى الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخلافة العلية فى أيام السلطان سليم ابن السلطان عثمان خان ونزل فى دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليما فى القانق بين أسكى دار واسلامبول فى قانق الشيخ بالقرب من قانق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب ان يداعبه فقال عندما داناه

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل

(فأجابه على الفور من القصيدة)

أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلى

فعند ذلك سأله عن مكانه فأخبره انه نزيل شيخ الاسلام ثم مر كل منهما بقانقه

الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بارض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعى رضى الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى بها ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلى عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابى بكر رضى الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب فى اليوم سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشترى تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعنى الله منه بما شاء ان ينفعنى واذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلى ثم يستغفر الله الا غفر له وروى فى الصحيح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال الله عز وجل علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء وكان قتادة رضى الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما داؤكم فالذنوب وكان على رضى الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هى قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسى أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن

و بعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمران يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه ان ذلك عن أمر الملك فقال بغيتى القرية الفلانية فى محل كذا ان أقطعنيها كفتنى ولا أريد سواها فأخبر الملك بذلك فأقطعه القرية وعاد وقد ربحت تجارته ببضاعة ادبه (ومن هذا القبيل) ما وقع فى عصرنا العوض بيك الاسعد رحمه الله تعالى انه حين بدا تغير ابراهيم باشا سرعسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان جالسا على دكان فى سوق العقادين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الألايات جالسا على دكان يقابله فكتب له أمير الالاى يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطى وهو

لى النفوس وللطير اللحوم وللوحش العظام وللخيالة السلب

فأجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له انظر خط من أحسن

ان كنت تعلم يا نعمان ان يدى قصيرة عنك فالاحوال تنقلب

(وكتب العلامة زين الدين ابن الوردى) الى قاضى القضاة الكمال البارزى وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه

حلتنى وأخى تباريح البلا وتركتنا ضدين مختلفين
يا حى عالم عصرنا وزماننا ألك التصرف فى دم الاخوين

فأجابه بقوله

أبا عمر انزجر عن مثل هذا فأحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل فأحمد فيه معرفة ووزن

قال صاحب التالد والطريف وأذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أسرع من كلام الحصيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكرته انى أزن الشعر فأخبرنى بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بيني وبينك ما شددت عليه من بعد ذلك راحتى ويحق ذا كم علينا فاعلوا من ود أسرع والحمد لله وقال لى أخرج من هذا الكلام

قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم انى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسى ثم لم أوف لك وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكة وعى ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فاغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتى ولا ييأس من مغفرتى أشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت له وقال بشر الحافى بلغنى أن العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة اوكلين بترقبوا عليه سبع ساعات فان استغفرنى فلا تكتبوها وان لم يستغفرنى فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وفر بواقر بان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطر لهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل فاوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من بسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى است بهتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبون معكم فاجود بنعماى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين * أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى جميلا وامهالا * فحتى متى أجفوه وهو يبرنى
وأبعد عنه وهو يبدل اوصالا * وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولاحال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

*(الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الامراض والعلل والطب والداء
وما جاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول)*

(الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت

بيتين نامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعده وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه كان بين الملك العادل نور الدين وبين أبى الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه ويتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها

ياذا الذى بقراع السيف هددنى * لا قام مصرع جنبى حين تصرعه
قام الحمام الى البازى يهدده * واستيقظت لاسود البر أضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل وبعوضة تعض فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وهى عجيبة طويلة غريبة قال صاحب التالد والطريف أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتى ذى القرنين ابن حمدان الحمدانى وهما

انى لاحسد لا فى أسطار الصحف * اذ رأيت اعتناق اللام للالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لى فى هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة ظريفة وهى انى كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام ألف لا وقصدت بها ما قاله الشاعر فى البيتين فكتب لى اما مفترقين هكذا وقصد اذيتى بها وارسلها الى كأنه يقول لا أملك من عناقى أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأردت مطلوب ذلك فكتب لا متصلة هكذا وأرسلها الى فعلمت فقال بذلك رضاه وتعجبت من فهمه وحسن ذوقه فلما اجتمعنا عتب على وقال عجبت الامر على وأتعبتنى قلت مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اهـ (قلت)

فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثوري يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء في مرضه ما تشتهي قال ما ترك خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابي في مرضه ما تشتهي قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبي هو الذي أمرضني

(الفصل الثاني من هذا الباب في ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة)

قيل تسار رأبخر وأصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدري انه فسا في أذني وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميت الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسار رأبو الاسود الدؤلي سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر في البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس في البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

ياحب والرحمن ان فاكا * أهلكني فوالى فداكا * اذا غدوت فاتخذ مسواكا

من عرفط ان لم تجد اراكا * لا تقربني بالذي سواكا * انى أرالك ماضغا خراكا

وفي ديوان المنثور كم من ذي عرج في درج المعالي عرج وكم من صحيح قدم ليس له في الخير قدم وقيل ان من الصمم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشي وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمني زيد بان كنت أبرصا * وكل كريم لا أبا لك أبرص

(وقال) كفى حزنا أنى أعاشر معشرا * يخوضون في بعض الحديث وأمسك

وما ذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه ما في للصوت مسلك

فان سد منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

(ومما جاء في العمى) ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل اعرابي يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة في ذلك فقال له والله انى ليعجبني طعامك وتريبني عينك قال فما يريبك من عيني قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت في فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال علي كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو علي البصير

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي * ويقتادني في السير اذ أنا راكب

وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبي زيد السروجي أو من باب التجريد (قلت) مثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل يامن اذا قرأ الانجيل ظل به * قلب الحريف عن الاسلام منحرفا انى رأيتك في نومي تعانقني * كما تعانق لام الكاتب الالفا وقولي من قصيدة

ان تناءت عن يعاني فلك كل عنا
فحسبه صوب دمع للنوى وكفا
بالحب صبرت لاما قامتي أترى
يوما تعانق من أعطافك الالفا
(وما أرق قول بعضهم في المعنى)
حكت قامتي لاما وقامته منيتي
حكت ألفا للوصل قلت مسائلا
اذا اجتمعت لامي مع الالف التي
حكتك قواما ما يصير فقال لا
(ذكر ابن خلكان في تاريخه) انه اجتمع الامام أبو بكر محمد بن الامام داود الظاهري وأبو العباس بن سريج في مجلس الوزير الجراح فتناظرا فقال له ابن سريج أنت الذي تقول من كثرت لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فاني أقول
أنزه في روض المحاسن مقلتي
وامنع نفسي أن تنال المحرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه
يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري
فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم
فما ان أرى حبا صحيحا مسلما
فقال له ابن سريج ولم تفتخر علي ولو شئت أنا أيضا لقلت
ومسامر بالغنج من لحظاته
قد بت أمنعه لذيذ سناته
ضنا بحسن حديثه وغنائه
* وأكرر اللحظات في وجناته حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدي عدل أنه ولى بخاتم ربه فقال أبو العباس بن سريج يلزمني من ذلك ما يلزمك في قولك أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي ان تنال المحرما

لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال)

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تخلد فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتى سمعى وهاد فترى قلبى

(وقال)

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

(وقال)

عزاؤك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب

على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه الصلاة والسلام وأكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية ألوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم وممن أفلج ابن أبى دواد قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبى دواد

وشجة عبد الحميد وكانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى أمية وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه أثر فى جبهته قال أصبغ الله أكبر هذا أشج بنى أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لابى الاسود ما الشىء ونصف الشىء ولا شىء فقال أما الشىء فالبصير كانا وأما لا شىء فالاعمى وأما نصف الشىء فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب فى التداوى من الامراض والطب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكننى أدعوك يا منزل القطر

(وعاد الفرزدق مريضا فقال)

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى أبلاك بالداء
فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل

فضحك الوزير وقال بجمعتما الظرافة والظرف وفهما وعلما اه *(وذكر أبو بكر الخطيب)* انه كان فى مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطير يزعمون انه من عشر عليه أمر أطلق طيرا فتيسر أمره فنزع عبد الله بن طاهر وقد طال مكثه فى بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قمرية تنوح فامر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها فى ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق * فجرت سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما * كانت تغرد فى فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فاصبحت * بعد الاراك تنوح فى الاسواق
فجعت بافراخ فاسبل دمعها * ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل متينه * وسقاه من سم الاساود ساقى
ماذا أراد بقصده قمرية * لم تدر ما بغداد فى الآفاق
بى مثل ما بك يا حمامة فاسألى * من فك أسرك أن يحل وثاقى

قيل انه فى ثانى يوم أطلق ورجع الى بلاده *وحكى عن خالد الكاتب انه قال جاءنى يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستخلانى وقال أنشدنى من أجود شعرك فانشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حيانى بورد كانه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض
وناولنى كاسا كان حبابها * دموعى لما صد عن مقلتى غمضى
وراح فكل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثانى الفراش وقال يا فتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود زدنى فانشدته

عاتبت نفسى فى هواك فلم أجدها تقبل * وأطعت داعيها اليك ولم أطع من يعذل

ذمي وكان حاذقا في الطب فاتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فانه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافي فاسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي هتف بي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة * وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء اكثر فلم يبق المداوي ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوي والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فتكلفوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بات عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله في مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفي من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يملك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغني عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أي الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع ما كله وقتيل أنامله

فكم أكلة أكلت نفس حر * وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوي عليهم السلام أنه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيا وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيأ مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنيء المريء يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام علي رضي الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفي كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر في المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفي الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا والذي جعل الوجوه بحسن وجهك تمثل لا قلت ان الصبر عند لك من الصبابة أجمل فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال لخادمه كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون درهما فقال له اقسمها بيني وبين خالد فدفع لي نصفها وانصرفت (لطيفة) جاز بعض الاطفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه في المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقي الضيف والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة كتب في مكان الشيخ هذين البيتين

يا دعوة كانت علينا دعوة
عز الطعام بها وغيض الماء
سودا وصفرا كلما غنين لي
لعبت بي السوداء والصفراء

يحكى ان شهاب الدين الخفاجي المصري شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخي زاده فكتب له الشهاب بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمنا
وجد بالعفو يا روض الاماني
تريد مهذبا لا عيب فيه
وهل عود يفوح بلا دخان

(فاجابه شيخي أفندي بقوله)

اذا شرب الدخان فلا تلمني
على لومي لابناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب
كريح المسك فاح بلا دخان

وحكي عن شرف الدين بن الشريحي أنه اجتمع هو وشهاب الدين في ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة أن يصفع شهاب الدين فلما صفعه أمسك التاعفري بذقن شرف الدين وأنشد مرتجلا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف * وهو ان كان يرتضي تشريفي
فارث للعبد من مصيف طباع * يا ربيع الندى والاخريفي

فانقلب المجلس ضحكا

في أم مغيث وهي وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين ونهى عن الحجامة في نقرة القفا فإنها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فإنه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مرو فوجد غالب أهل المسجد يشكو من السعال فقال في آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء إياك أن تطيل النظر في عين أرمد وإياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تغسلها بدلك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الأدوية تنبت في محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء يا نبي الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والإسهال الذريع والإقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يدع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة في العينين والضربان في الأذنين والقولنج في البطن فعليك أيها الإنسان بالتبريد بقلة الأكل وأن تقلل طعامك جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم في العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل إنه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد أكثر من ثلاثمائة لون فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين إن خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته أو في النجوم فأنت هرمس في صناعته أو في الفقه فأنت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في علمه أو في السخاء فأنت حاتم في كرمه أو في الحديث فأنت أبو ذر في صدق لهجته أو في الوفاء فأنت السموأل بن عادياء في وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد إنما فضل الإنسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند إن منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء إدخال الطعام على الطعام وقالوا إدخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر وقيل الشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ما هي قارورتك لأنه ما هي بول حي وأنت حي تكلمني فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل إن ملكا من الملوك حصل عنده صداع في رأسه فأحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه في الماء الحار وكان عنده مضحك فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل إن المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل إليه قلنسوة وكتب له بلغني صداعك فضعها على رأسك يزل ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شيء ثم إنه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم إنه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال علي رضي الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فإنه حار في الشتاء بارد في الصيف وقال أيضا رضي الله عنه عليكم بالزيت فإنه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضي الله عنه إن لم يكن في شيء شفاء ففي شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا وإذا تغديت فنم وإذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرئ ما فيه ولا تأو إلى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة في إقبالها وذرها في إدبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده أنه إذا لازمها لا يعرض إلا مرض الموت فقال إياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع وإذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك في كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم وإذا تغديت فنم وإذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على عينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء إن احتجت إلى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه

(وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادي دخل ذات يوم على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور رفيق ابن القطان وقد نظمت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث (٢٣٤) لأني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فأنشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط إلا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص وما دري أن نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل

(ومما يشاكل ذلك) ما اتفق للوزير الزينبي وقد أنشد ابن المرصص بيتين بين يديه نظمهما في جارية حسناء كاملة المعاني والأوصاف وزعم أنه لا ثالث لهما وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها * وحقك مثلي في دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا ثيابه * ألست ترى أوراقه تتناثر

فأطرق الوزير يسيرا وقال

وفاحت فألقى العود في النار نفسه * كذا نقلت عنه الحديث المجامر

وقالت فغار الدر واصفر لونه * كذلك ما زالت تغار الضرائر

وكان في المجلس النواجي الشاعر فأنشد ارتجالا

وغنت فظل الجنك يطرق نفسه * وجادت لها بالروح منه المزامر

ومن لطائفها الهندي في غمده اختفى * وظبي الفلا في لفته وهو نافر
ومن وجنتيها الورد راح بخجلة * ألست تراه أحمرا وهو فاتر
ومن ريقها الصهبا شكت نار شوقها * فأطفأها بالماء ساق مسامر

(ذكر ابن شاكر الكتبي) في تاريخه في ترجمة شمس الدين ابن عفيف الدين التلمساني أن جماعة من أهل الأدب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فيهم وأمنهم غلاما مليحا إلى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده

أرسلتما إلى رسولا في رسالته * خلوا المراشف

وأنت تشتهيه قال بعضهم
شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
مامن فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الارأى مايكره

وقال أبو الهيض القضاعي يمدح الفضل وقد فصد
أرقت دما لوتسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء في العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفي رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار وقال الشاعر
يعدن مريضاهن هيجن داءه * أ لا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لايسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه
باخوانك الادنين لابك كل ما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

(وقال آخر) بي السوء والمكروه لابك كلما * أراد الك كان بي وكان لك الاجر

(وقال عبد الله بن مصعب)
مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب * وعاد مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه بعض المرضى فقال
عادني مالك فلست أبالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

(وقال على بن الجهم) أراقد الليل مسرورا عدمت اذا * عيشي وأحمد ترعى ليله وصبا
الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ماأحمد ركبا

(وقال آخر) اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وقال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر
قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد
والله لوأن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

(وعلى الثاني قول بعضهم)
حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل لمس اللحظ بالعين
لاتبرمن عليلا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الحادي والثمانون في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله)

(روى) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال وهل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك في الآخرة ومن وصية على رضي الله عنه لابي ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولاتزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين

والاعطاف والهيف وقد تمادى بسبراذاك أنكا * أوقد ثما النار في أحشاء ذي دنف فلما حضر والده شمس الدين وأخبر بالقضية كتب الى ولده ولاى كيف انثنى عنك الرسول ولم * تكن لوردة خديه بقنطاف جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة * فكيف ردت بلا ثقب الى الصدف

(ومما نقلته من التاريخ المذكور) ان علية بنت المهدي العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء وأعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى ابن عيسى العباسي وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها في خادم اسمه الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها في طل وصحفت اسمه أيا سروة البستان طال تشوقي
فهل لي الى ظل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه
وليس لمن يهوى اليه وصول
فبلغ الرشيد ذلك فحلف انها لاتذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهي تقرأ آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فقالت فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين

فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال قد وهبتك طلا ولا أمنعك بعد هذا ما تريدين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد الى الري أخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها ومغترب بالمرج يبكي لشجوه *

فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك ونظرة لسوف الى ميت يحمل الى قبره يقال حبيب يحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاصى رضى الله عنه على معاوية فى مرضه مرضة فقال له أعائدا أنت أم شامت فقال له عمرو ولم تقول هذا والله ما كلفتنى رهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك فانشد معاوية يقول

فهل من خالد اما هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا الى فراشا واسندونى وأوسعوا رأسى دهنا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا يجلس عندى أحد ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما نامته الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لامنجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على أبى دلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فاقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى اصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر ان قلبى يحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا الا علك فعلت برا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى واجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قاموا فقيل انا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجد واردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين أهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفى الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرارى من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على أن الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما حسان جالس وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبى فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يا مغرور فى مهل
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقد غاب عنه المسعدون على الحب اذا ما أتاه الركب فى نحو أرضه * تنشق يستشفى برائحة الركب وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فامر (٢٣٦) بردها ومن شعرها انى كثرت عليه فى زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا ورابنى منه أنى لا أزال أرى * فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا انتهى * (لطيفة) * يحكى أن عبد الملك بن مروان جمع عمر ابن أبى ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال ينشد كل واحد منكم بيتا فى الغزل فايكم كان أبدع فهى له بما عليها فقال جميل

ولو أن راقى الموت يرقى جنازتى * بمنطقها فى العالمين حييت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر ابن أبى ربيعة

فليت الثريا فى المنام ضجيعتى * لدى الجنة الخضراء أو فى جهنم

فقال له عبد الملك خذها يا صاحب جهنم والثريا هى بنت على بن عبد الله الاموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

وكان يتشبب بذكرها كثيرا (حكى) أنها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى وعدته به فصادفت أخاه الحرث قد نام مكانه فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول أعزبى عنى فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم اغتماما وقال له أيم الله لا تمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة الله وقيل ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال انه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى * وروى أنه

عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطالب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أرضى عليها بيتان أجابت عنه أعطيتك ما تقول وزدتك والتفت
اليها وقال ماذا تقولين فيمن شفه أرق * من أجل حبك حتى صار حيرانا فقالت بديها اذا رأينا محبا قد أضربه * أمر الصبابة

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاصي دعا بغل وقيد وقال البسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فانت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهور الجلود * وسمع أبو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فانا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور ولم يبق في المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما) احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة * وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

* (حكي) * ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فامر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب اني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني أن تحمله الريح الى الهند فامرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم * وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحببني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فقم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال زيد بن أسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوي عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا نرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى ما لا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من

أوليناه احسانا فاعجبه جوابها واشتراها (ومن اللطائف) ما حكي عن الشيخ يحيى المسالحي انه لما قدم دمشق الشام وقرأ في الجامع الاموي نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فافتتن به فسأل عنه فاخبر عن أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندي العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندي يكون محصلا للفضيلتين فاجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فاجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال ادفعها الى شيخك فلما احضر قال له ما أبطأك عن الحضور فاخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها

يا جاهلا علم الحساب وسيلة * تصطاد فيه فاتن الالباب
ان كنت في علم الحساب رزقته * فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فاخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها

لهوت به طفلا غير مراهق * ومذ صار تيسا بعته للمسالحي (ومما نقلته) أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شيء من تحت ثوبه كهيئة المستبرئ من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال

من يأخذ الذي بيدي الجوزة فأطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال الجوزة أولى به يا أمير العرب فأطلق الأمير يده وقال هو لك خذه
وإذا بعقد جوهر في يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الأمير للرجل ما أجرأك على ذلك قال ثقتي أنه لا يظهر منك إلا الكمال

يوم الأولاك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى ان قدم الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو يحتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت بي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعدما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد اذا أنا مت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت عينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله ثم بعد ساعة قبضت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هرون

كأني بإخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري
فيا أيها المـذري على دموعه * ستعرض في يوم يزعي وعن ذكري
عفا الله عني أنزل القبر ناويا * أزار فلا أدري وأجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وان يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول) *

* (الفصل الاول في الصبر) * قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان طال عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله ما في يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطي القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

فدفع له ألف دينار * (ذكر ابن خلكان) * في تاريخه في ترجمة يحيى بن أكثم ما نصه رأيت في بعض المجاميع أنه أي يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبي ثم خمشه فغضب الحسن فأنشد يحيى

أيا قمرا جمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتخميش والعض كارها * فكن أبدا يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

(قال صاحب التالد والطريف) أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازي امام الشافعية لنفسه

جاء الربيع وحسن ورده * ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب * ووجنتيه وحسن خده

قال ابن السمعاني قال لي المظفر شعيب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو اسحق الشيرازي هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه ان هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة حاكم صور بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه أحضر ذاك الشاب مريد الشراب فقد أفتانا به الامام أبو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتني لم أقل هذين البيتين ثم قال لي كيف نردهما من أفواه الناس فقلت يا سيدي هيهات قد سارت بهما الركبان أورد ذلك ابن النجار في تاريخه واسمه محمد ويلقب بمحب الدين انتهى (لطيفة) حكى الصفدي رحمه الله بالوافي عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اؤجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروي أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ انني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان بها من كل مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه * وقيل ان معاوية رضي الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فاوصيكما يا ابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما

بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

(وقال) أيا صاحبي ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم

عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر) هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعة له في الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك (ولما) مات ذر الهمداني جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا في مثله ولما وضعه في حفرته قال رحمك الله يا بني وجعل أجري فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بي بارا ولي نافعا وكنت لك محبا ومابي اليك من وحشة ومابي الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من الاجر الى ذر صلة مني له فلا تحرمني ولا تعرفه

بالوفيات أن أبا الحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما التنزه فقالوا له يا سيدي أنت أجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له يا سيدي هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله يا أولادي لما وقفت خلف القرمة أدركني لؤم الجزارين (قصد) ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمع له بشئ فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي

فالحش أنت له وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح ومسجود

(وله هجاء في خالد)

أبوك لنا غيث نعيش بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر

له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

(ولما قتل) جعفر بن يحيي بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوبي الهوى وقد بلغه والله اني قلت ولست وان أطنبت في وصف جعفر بأول انسان خري في ثيابه فكتب بدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل) أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل ابن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله ان لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت ألا ابلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه اذا لبس العمامة قلت قرد

فيجعلها تجاوز عنه فإنك رحيم بي وبه اللهم قد وهبت لك إساءته إلي فهب لي إساءته إليك فإنك أجود مني وأكرم اللهم إنك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لي عليه حقا وقرنته بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك إلي المصير اللهم إني قد غفرت له ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك فإنك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفي الحديث إذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدي عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني بنيت له بيتا في الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه دفن ابناله وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغي للعبد أن يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه فإذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثوابا عظيما إذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يا رب العالمين

*(الفصل الثاني من هذا الباب في التعازي والتأسي) * روى الترمذي في كتاب السنن والبيهقي عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا في كتاب الترمذي أيضا بسند متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة وروينا في سنن ابن ماجه والبيهقي بإسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة * واعلم أن التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهي من أحسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه * واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لأن التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقيل إنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين وهما إذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعي أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفي المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفي الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عددا وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يا رسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يا فلان أيما كان أحب إليك أن تتمتع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته وقد سبقك إليه ففتحه لك فقال يا رسول الله يسبقني إلى باب الجنة أحب إلي من التمتع به في دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي رحمهما الله أن الشافعي قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك واعلم أن أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروي عن ابن المبارك قال مات لي ابن فمر بي مجوسي وقال ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوا هذه منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لي ابن فكتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل سلام عليكم فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر

* وخنثر وإذا نزع العمامة ضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه (وكان) لأعرابي امرأتان فولدت إحداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها الحمد لله الحميد العالي * أنقذني اليوم من الجوالي من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال
فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول وما علي أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفاليه وترفع الساقط من خماريه * حتى إذا ما بلغت ثمانيه أزرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه أصهار صدق ومهور غاليه قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال إن أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث إليها بمائة ألف درهم (قيل) إن رجلا قال لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل إلى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا في عرض كم قال في عرض مصيبتي ذلك يا بني (وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة) فبينما هو يوما يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقيل ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة إليه وقال يا حمزة فقال حمزة ابن الأعرابي كلنا حامد الله فأي حمزة تعني فقال أبوه أعنك يا من أخمد الله به ذكر أبيه ورزقنا
*(ويعجبني قول الصفدي) * لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما لكن تنازل في الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

ورزقنا وإياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنيئة وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة متعك الله به في غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون * وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذو الصغير ويولد

هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه وتسليه مما نصنع يا أخى والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تأخذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا فعقول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاى معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والاخ الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سيرة سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكلما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بنى سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه اعرابى وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شىء فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينيه

(وقال ابن الصائغ) ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كخطى حين أطلب منه وصلا وبابله على الارداف منه * فلم أر مثل ذلك الفرع أصلا (وقول الآخر) بدت ثريا قرصها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى (وقول ابن نباتة) وبمهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه (وقوله أيضا مضمنا) وضعت سلاح الصبر عنه فلم أزل * يغازل بالالحاظ من لا يغازله وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله (ولبعضهم فى ذم العذار) غدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير (ولآخر) مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه (برهان الدين القيراطى) شبه السيف والسنان بعينى * من لعقلى بين الانام استحلا فأبى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشا وكلا (ابن الصائغ) لمثلى من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك (الصلاح الصفدى) يا عاذلا لى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى * وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف (آخر) أنفقت كنز مدامعى

حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزلت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما وكلي بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها في نفسه * ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فانا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها على الله عرفان فيه مزيد الاجر * وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساء الحي يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحوا والقاها بين أيديها وقال لها ابكين معي على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد الحزن والتهنئة بعد سنة تجديد الفرح * ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح في الايام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

(وقال آخر) لا بد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

(وقال آخر) تبصر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضي لهن أفول
يغاث بها في ظلمة الليل حائر * ويسري عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تجزعي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في أخيها صخر حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا حالا انه كان يغير على أعدائه ويقري ضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بأبيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي * على أمواتهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر) ولولا الاسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

(وقال آخر) وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

(وقال آخر) ومما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجدلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك ما بقيت يسير

في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فضى وراح تغزلي في البارد (عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد بالغت في اللثم وقبلته في الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن نباتة)

انسية في مثال الجن تحسبها شمسا بدت بين تشريق وتغميم شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها فالوجه للشمس والعينان للريم

(آخر)

بصدرها كوكبا در كأنهما ركنان لم يدن لمس منهما مستلم صانهما بستور من غلائلها فالناس في الحل والركنان في الحرم

(الصلاح الصفدي)

تقول له الاغصان مذ هز عطفه أتزعم ان اللين عندك ما قوى فقم نحتكم للروض عند نسيمه ليقضي على من مال منا الى الهوى

(وكأنه ينظر الى قول السراج)

ومهفهف عني يميل ولم يمل يوما الى فصحت من ألم الجوى لم لا تميل الى يا غصن النقا فاجاب كيف وأنت من جهة الهوى (أراد ملك الروم) أن يباهي أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت فى لحد عليه صخور
فاتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر)

فقدت أرضنا هاطل نيا * كان يغدو به النبات زكيا
خلفاء الما ودينا كريما * وصراطا يهدى الانام سويا
وسراجا يجلوا الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا
حازما عالما حليما كريما * عائدا بالنوال براتقيا
ان يوما أتى عليك اليوم * كورت شمسه وكان خليا
فعليك السلام مناجميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذلك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبى كان يجلوا الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

(ولما) مات أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرين العيش لى * فالعيش بعدهم حرام
انى رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

(وقال آخر)

ولا أرتجى فى الموت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من خطاب

(وفى المعنى لبعضهم)

لقد أمنت نفسى المصائب بعده * فاصبحت منها آمنا ان أروعا
فما أتقى للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعى فان تغض * فحسبك منى ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح

ومسود ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد ابن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكى الجاحظ) ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فاتت بك الى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول بعضهم لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الادون قبح الجاحظ رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو القذى فى عين كل ملاحظ ولو ان مرآة جلت تمثاله ورآه كان له كاعظم واعظ (قيل) انه قدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا الاسود فشكا الى الدارمى وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما قل للمليحة فى الخمار الاسود ماذا فعلت بزاهد متعبد قد كان شمر للعبادة ذيله حتى وقفت له بباب المسجد فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها (ومر) رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال يا هذه ان كان للتزوج فبارك لك

الله لك ذلك سه والا فاعلمنا فقالت كالك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على

لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(وقال آخر) الى الله أشكو لا الى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب

أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

(وقال العباس بن الاحنف)

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر

فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

(وقال آخر يرثي صديقه)

خليلي ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا

خليلي لو نفس فدت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسي وماليا

وقد كنت أرجو ان تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا

ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال) كنت السواد لمقلتي * يبكي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

(وقال آخر يرثي بعض أولاده)

وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد في شطري

ألا ليت أمي لم تلدني وليتني * سبقتك اذ كنا الى غاية نجري

وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للخنساء اخبريني بأفضل بيت قلتيه في أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابي المحاسن الشواء في صديق له مات ووقع الثلج عقيب موته

لم أنسه يوم بنو الملوك امامه * يمشون للاسف الا كف عضاضا

والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر) وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا

وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك)

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

(وقال آخر) وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابي وأمي وجهك المقبور

وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور

فالناس كلهم لفقدك واحد * في كل بيت رنة وزفير

عجبا لاربع أذرع في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفي ولده في يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم في عيدهم * ولبست حزن أبي الحسين جديدا

أيسرني عيد ولم أر وجهه * فيه ألا بعدا لذلك عيدا

فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا

من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤن مودة وعهودا

مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا

ما لم تخف قدماك أحشاءها * حذرا عليك وجفنه تسهيدا

رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولكني أحببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني (وقال عبد الله الماجشون) وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يوما يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا

ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا

ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لاعينتك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال لمثلي يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم لاما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وسارت بالدمى الابل

وقلبت بخلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين ينهمل

وودعت ببنان زانها عنم * نادت لاحملت رجلاك يا جمل

يا حادي العيس عرج كي أودعهم * يا حادي العيس في ترحالك الاجل

اني على العهد لم أنقض مودتهم * ان

ان نام لم تهجع وطافت حوله * فيبيت مكلوأ بها مرصودا
منى باوجيع اذ رأيت نوائحا * لابى الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فان لى * أجلا وان لم أحصه معدودا
لاموت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ماهد ركنى بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
ياليت أنى لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد نعيت ورب عاشق افتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفنى لم يزل محمودا
فلا نظمن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا وابيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أوصاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن ابن اسمعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكى كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين مافيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

(وقال الصدفى) ياغائبا فى الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

(وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابنا له)

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدناها وذم رؤيتنا كا

(وله يرثى الامير يلبغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وماعجبى الالمن بات وانعا * بايام دهر ماوعى حق يلبغا

(وقال آخر) الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثى صديقا له توفى وكان من الكرماء)

مادرى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

(ولبعض الكتاب فى ابن مقلة)

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام

الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة
انى نذرت لئن رأيتك قادما
أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد
ولتملأن دراهما حجرى
فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطاك عن الثانية فضحك وأمر بيدرة فصبت فى حجره (وتزوج) مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال اهاياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك (وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى) حكى أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة (وقدم

على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا

فاذا لك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عاش فى معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا
ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وقال آخر) عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
(وقال آخر) فو ربك لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

(وقالت ريطة بنت عاصم)

وقفت فابكتنى ديار عشيرتى * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا كسيوف الهند وراد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وحمل رأسه الى المنصور وأنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس ومحمد وكانا فى حبسه وكان أبوه قائما يصلى فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس فى حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى فى حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من الذل سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك ذالا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة * وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أرثه لان الارآه يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلباتها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا ينبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها كرامة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب ان تدبرته وقد قال الملك لجميع أهل الدنيا فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام

ر بدماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه (ومما نقلته) ما حكى عن مسلم بن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عند خياط لى بازاء منزلى فرأيت انسانا أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لاضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج أخفاف فارسلتهما مع جاريتى لبعض معارفى فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فأخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لتقدم علينا فادخلتها الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفى شيأ يشترى به

وعظام البهائم فقال يا أباهريرة هذه رؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال الركون الى الدنيا وهم غد وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

(وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك)

ما النعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو * أن المفرط فى التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر)

عن قليل أصير كوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

(وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر)

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها فقال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثنى عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فارسات اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته ما لى فيه من شعر فامر لى بمائتى ألف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء انتهى (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى

قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا الى اليك حاجة قال وما

(وقال شرف الدين بن أسد)

يامن تملك ملكا لابقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

(وقال بعضهم) وغاية هذى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن * بانك لاتبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لاترى الامساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم أكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فمروا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا لاخير فيما يزول ولا غنى فيما لايبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف على وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لاخير فى ملك لايساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه المواعظ ويروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لاترجع النفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فقال ان هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى (وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا

هى قال اذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليعمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب أو يعاوفى السرة ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليعمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة واليعمور دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (ومن اللطائف) ما حكاه أبو الفرج فى كتاب النساء وابن الكردوس فى الاكتفاء قالا كانت عند أبى العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب ابن عبد الله المخزومى وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فحلف لها ان لايتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له يا أمير المؤمنين فكرت فى أمرك وسعة ملكك وأنك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت

يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر عنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت
فرسي فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر عنة ويسرة فلم أر شيأ
فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت النداء من قربوس سرجي يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا
أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا فتوجهت
الى أهلي وخلفت فرسي وجئت الى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابي فلم أزل أرض
تقلني وأرض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ
عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورة فعملت بها أياما فلم يصف لي شئ من
الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير
فانصرفت اليها قال فبينما أنا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانا فتوجهت معه فاقمت في
البستان أياما كثيرة فاذا خادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرته فقعد في مجلسه
ثم قال يا ناطور يا ناطور فأجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة
فوجدها حامضة فقال يا ناطور أنت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو
من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه
وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك
وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب
يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندي فقال اعطنا
من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لي فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله
يا سيدي الجندي فاستحى الرجل وتركه ومضى * وروى ان داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح في
الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا
دوسيم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك
ثم صرت الى ما ترى التراب فراشي والحجر وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني * وقال وهب بن منبه خرج
عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع
فأوحى الله تعالى اليه أن ائذن لهم في قوتهم فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون و يأكلون فبينما هم كذلك
اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعي وأرضي ورثتها من أبي وجدي فبإذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى
ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة
يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما
عرفه قال معذرة اليك يا نبي الله اني لم أعرفك زرعي ومالي حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال
ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال
* ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد
كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال في كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الاماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عبد الله بن العلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب

حضت وحرمت نفسك التلذذ
بالسراري واستظراف
الجواري ومعرفة اختلاف
حالاتهن وأجناس التمتع
بما تشتهي منهن فمنهن
يا أمير المؤمنين الطويلة
الغيداء والعتيقة الادماء
والزهية السمراء والمولدات
المغنيات اللواتي يفتن
بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير
المؤمنين السمراء واللعساء
من مولدات البصرة
والكوفة وذوات الالسن
العذبة والقدود المهفهفة
والاوساط المخصرة والثدي
النواهد المحققة وحسن
زيهن وشكلهن لرأيت فتنا
ومنظرا حسنا وأين أنت
يا أمير المؤمنين من بنات
الاحرار والنظر الى ما عندهن
من الحياء والتخفر والدلال
والتعطر ولم يزل خالد يجيد
في الوصف ويكثر في الاطناب
بحلاوة لفظه وجودة كلامه
فلما فرغ قال له أبو العباس
ويحك والله ما سلك مسامعي
قط كلام أحسن مما سمعته
منك فأعده علي فأعاده عليه
وزاد فيه ثم انصرف خالد
وبقي أبو العباس متفكرا
مغموما فدخلت عليه أم
سلمة وكانت تبره كثيرا
وتتحرى مسرته وموافقته
في جميع ما أراده فقالت له
مالي أراك مغموما يا أمير
المؤمنين فهل حدث أمر

قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعني وإياه الطريق فآنست به وقلت له هل لك أن تؤاخيني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فاني لنائم اذا بقمع وردة قد نسيها الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خل انك ان توسد لينا ✱ وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ✱ فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما تراني ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه ✱ والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات مزخرفة ✱ يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج ✱ ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا ✱ لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندي فترجم بالعربي فاذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة جليلة وهي هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ✱ غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم ✱ فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا ✱ أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة ✱ وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ✱ تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا ✱ فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب في بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشتري به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كان الا رغيفان فأكلاهما ثم سارا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فذبحاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذي أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم سارا على وجوههما حتى جاآ قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فسارا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فسارا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كوني ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عليه الصلاة والسلام هي لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهم للثالث انطلق الى القرية فائتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذي ذهب ليشتري الطعام

تكرهه أو أنالك أمرا زعمت له قال لم يكن شيء من ذلك قالت فاقصصه فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد قال فقالت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحني وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت الى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت الى منزلي مسرورا بما رأيت من اصغاء أمير المؤمنين الى كلامي واعجابه بما ألقيت اليه وأنا لا أشك في الصلة فلم ألبث ان جاء العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة فوقفوا علي وسألوا عني فعرفتهم نفسي فأهوى الي أحدهم بعمود كان في يده فبادرت الى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلي وطلبني أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا علي فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت لم أر دم شيخ أضيع من دمي وركبت فلم أصل الى الدار حتى استقبلني عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ الي بالجلوس فثاب الي عقلي وفي المجلس باب عليه ستور وقد أرخيت وخلفه

فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما في الطعام سما فاذا أكلاه مانا وآخذ المال لنفسي فوضع السم في الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل باهلها * وقال الهيثم بن عدي وجد غار في جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سبأ بن نواس خدمت عيصو بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة سينزلونني عن سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلي فلم أستطع أن أفتدي به من الموت اذ نزل بي و يروى في الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينما هو في سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله في أن تتكلم فانطقها الله له فقالت يا نبي الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة وزوجت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتي فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشي عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذي منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم

تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

(وقيل في المعنى)

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب

نادى غراب المنايا في جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

(وفيه)

أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكى) ان رجلين تنازعا في أرض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذني خزاف وعملني اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فاخذني طواب وعملني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان في هذه الارض وأنتم عنها زائلون ولي غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا * وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه في الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته اني مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذ رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التي ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها

حركة فقال لي يا خالد مذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال أنت وصفت في آخر دخلة لي من أمر النساء والجواري ما لم يطرق سمعي قط كلام أحسن منه فأعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يك عنده امرأتان الا كان في ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا في حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كأثافي القدر تغلي عليها أبدا وان الاربع شر مجموع لصاحبه يهرمنه ويسقمنه ويضعفنه وان أبكار الاماء رجال ولكن لاخصى لهن قال فقال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منك من هذا شيئا قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك الى الاماء والسراري قال خالد فقال لي أبو العباس ويحك تكذبني قلت أفتقتلني يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله يا عماه هذا الذي حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك

عمر خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة فقال سبحان الله لم يذكرها آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم)

أيها الربع الذي قد دثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا
أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادي دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فالذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب * ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(ووجد مكتوبا على قصر باد أهله)

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وروى) ان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

* (الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب) *

* (ولنذكر أربعين حديثا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) *

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات ولا في

بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراوضان في أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال والتحف والثياب فقالوا لي تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى (ومن البدائع) ما حكي ان السلطان الملك الكامل أصبح متمرضا فأشار عليه الاطباء باستعمال شراب ليمون سكري فأمر بعض الخدام باحضاره فمضى الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ما طلبت الا سكريا وهذا سائل ردوه فقال الامير صلاح الدين والله ما من عادة مولانا السلطان أن يرد سائلا فقال السلطان والله ما أرد سائلا هاتوه أحسنت والله يا صلاح الدين فأكله وكان الشفاء فيه (ونظير ذلك) ما حكي انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم وكان ربما يتهم به وكان بعض الادباء يميل الى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الامير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الاديب قريبا من الباب فقلت له أي شيء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت

الارض الاصلى عليه
(الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام
(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك
(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار
(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات
(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل ان يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا
(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة
(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة
(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية
(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم مائة مرة قضيت له فى ذلك اليوم مائة حاجة
(الحديث الحادى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى مجلسا أكثركم على صلاة
(الحديث الثانى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته
(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى يا رسول الله لا يصلى عليك أحد الا ويصلى عليه سبعون ألفا من الملائكة
(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد
(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلى على
(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة
(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة
(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فى الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتى
(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه
(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى أكثرهم على صلاة
(الحديث الحادى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مالم يندرس اسمى من ذلك الكتاب
(الحديث الثانى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى

فلعلى أستلم الركن أو أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسالنى الامير صلاح الدين ما معنى ذلك فغالطته فى الجواب فاقسم أن لابد أن أخبره فاخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره الى مجلسه ونال منه راحة (ذكر ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الادباء) عن محمد بن عثمان ابن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول
هل من سبيل الى خمر فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج الى فتى ماجد الاعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاج تنميه أعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أدرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتاخذن من شعرك فاخذ

الصلاة على من أمتي فاستغفر لهم

(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل علي فانا بريء منه

(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يارسول الله ولم ذلك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا علي

(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فاقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معي في ميزانه وهو الصلاة علي فترجح ميزانه وينادي سعد فلان

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصل علي فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه

(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلي علي أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

(الحديث الثامن والعشرون) عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح

(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت ان أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فاكثر الصلاة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمهم ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادي والثلاثون) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

(الحديث الثاني والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم واسألوا الله لي الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلي علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه

من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة انا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع ان يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره
مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه
حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم اعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب نزولها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فانزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد * الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين * الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذي أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد وله حكمة وهي ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه من بني اسرائيل يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التوحيد ونذيرا لاهل التوحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أي يدعو الناس بامر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعي الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أي يهتدى به كما يهتدى بالسراج في ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا * فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدي حتى يقتبس منه والسراج اذا كان في بلد علا ذلك البلد نورا الان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول

فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني
وما نلت من عرضي عليك حرام

فاصبحت منفيا ملوما بظنة
وبعض أماني النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده
بقاء ومالي جرمة فالام

فيمنعني مما تقول تكرمي
وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها
وحال لها في قومها وصيام

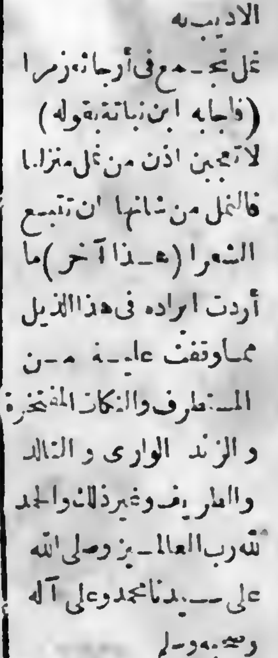
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي
فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اهـ

من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم الرسل وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعلم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عن سنته واجعلنا من أهل شفاعته برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(يقول راجي غفران المساوي مصححه محمد الزهري الغمراوي)

نحمدك يا من هيأت لكسب الآداب جميع العقلاء وفتحت للتحلي بأنوارها باب سبل الخيرات ونصلي ونسلم على من كملت آدابه ورجحت بكمال البيان واعجاز التبيان جنابه سيدنا محمد القائل ان من البيان لسحرا وعلى آله وصحبه ما أطلعت حدائق الابداع زهرا * أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف في كل فن مستظرف تأليف العلامة الفاضل واللوذعي الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهي رحمه الله وأعلى منزله في دار رضاه وقد حليت طرر الجزء الاول منه بكتاب ثمرات الاوراق في المحاضرات لمن اسمه يكفي عن التنويه بشانه ومحاسن مؤلفاته أكبر شاهد على تفرده في بيانه العلامة تقي الدين بن أبي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ووشيت غرر الجزء الثاني منه ببقية الكتاب المذكور ثم ذيلت هذه البقية بكتابين في الادب حويا من هذا الشان لمسرح النظار فيهما كل طرب أحدهما يسمى طراز الادب لعلامة زمانه وفريد أوانه الامام تقي الدين بن حجة المذكور ضاعف الله له الاجور وثانيهما للفهامة الاديب واللوذعي الاريب الفاضل الشيخ ابراهيم ابن الاحدب عامله الله من احسانه بكل ما يحب فجاء هذا الكتاب حاويا من أساليب البلاغة كل طريف وتالد جامعا من أسرار الآداب كل معنى على انفراده في بابه شاهد وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي ذي العجز والتقصير في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٤ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية


(قيل) دخل بعض الشعراء على الاديب جمال الدين بن نباتة فرأى في نواحي منزله نملا كثيرا فانشد يقول

مالي أرى منزل المولى الاديب به
نمل تجمع في أرجائه زمرا

(فاجابه ابن نباتة بقوله)

لا تعجبن اذن من نمل منزلنا
فالنمل من شانها ان تتبع الشعرا

(هذا آخر) ما أردت ايراده في هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المتخيرة والزند الواري والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

